

سلسلة فكر المواجهة (١٤)

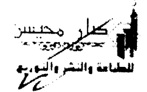
الذاتية الإسلامية
فى مواجهة التغريب

المستشار الدكتور

عاصم أحمد عجيلة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م



الطبعة الأولي

١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

٤٣ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت: ٢٦٣١٤١٢ (٢٠٢)
ص.ب. ٨١٧٧ - مدينة نصر - الرقم البريدى: ١١٣٧١
المطابع: مدينة العبور - المجمع الصناعى - وحدة ٢٠٥
E-mail: dar_meheisen@hotmail.Com

رقم الإيداع: ١٩١٤٦ / ٢٠٠٤

الترقيم الدول 977-6076-807

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ.د / جعفر عبد السلام

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

تعرض الإسلام منذ وقت ليس بالقريب لحملات تغريبية شديدة ترمى إلى سلخ المسلمين من هويتهم وصبغهم بالصبغة الغربية فى شتى مظاهر الحياة، وهو مخطط يسعى إليه الغرب سعياً دؤوباً ويهدف فيما يهدف إليه إلى فرض الثقافة الغربية بكل ما فيها من عيوب ومميزات على حد سواء .

وإيمانا بضرورة الوقوف على تلك الظاهرة من حيث أسبابها وعلاجها، كان سعى الرابطة إلى إصدار هذا الكتاب المتميز لصديق وأخ كريم يشغل حاليا مستشارا بدرجة رئيس محكمة الاستئناف، ويحمل الدكتوراه فى القانون العام، وعمل إلى جانب ذلك فى سلك التدريس الجامعى لفترات طويلة، فى جامعة صنعاء، وأنتج العديد من المؤلفات التى عالجت مسائل عديدة تمس حياتنا، وتتصل بتخصصه .

أما الكتاب الذى أقدمه له اليوم، فهو كتاب متميز يمثل صرخات ربما كانت فى صدره وأتاح لها أن تتصاعد كلاما على الورق، يؤرق كل من يطالعه، ويستفزه لعمل شيئ ما ليخلص مجتمعاتنا المسلمة مما ران على سطحها من ظواهر تخالف العقيدة ، وتسيىء إلى الدين الإسلامى الحنيف .

لقد تناول المؤلف ظواهر وجدت فى حياتنا بسبب الطغيان المادى الذى جرف تقاليد أمتنا وأعراف مجتمعنا، نتيجة للاحتكاك بالغرب ومحاولته الدائبة لتفتيت وحده الأمة، وإنهاك تماسكها، وضربها من الداخل، لتصير أمه بلا هوية وليدغدغ خصائص الذات الإسلامية وسماتها بالسيطرة على أقوام زعموا أنهم منا ، وما هم منا فى شئ .

إن هذا الكتاب يرصد لظاهرة تقليد الغرب فى بلادنا الإسلامية ، فى العادات .. فى

الأعـراف .. فى الملبس والمأكل والمشـرب .. وفى داخل بيـوتنا وتجـمـعـاتنا ونوادينا، ثم يحلل أسباب الظاهرة والبـواعث التى جعلت من اليسير عـلى المد الغربى أن يكون بهذه القـوة فى حيـاتنا، على أن المؤلف فى الفـصل الثـانى الذى خـصصـه لتـحليل أسبـاب الظاهرة، يوضح مظاهر التقدم الغربى، وعوامل القوة والتجـديد والنهضة فى الغرب، التى جعلـت البعض من المنصفـين منا، يقول إنه : وجـد قوما أعـمالهم كأنـها من ديننا كالوفاء بـالعهد، واحتـرام الكلمة، واحـترام الوقت و أتقـان العمل، والتقـدم العلمى والتكنولوجى ..إلخ . لأنه يرصـد ويحلل عـوامل الضعف فى بنيـان الحضـارة الغربيـة كالتحلل الخلقى، وإضعـاف مؤسسـة الأسرة . ويحلل كـيف انتقلت إلى مجـتمـعاتنا العيوب دون المزايا خاصة تلك المتصلة بالتقدم العلمى .

وأخيرا يقـدم المؤلف فى الفصـول التاليـة من كـتابه عـلاجاً ناجـعاً للتـخلص من التغريب، ويضع العقـيدة والشريعـة و الآداب والأخلاق الإسلاميـة المانع القوى الذى يستطيع أن يصدّ عن الأمة عوامل التغريب ومظاهر الفرنجة .

إن التمسك بأصـول ديننا الإسلامى هو الكفيل بعودتنـا إلى الريادة والسيادة ، لقد نزل علينا الوحى ذات يوم لنقـود الإنسانيـة إلى مراشـدها فكانت حضـارة الإسلام التى أنقذت الـعالم من ظلمـات الضلال والجـهل والفتنة ، ونحن نحـتاج بقـوة إلى مراجـعة الذات وإلى استدعاء هذه الحضارة وإحيائها .

وإننى إذ أقـدم هذا الكتاب المتمـيز للمـستشـار الدكتـور/ **عـاصم عـجـيلة** إلى جامعاتنا الإسلامية لآمل أن يحقق لنا الفائدة التى هدف إليها من كتابه، وهى العودة إلى الذات والتصـميم على بعث الحضارة الإسـلامية و إحـيائها، وجهـاد مظاهر السوء التى عمت حياتنا بسبب تقليد الغير .

وجدير بالذكر أن المؤلف فى هذه الدراسة لا ينتقد الغرب أو يدعو إلى معاداتهم أو مقـاطعتـهم ؛ بل يجلهم ويقـدرهم فى محـمود سلوكـهم وتقدمـهم، ولكنه يدعو إلى الابتعاد عن سلبياتهم وقيمهم التى لا تناسب قيمنا وثوابتنا ومقدساتنا .

لذلك .. فالكتاب قيم فى شكله ومضمونه وجاء فى وقته وأوانه ليضع النقاط على الأحرف لتشخيص ما ألمّ بالمسلمين من أمراض سلوكية وفكرية واجتماعية مزمنة، ويصف الدواء بأسلوب هادئ وهادف بحيث يكون فى متناول أكبر شريحة ممكنه من القراء، كما أنه يعد إضافة مهمة للمكتبة العربية والإسلامية.

وفى النهاية لا أجدنى إلا متضرعا إلى الله أن يبارك فى المؤلف الذى بذل جهودا مضنية فى سبيل خروج هذا الكتاب القيم بهذا الشكل، وأن يبارك فى المؤلَف وينفع به المسلمين، ويكون سببا فى ردهم إلى قرآنهم وسنة نبيهم لتحقيق النهضة المنشودة للأمة الإسلامية.

والله ولى التوفيق،،

مقدمــة

أخطر ما يداهم الأمة الإسلامية اليوم هو محاولة تغيير نمط سلوكها ليكون وفق النموذج الغربى ، أمة بلغت مجدها فى الرشد الأخلاقى ، هــل يتحول أبناؤها إلى أجيال مأزومة أو مهزومة يقتاتون سلوكهم من أصحاب الملة أخرى ، فهذا فوج مقتحم لا مرحباً به من أعراف شتى ترنــو إلـــى تغريب الأمة العربية الإسلامية ، منها ما يصدم أحاسيسنا ويزدرى واقعنا ويشوه ملامحنا حتى وصل السكين إلى العظم فى بلاد إســلامية كتركيــا والمغرب العربى ، ويا ليته كان تقليداً فى المحمود ، وإنما دون تمييز بين المعجزات والموبقات ، وكان نصيب المرأة فيها نصيب الأســد ، وأعــان على ذلك الانهزام الفكرى أو الخواء الثقافى فغفلوا عن ما أوتى النبيون من ربهم من المحاسن، حتى كدنا أن نتحول إلى أمة معقدة فى عــالم يجــرى كالريح المرسلة، نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير.. !!

ولئن كان قد اجتمع على مائدتنا ضيفان ثقيلان هذا من شيعتنا وهذا من عدونا ، تلك التقاليد الراكدة وهذه البدع الوافدة فإن الخلاص منهما ليس علينا بعزيز، ونحن أمة سادت حضارتها فى المشارق والمغارب وتــأثرت بها الحضارة العالمية، ومن ثم يبقى الأمل معقوداً علينا وعلى كل طبيــب ماهر بأمراض الواقع الإسلامى ، لكى يقدم لنا الجواب الكافى لمن ســأل عن الدواء الشافى ، لا بل نحن معقود علينا الأمل فى أن نقــدم جرعــات شافية من الرشد الأخلاقى لأتباع المدنية الغربية لإعادة التــوازن النفســى لإنسان الغرب ، فالمسلمون هــم موئــل الإنســانية ومصــدر الخيريــة، ومصدروها للبرية، فقد أيقظوا التاريخ من سباته فسطعت كل جنباته ، ولو كانوا عن رسالتهم غافلين .


الفصل الأول
مظاهر الغزو السلوكى
فى حياة المسلمين

الفصـل الأول

مظاهر الغزو السـلوكى فى حياة المسلمين

سنستعرض فى هذا الفصل لمعنى التقليد، ثم نتناول بالتفصيل خمسة أفرع هى :

الفرع الأول : مسلمة متفرنجة متغربة.

الفرع الثانى : شبابنا المزركش .. الغرب مولاهم.

الفرع الثالث : مظاهر التقليد بوجه عام.

الفرع الرابع : تقليد الرؤى والأفكار.

الفرع الخامس : فوج متربص من سلوكيات الأجانب.

معنى التقليد : (١)

الأصل فى التقليد كما يقولون وضع القلادة فى العنق ، وهـو مـا تتزين به المرأة أو يعرف به البعير، ثم قيل قلد فى الرأى إذا أخـذ بقـول غيره دون حجة، ومنشأ التقليد فى الأمة إما عرف فشا فيها بـين النـاس وانتشر أو تقاليد دخيلة حاكت فيها غيرها.

والتقليد بوجه عام ذو وجهين :

١- وجه بصير كله خيرات حسان.

٢- وجه ضرير كله خسران مبين.

---

(١) انظر مؤلفنا : حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي ص ١٠١.

أما التقليد البصير فيختصر لصاحبه الزمن ، بامتصاص المعـــارف والعلوم التى سبقه إليها الكادحون ، بعــد تمحيصـــها ونقــدها إن كانـــت تستوجب النقد.

أما التقليد الأعمى ففيه الطامة الكبرى ، حيث تنحرف بسببه معظم المجتمعات عن الطريق القويم إلى جائر السبل ، لأن الإنسان كمـــا يقـــول الباحثون حين ينشأ فى بيئة معينة ينغرس فى نفسه إلفاً لها ومودة، ومهمـــا كانت أوضاعها جيدة أو باطلة، غثة أو ثمينة، ثم يأتى بعد ذلك دور التقليد، فينبهر بتقاليد مجتمع آخر على حين أنها لا توافق بيئته وظروف نشأته.

الفرع الأول
مسلمة متفرنجة متغربة

رياح أوروبا تعصف بالحجاب : برعت امرأة الغرب فى التعرى والتخلى عن زيها ساتر بدنها ، لا، بل تطور السفور هناك حتى صار فنوناً بل جنوناً ، تخالف شريعة موسى وعيسى بن مريم وما أوتى النبيون من ربهم ، وجاء بها هذا إلى أن صارت لا تأمن على نفسها حتى من محارمها، أما المسلمة فقد عصمها الزى الإسلامى أن يقع عليها مكروه من ذئاب البشر.

ومع ذلك فإن فتاتنا استهوتها تقاليع ابنة الغرب ليصبح ثوبها فوق ركبتها أو تحت الركبة، تكشف عن ساقيها أو جزء من صدرها ويتدلى شعرها على كتفيها، وبالجملة ترتدى الجينز وفوقه البادى اللاصق المفتوح الذى يكاد يكشف عن الثديين، وشعرها الطويل يتهادى فى دلال خلف ظهرها ، وإذا وفد إلى بلادنا وافد يلمح فوضى سلوكية فى الأزياء يشهدها الشارع العربى ، لم يتوقعها الضيف العربي[1].

وهذه رجلة النساء، امرأة قصت شعرها وهو تاج جمالها ، وأخرى تلبس الكرافت وتدخن السيجار وتظهر بمظهر الرجال وتلبس بدلة الرجل، ترى أن فى ذلك قوة الشخصية وارتقاء بالآدمية كما ارتقت فتاة الغرب بزعمها ، مع أن فتاة الغرب قد أعلاها علمها ، وحين تقص شعرها فتصبح كهندام الرجل يدفعها إلى ذلك ضمور الوقت ، وتلك الأخرى تلبس غطاء الرأس ولكنها تكشف عن جزء من الساقين ليعلم ما يخفين من زينتهن.

---

(١) مجلة العربي : التى تصدر عن الأهرام العدد ١١٤، تحقيق ليلي الراعي.

وهنا يقول بعض الأدباء أن الرجل اليوم عنده شذوذ جنسى لأنـه يتـزوج المرأة المسترجلة[1].

وفتاتنا اليوم تحاول أن تبدى من مفاتنها أكثر ما تخفى بقصد الإثارة والإغراء والإغواء. فى المجتمعات والمنتديات وصالونات الإخلاء ، تسولا من أخلاق الغرب، وإذ وقعت عليها جريمة تنتهك العرض يقال أين الجانى خذوه فغلوه، مع أن الجانى فى البداية والنهاية هو تقليد الأجانب.

وإن تعجب فعجب أن المتبرجة يستهويها السـفور فتكشـف عـن ساقيها حتى لو كانت بلا جاذبية ، أو أصابها الكبر، أو كان الشتاء قارصاً بل لو كانت دميمة ، والغريب أن كثيراً من المسلمين يـأمرون نسـاءهن بالتشبه بالأجانب لفقرهم فى ثقافة دينهم.

وبالجملة فقد كان للمرأة المسلمة نصيب الأسد فى تقليد الغرب حتى فى طريقة الحوار والأداء والشكل والأكل والحديث (والإتيكيت)، وصـار التشبه ولعها وهمها، يداهمها حتى تكون أحياناً نسخة كربونية وهـذا هـو مكمن الخطورة وذلك هو ما دفع (الغزاة) إلى التركيز على المرأة المسلمة فى اختراق المجتمع الإسلامي.

وإذا دخلت رحاب أى جامعة عربية فى العواصم التى باركها الغزو الفكرى يخيل إليك إنك فى بلد غربى ، ففتاة الجامعة أصبحت لا تفرق بين حرم الجامعة وصالة عرض الأزياء أو مهرجانات السينما.

وأصبح الولع بالبنطلونات الضيقة طويلة وقصيرة لا يعلوهـا مـا يسترها هو حليتها وبغيتها، وظهر البنطلون الجينز والإستريتش الذى يبرز مفاتن الجسد ، ليشاهد الشباب كل ما احتجب ، ولتثار الغرائز ولتتحـرك

---

(١) أنيس منصور، الأهرام فى ٢٠٠٤/٦/١١م.

الشهوات وليهنأ ذئاب البشر ، (إن الفتاة الصادقة فى إيمانها تشعر بالخجل من الثوب القصير وما يوحى به).

ويقولون اليوم أن البلوزات ارتفعت إلى أعلى والبنطلونات الضيقة نزلت إلى أسفل.

ومن الطريف ما نشرته جريدة الأهرام فى مصر فى ٢٠٠٣/٦/١م بعنوان: البنطلونات سبب مشاكل العالم، أن الملك هوانى ملك سوازيلاند وصف النساء اللاتى يرتدين البنطلون بأنهن السبب فى مشاكل العالم وأنه شئ بغيض عند الله، وهذا الملك هو آخر ملوك أفريقيا السوداء.

وفستان السهرة إذا كان هناك حفل فى المساء فيجب إعداد الزى المناسب الذى يؤثر فى الحضور، ولن يكون ذلك إلا بكشف الأكتاف والظهور والصدور..!!

إن الذى دفع المرأة الغربية إلى التعرى البدنى هو فقرها فى ثقافة دينها.

وإن لفتاة الغرب عذرها فى كونها كاسية عارية، لأنهم هجروا الدين وحرموا من نعمائه، والكنائس هناك اليوم لا يغشاها سوى العجائز، أما عندنا فقرآن عجبا يهدى إلى الرشد يتلى على مرور الدهور ، ينهى المرأة عن السفور ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِى قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ..﴾ [الأحزاب:٥٩] فزيها عاصم لها من افتراس الذئاب ، وهو اكره ما تكره فى حياتها حين يطمع الذى فى قلبه مرض فيفعل بها ما يفعل ويوردها مورد الردى .

نعم فقد استمرت فى التقليد حتى بلغت منتهاها ، فخلعت ملابسها كلها إلا ما يستر "السوءه" كورق التوت عند الشواطئ والبحيرات فى "الشاليهات" ، وعلى الرمال الناعمة ، تماماً كما فعلت المرأة الغربية ، فشواطئ البحار بزعمهم لا تحتمل أكثر من هذا !! [1].

وصارت تغدوا وتروح أمام المصطافين وأولى الإربة من الرجال، تغرى الطامعين من الذئاب وتثير المعوزين الذين لا يستطيعون الباءة، وهكذا تفتضح العورات من مسلمات تحت ستار التمتع بمياه البحر ، تلك الموضة التى فرملت قطار التربية والأخلاق.

ولقد صدأت الحاسة الإسلامية لدى المربين والمسؤلين عنهم فأصبحوا لا يجدون حرجاً فى التعرى البدنى والدينى ، ولو أمام من تتأجج عندهم نار الشهوة وعز عليهم الزواج .

هل فى ذلك أدنى تقدم فى منهج التربية الذى يرخص للفتاة أن تخلع ثيابها فى غير بيتها ، وتقبله المهزومون عندنا بقبول حسن.

ليكن معلوماً من الدين بالضرورة أن مبادئ الإسلام تحرم على المرأة المسلمة دخول الحمامات وتعرية بدنها حتى أمام النساء ، لئلا تعلم مفاتنها فيصير الحديث عنها أمام الآخرين والأخريات ، ومن هنا تأتى المرذولات، يقول المصطفى ﷺ "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد" [2].

حقاً يا رسول الله لقد بعثت لتتمم مكارم الأخلاق.

---

(١) راجع عبد الله الشبانه المرجع السابق ص ١٣٩.
(٢) رواه الإمام مسلم فى كتاب الحيض حديث رقم ٧٩٤ .

حجاب الموضة فى قفص الاتهام :

الموضة : الأجانب اخترعوها ونساؤنا استهلكوها: هذا مـــا يقولـــه أمريكى معاصر، بالتعليم لقنوها أن سبب تأخرها هو التمســـك بالحجـــاب، فتعلمت كيفية التبرج للموضات والتفنن فى أساليب الإغراء، لتسمع وتـــرى إطراء الرجال لذوقها وجمالها وتحضرها، مع ما فى ذلـــك مـــن أضـــرار كثيرة على الصحة، كارتداء الكعب العالى وأثاره على الظهـــر والقـــدمين، وانشغالها بالموضة يجر إلى إهمالها لأطفالها، فضلاً عن استنزاف الأموال على غير حاجة، مع إماتة الصناعة الوطنية[1].

ألوان زاهية وملابس ضيقة تظهـــر الخصـــر والوســـط ، وتبـــرز النهدين، قد أخذت المرأة زخرفها وأزينت ليبصرها كل غاد ورائح ، يصمم الغرب ليتبع أهل الشرق، ملابس تصف وتكشف إلى حد يثير الفتنة ، تدعو الجميع إلى إطلاله عليها ، فهى معرض للزينة وأصول التبرج المقنع ، مع أنها تلبس ثوباً كاسياً ولكن تجمع فيه الأعاجيب ، تضيق وسطه أو تقعـــره وتجعله ملتصقاً بالظهر وتلحق به الأشرطة كمـــا تـــزين رأســـها بزينـــة الكواكب. وهو حجاب فى النهاية يراد به إقصاء المسلمة عن آداب دينهـــا كلما جاءتها ريح عاصف من تيارات الموضة، وأخريات يقلدن تعبيراً عن شخصية متأرجحة فقيرة فى دينها، يضحى ذلك لصالح عارضات الأزيـــاء الأجنبيات ، تكون بضاعتهم تجارة لن تبور، والخاسر الوحيـــد هـــو بيـــت المال أو البيت المسلم.

---

(١) المسلمون العدد ٣٦٦ شعبان ١٤١٢ هجرية، ١٩٩٢/٢/٧

كم تهجم وتهكم الأديب مصطفى صادق الرافعي وسخر من تهافت بعض الرجال والشباب والنساء على الموضة وعلى كل وافد من الغرب، إن كان غير ملائم لأموالنا وعاداتنا وأخلاقنا سيما بالمولعات بالألوان والأصباغ ليسترن أعمارهن.

إن الإسلام ليهتم بالإنسان ويعترف بحق الفرد فى الظهور بالمظهر الأنيق، ولكن دون تجاوز للمعروف والمألوف.

ويمضى بنا موكب التقليد الأحمق أو الأعمى أو كليهما معاً، فنغرق فى التقليد فنقيم "حفلات الكوكتيل" ، "الحفلات المختلطة" كما يقيمونها ، ومنها تلك الحفلات الصاخبة التى تقام لاختيار "ملكات الجمال" تلك البدعة العصرية التى تقاس فيها أعضاء أجسام العاريات بالبوصة والسنتيمتر، لتكون الفتاة المسلمة العربية أجمل وأكمل عارضة لمفاتنها.

وقد أصبحت هذه المسابقات تعقد فى بعض العواصم العربية، والإسلامية وليشهد ذلك أمة من الناس ثم تذاع على الملأ فى أرجاء المعمورة لتعرض مشاهداً يتبرأ الواقع منها، فهى مسابقات عامرة بالأزمات والمشاكل أو يقولون أن الأزمات تسافر معهن، والشعوب تعترض دائماً فهو سلوك مرفوض لا مرحباً به مهما كانت الزخارف حوله سيما فى أوطاننا، فهو كما يقول البعض نوع من فصام شخصية المجتمع. وهل تصبح البنت التى تتميز بالنهدين والأرداف هى القدوة لبناتنا وأبنائنا[1].

---

(١) الأهرام العربي العدد ٢٧٧ فى ٢٠٠٢/٢/٢٣م

لمن تلبس المرأة المتزوجة:

سؤال طرحته جريدة الأنباء الكويتية فى عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١٩ وهو تساؤل قد يسبب حرجا للمرأة ، لمن تكشف عن الجزء من ساقيها أو كتفيها أو نهديها إذا كانت متزوجه ؟

فالمرأة الملتزمة تعلم علم اليقين أنها فى أحسن تقويم ، ولم تخلق لتكونه محط إعجاب الرجال جميعا ولكن لرجل واحد، مهما تزلف لها الرجل الآخر، ولقد ظلت امرأتنا المسلمة متربعة على العرش أربعة عشر قرنا من الزمان تتيه بمكانتها على نساء العالمين، لأنها تحظى فى رحاب دينها بكل جميل ، وصارت امرأة الغرب تحسدها على ذلك، ولكنها حين انخرطت فى موكب المقلدين نقضت غزلها[١].

وكما يقول أنيس منصور[٢] بنات اليوم يرتدين ملابس فى الشارع أقل كثيرا من تلك التى كانت ترتديها أمها بل تخجل منها فى غرفة النوم[٣] أو كما يقولون: لم تعد المرأة تخجل – لقد تركت ذلك لأبيها وزوجها وأخيها.

اللهم جمل نساء المسلمين بالعفة والحياء ، واجعلهن فى طهارة مريم عليها السلام.

---

(١) **ملحوظة :** وكانت هدى شعراوي (وهى المرأة الصعيدية) أول من رفعت الحجاب عن وجهها عام ١٩٢٣ عقب عودتها من مؤتمر نسائي عقد فى روما، وبالطبع أقدمت باقي القيادات النسائية على السفور إقتداء بها ولم تلبث عدوى التقليد أن سرت من سيدة إلى أخرى ومن بيت إلى بيت حتى عمت معظم المجتمع المصري ولم يتوقف الأمر عند خلع الحجاب بل تعداه إلى اتجاه بعض النساء إلى أبعد من ذلك فى تقليد المرأة الأوروبية بارتداء الزي الأوروبي كاملاً . الملبس والقبعة ، وكاد أن يقتصر فى البداية على الطبقة الأرستقراطية ، ولكنه زحف إلى باقي الطبقات وانتقل إلى الفتيات الصغيرات وبدأت المصريات يظهرن سافرات فى الحفلات وهن فى ملابسهن الأوروبية.

(٢) الأهرام فى ٢٠٠١/١١/٩م .

(٣) الأهرام في ٢٠٠١/١١/٩

تغيـــير خلق الله :

فهى اليوم تزيل ما كان موجوداً ، وتضيف ما لم يكن موجوداً ؛ تزيل شعر الحاجبين، وتضيف شعر "الباروكة" فى تحد صارخ للفطرة، وهناك رموش صناعية، وثورة عنيفة على الطبيعة، واستجابة محمومة لأصحاب مصانع أدوات التجميل والمساحيق والأصباغ [1].

ففنان التجميل يستطيع تغيير ملامح سيدة فى ٤٨ ساعة عن طريق الماكياج وإجراء عملية توزيع جديدة للملامح، سيما عند ماكيير الصفوة، والذى يستخدم الكمبيوتر وبرامجه المستوردة والإنترنت لمتابعة أحدث الصيحات العالمية[2].

وقد نجم عن كل أولئك ضحايا مافيا بيع الجمال.

صبغت المسلمة أظافر اليدين والقدمين بطلاء كيماوى تظن فيه الجمال، متجاهلة ما يجره عليها من أضرار ، يحول بين وصول الماء وتلك الأجزاء، التى أصبحت امرأتنا تعكف عليها اقتداءً بالأوروبيات.

وقد سأل سائل فى مجلة اللواء الإسلامى عن حكم إطالة الأظافر كوسيلة للزينة تتبعها بعض النساء وكذلك طلائها بالكيماويات ثم يؤدين الصلاة فما رأى الدين فكان الجواب :

"قص الأظافر من سنن الفطرة للرجال والنساء". قال الإمام مالك أحب الناس مَن قص الظافر وحلق العانة مثل ما هو على الرجال، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عن عن النبى ﷺ قال الفطرة خمس: الختان والاستحداد (الاستحداد: استعمال الموسى فى حلق العانة)

(١) الهزيمة النفسية- عبد الله الشبابة ، ص١٣٩.
(٢) انظر مجلة كلام الناس العدد ٤١٥ ٢٧ أبريل ٢٠٠١م

وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط. وأخرج عبد الرزاق بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله "عندما ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن" قال ابتلاء بالطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد : قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الشعر وفى الجسد: تقليم الأظافر (أى قصها) وحلق العانة والختان ..

ومن أبلغ الأضرار فى استعمال الكيمياء فى طلاء الأظافر حجب الماء عنهما بمعنى حجب الحيوية والجمال عنها، ولأن الوضوء يجلب الوضاءة فى كل ما يمسه الماء وهو ما نراه واضحاً جلياً عند المصلين المتطهرين ولو كانوا أفقر الفقراء.

وأخيراً فهناك تحذير مصرى من أحمر الشفاه الأوروبى الذى قد ينقل جنون البقر وهو تحذير ونذير من نقابة الأطباء البيطريين فى مصر[1].

وكانت آخر (التقاليع) التى وفدت إلينا هى تلوين العيون بالعدسات بلون ثيابها بوضع العدسات اللاصقة، وكم خدعت الكثيرين، فتحول الزواج إلى جحيم.

أما رأى الدين فهو تغيير لخلق الله إذ ينخدع به الإنسان، كالعجوز المتصابية التى تصبغ شعرها لكى تبدو أصغر سناً للناظرين، أو الشعر المستعار بما يسمى (الباروكة)، وكم تكون الحقيقة مرة حين يقف الطرف الآخر على الحقيقة فلا يصلح العطار ما أفسد الدهر، وصاحبة العدسة اللاصقة فى عملها نوع من التلبيس والتغرير لمن يراها أو يقع فى شباكها.

---

(١) انظر : جريدة السياسة الكويتية فى ٢٠٠١/٢/١٨م.

وقس على ذلك الرموش الصناعية وكى الشعر بالسشوار وما يسببه من جفاف وصلع بعد حين، مع أن تاج المرأة فى جمال شعرها ، وهناك الجراحات التجميلية حيث تتطلع المرأة إلى الخلود والشباب الدائم، وهو أشبه بسراب خادع.

ما أغنى المسلمة عن كل هذا فالجمال الحقيقى هو جمال النفس المهذبة الذى يلازم المرأة طوال عمرها فلا يسلب منها جمالها.

على الرغم من تعدد وتباين الفتاوى حول جراحات التجميل وإن كانت فى معظمها تؤكد أن معظم الجراحات التجميلية تعد اعتراضا على قضاء الله وقدره وتغييراً فى خلق الله، إلا أن البعض على الجانب الآخر يعتبر تلك الجراحات التى تقبل عليها النساء هذه الأيام تعد نوعاً من أنواع تحقيق التوازن النفسى ، ولكن أحياناً يحدث العكس، فقد يحدث التغيير ولكن بكل أسف للأسوأ كما هو الحال مع النجمة السينمائية السمراء التى أصبحت بفعل جراحة تجميلية فى حالة ابتسام دائم نتيجة خطأ فى الجراحة أثر على عضلات الوجه فى منطقة ما حول الوجه، ولا يخفى علينا أيضاً حال نجمة سينمائية أخرى أصبحت تغمز لكل من تراه بعينها اليسرى ، بالطبع لم تقصد الغمز للرجال والنساء والمشاهدين على حد سواء ولكنه خطأ طبيبها المعروف الذى اعترف لأحد أصدقائه أنها هى السبب فيما حدث لعضلات عينها اليسرى ، لأنها أصرت على أن يقوم بعملية شد الوجه بصورة مبالغ فيها أثرت أيضاً على إحدى عضلات العين.

على أية حال فجراحات التجميل قد انتشرت فى السنوات الأخيرة بين الفتيات والنساء نتيجة لانتشار الفضائيات ووسائل الإعلام المتعددة، وأحدث جراحات التجميل المنتشرة الآن ويتزايد الإقبال على إجرائها مع

حلول فصل الصيف هى جراحة نفخ الشفايف، وتلك الجراحة بدأتها نجمات هوليود تقليداً للشفاة الإفريقية الغليظة، وهذا أمر أصبح فى متناول الكثيرات، فمن الممكن أن تحصل المرأة على شفاة غليظة إما عن طريق الجراحة، أو ما يسمى بالنفخ، فالجراحة تتم بأن يقوم الطبيب بزرع مواد داخل الشفاة، أو بمواد دهنية من جسم المريض إما من منطقة البطن أو الفخذين أو الأرداف وبعد معالجتها يعاد حقنها فى الشفاة، وأحياناً تأتى عملية الحقن هذه بنتيجة عكسية تظهر طالبة الجمال بأنها تعانى من شلل نصفى فى وجهها، وعندنا اليوم كثير من النساء سيما الفنانات المتيمات بجراحات التجميل ونفخ الشفايف.

المسلمة تذهب إلى الحلاق

اللمس المحرم ، والخلوة المحرمة، ظلمات بعضها فوق بعض.

محبوبتى إحذرى مراكز التجميل، التهمت أموالى .. ودمرت بشرتى ، هذا نذير توجهه الفنانات الشابات حفاظاً على البشرة وتاج المرأة وهو شعرها[1].

نعم الجمال هو أمل المرأة الدائم، ولكن الرجل العامى ينكر على ابنه أن يعبث بشعر أخته، فكيف يرضى لزوجته هذا العبث؟! نعم إن المرأة من حقها أن تتزين لتكون فى أبهى مظهر لها، ولكن شريطة ألا يكون ذلك أثمه أكبر من نفعه، يقول رسول الله ﷺ "لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فاستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل"[2].

---

(١) ملحق الجمهورية ، العدد الأسبوعي ، محبوبتي ٢٠٠١/١٠/٤.
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم جـ١ صـ٥٧ .

فالمرأة حين تذهب إلى الحلاق تسلم نفسها لـــه لكى يصب عليه من الأصباغ والمساحيق، يتحسس وجهها وهو أجنبى عنها، ويضع العطور على بدنها ويجدل شعرها أو يلفه ناهيك عن أضرار المساحيق وكى الشعر بالهواء الساخن الذى يصيب بالصلع المبكر. ولا يخفى على أولى الألباب وفى أعين رجال الآداب أن بعض هذه المحلات التى تذهب إليها المرأة محوطة بالشبهات، فالزوج الغيور يصرعه التقليد الوافد، كلا، فكيف يسمح المسلم لزوجته أن يخلو أجنبى بها فى محل قد غلقت أبوابه، ليعبث بشعرها ويتحسس وتتكشف لـــه بعض مفاتنها وعوراتها باسم تجميلها، والحكمة "لا تعر زوجتك لغيرك"، فإلى أى مدى وصل التفريط ؟!

كم تنفق المرأة وبيتها عورة، فهى أحوج إلى الدرهم والدينار، أما عن رأى الدين فذلك ما نفصّله فى الفصل الثالث عند الحديث عن الحلال والحرام.

نعم شريعتنا فيها من السعة والرحابة مالم يوجد فى أى شريعة أخرى ، فيجوز للمرأة تصفيف شعرها على يد امرأة مثلها مأمونة الخلق، وأن يكون ذلك للحاجة، وأن يكون التزين لزوجها ، فهذا العمل عمل غير ضار بذاته، وأهم الضوابط هنا أن يتحقق خلو المحل من الرجال الذين يظهرون على عورات النساء، وألا يغشاها من عرف بسوء السمعة، وألا يعرض فيه ما يخل بأحكام الشرع الشريف.

وقد كتب دسوقى عمارة: كانت الفتاة دخلت الكوافير لتصفيف شعرها وقام صاحب المحل بعمل حمام زيت لشعرها استعداداً لتصفيفه ثم

خرج من المحل فجأة وأغلق خلفه الباب فقام صديقاه بتجريدها من ملابسها وتناوبا الاعتداء عليها[1].

وهذه الصالونات البعض منها مروج للمخدرات بأنواعها، وهو مكان تجمع سيئ للنساء يزخر بالغيبة والنميمة وكشف العورات، بل ضبطت الأجهزة الأمنية بعض هذه الصالونات فى بعض الدول حين تتحول إلى أماكن للفجور.

وما هو أدهى وأمر أن كثيراً من النساء يخلعن ملابسهن فى ذلك الصالون عندما يعلن عن ما يسمى (بالتدليك) فالتدليك يستلزم خلع الملابس وانكشاف العورات.

المرأة حلاق للرجال[2]

لا نعترض على الجديد طالما كان مجدياً ، إما أن تقوم المرأة بتصفيف شعر الرجل فذلك لا مرحباً به، لأن مجتمعاتنا حارسة الفضائل، حامية للحرمات.

فيحرم على المرأة أن تلامس بدن الرجل الأجنبى غير المحارم إلا لضرورة، وكذلك الرجل لا يلمس بدن الأجنبية إلا لضرورة، حماية للطرفين وضبطاً للشهوات ودفعاً للشبهات، فكم تجر علينا أمثال هذه الموبقات من ضروب التطور الهابط الذى يسوق الشباب إلى الخنا والمرأة إلى الفسق المبكر.

ألا يوجد فى المجتمع من القادرين والجديرين العاطلين بالملايين.

---

(١) وانظر: كتاب اللباس والزينة، سمير بن عبد العزيز ، ص٦٢ وما بعدها.
(٢) اللواء الإسلامي ١٠ أكتوبر ١٩٩٢م ص١٤.

أخر البدع الغربية : دق الوشم على أجساد الفتيات

كتب أحمد شعبان: فى جريدة عقيدتي[1]

انتشرت هذه الأيام بين الشباب ظاهرة غريبة على مجتمعنا الإسلامى وهى دق الوشم ، الذى اتخذ شكلاً جديداً من حيث المكان الذى يتم فيه الوشم حيث تسلل إلى صدور الفتيات وبطونهن مما يعرضن كشف عوراتهن أمام من يقوم بتلك المهمة التى نهى الإسلام عنها، حيث لا يصح أن تكشف المرأة عورتها إلا أمام زوجها.

والغريب أن معظم محلات (الكوافير) خصصت قسماً خاصاً بها لدق الوشم وبأسعار باهظة.

ويتجمع الشباب فى حفلات الأندية أو الجامعات ومعهم الواشم حيث يرسم على أذرع وصدور الشباب والفتيات الرسوم المرغوبة ، ويتم تقاضى الأجر لكل منظر، ويتسابق الشباب والفتيات عليه.

وهاكم شاب قام بعمل الوشم بصبغة الشعر لأن لها ألواناً مختلفة بعكس الوشم الأخضر المعروف ، ويقول بأنه تعرف عليه بعد لقائه مع موزع إعلانات أمام أحد المطاعم وكذلك فى بعض صالات الديسكو.

وتلكم فتاة تقول: إنها تعرفت على الوشم من خلال إعلان عن مركز تجميل، وتضيف بأن الموضة الآن بين البنات هى الوشم على البطن والصدر والرقبة وخلف الساق.

ويأتى إلى مركز التجميل الذى يعمل به الكثير من الشباب والفتيات لدى الوشم (بالماكينة)، وتتراوح أعمارهم من ١٤ : ١٦ سنة وهى تقوم بطبع الوشم على الجلد بدلاً من طريقة دق الوشم، لكن بعض الشباب ممن

(١) سمير عبد العزيز ، كتاب اللباس والزينة صـ٦٢ وما بعدها.

يقدم على الزواج يعودون إلى المركز لإزالة الوشم خوفاً من انتقاد الطرف الآخر، ويقوم بعض الشباب باختيار وشم الفرق الأجنبية ليتم تمييزها في صالات الديسكو. وهذه أخرى ، طالبة ذهبت إلى أحد الأندية لحضور احتفال فوجدت سيدة ترسم الوشم وتوافد عليها أعضاء النادى ، فوقفت أمامها لتشاهد الشباب وهو يدق الوشم وتتعجب من التقليد الأعمى للغرب بدلاً من التقليد فى التقدم..!!

ثم ذكرت الجريدة من أن الوشم استعمله الأوروبيون والهنود الحمر والرومان والأفارقة لإرضاء الآلهة والتعبير عن الحب وإثبات قوة الشخصية وغير ذلك ، وهو يستخدم الآن فى الأفراح.

أما عن الأثر الطبى لدق الوشم على الجلد فإن المواد الغريبة التى تدخل الجلد تؤدى إلى حساسيته، وإذا احتوى على مواد بترولية يؤدى إلى سرطان الجلد وتليفه، والوخز بالإبر يؤدى إلى نقل أمراض الكبد الوبائى والإيدز وغيرها.

وأخيراً فإن الوشم هو تغيير لخلق الله وهذه كبيرة من الكبائر للنساء.

مصافحة الرجال (غير المحارم) [1] :

هو أمر مما تعم فيه البلوى ، والمتحدث عنه فى البلاد التى أكتوت بنار الغزو الفكرى متهم بالرجعية نتيجة صدأ الحاسة الإسلامية والاستسهال الدينى الذى أصاب تلك المجتمعات.

---

(1) مجلة آخر ساعة العدد ٣٥١٦ ، ١٣ مارس ٢٠٠٢م، ٢٩ ذى الحجة ١٤٢٢هـ .

إذا كان المسلم يحرم عليه النظر إلى المرأة الأجنبية فهل يجوز له أن يصافحها ويتحسسها ويلمس يدها وقد يتلذذ بها ، لقد انتشرت بيننا تلك العادة حتى أصبحت عرفاً سائداً وصار من يخالفها متهماً بالشذوذ المسلكى وذلك بسبب تمكن الغزو الفكرى وما تلاه من غزو سلوكى أجنبى ، والرجل الغيور يدرك بحسه أن الإسلام خير عاصم لزوجته الشابة، ممن فى قلبه مرض، فيغار أن تضع زوجته يدها فى يد شاب آخر، ولو كان ذا قربى طالما ليس من المحارم، كما أن المرأة الغيورة لا ترضى لزوجها أن يصافح امرأة أخرى أكثر جمالاً فيدها جزء منها، سيما إذا طالت مدة المصافحة وكثيراً ما تطول.

إن المرأة يطلب يدها واحد فقط، هو من يفوز بالزواج منها، أما أن تمد يدها لكل طالب، فذلك مخالف للعرف الإسلامى ، وقديماً قالوا عن بغايا اليهود أنها كانت لا ترد يد لامس لها.

ومن الطريف فى هذا الصدد أننى حين كنت وكيلاً للنائب العام بالمنوفية جاءتنى إحدى الموظفات بالنيابة تمشى على استحياء وتتبعها واحدة تلو أخرى تشكو رئيسها الإدارى أنه اعتاد كل صباح أن يصافح الموظفات وكانوا تسعاً، ويصرح أثر ذلك بأنه يعرف الحسناء من غيرها من ملامسة يدها، وقد نقل ذلك الموظف على الفور.

ولا تزال تطلع فى مجتمعات الجزيرة العربية التى لم يداهما الغزو الثقافى الأجنبى ، أن المرأة لا تصافح الرجل من غير المحارم وهو ما كان موجوداً فى المجتمعات المحافظة كمصر مثلاً منذ عهد ليس ببعيد سيما فى الريف.

ما ترك المسلم شيئاً لله إلا عوضه الله عنه خيراً منه :

وإذا كان الشرع الشريف قد أمر الرجال بغض البصر عند النظــر للأجنبية ، فهل يأذن بمصافحتها والإمساك بجزء من بدنها قد يستشعر معه الرجل اللذة والشهوة أحياناً، وهنا يقولون فى الحكمة أن كثــرة الانحنــاء تؤدى إلى الكسر "إن مصافحة المرأة الأجنبية والإمساك بيدها لفتــرة قــد تطول هو نوع من مقاربة الزنا والذى حرمته الآية الكريمة "**ولا تقربــوا الزنا**" فهناك فرق بين اقتراف الزنا ومقاربته واللمس نوع من المقاربة.

إن مصافحة الرجل للمرأة الشابة إما أن تكون مقرونــة وبشــهوة وعندئذ تكون محرمة شرعاً، لما قد يؤدى إليه من عواقب وخيمة، وإما أن تكون غير مقرونة بشهوة ولذة وفى هذه الحالة تكون مكروهة أو خــلاف الأولى لما فيها من مخالف للسنة، ولنا فى الرسول ﷺ أسوة حسنة، فلــم يؤثر عنه أنه صافح امرأة أجنبية.

حافظ على يد امرأتك فهو أصون لها وأعف من كل آفة ســلوكية غربية، إن أخلاق دين القيمة والأخذ بها واتباعها لا يسبب حرجاً أو ضيقاً إلا عند ضيقى الصدر، وضيق الصدر من شأن الضعيف.

ناهيك عن حمم تداهم المستقبلين والمودعين لذويهم فى المطــارات والموانئ، القبلات على الوجنات ويتلوها عناق حار بين رجــال ونســاء ليسوا من المحارم، وهذه أسوأ الأعراف الفاسدة التى تسربت إلى مســلمى العصر، ونراها شاخصة سيما فى المناسبات السارة حيث يموج الرجــال

والنساء بعضهم فى بعض بلا ضابط من الشرع الشريف عشية الاستسهال الدينى .

إن حرمات الله لها دستور وضوابط ومن يتعد ذلك يلــق آثامــاً ، والعجيب أن هذا العرف الفاسد قد تخطى حواجز المترفين إلى أبناء الطبقة الكادحة.

إنه من المقرر شرعاً بأن التقبيل على خمسة أوجه كما فـــى الـــدر المختار على هامش حاشية ابن عابدين "قبلة المودة للولد على الخد، وقبلة الرحمة الوالدين على الرأس، وقبلة الشفقة لأخيه على الجبهة، وقبلة الشهوة لامرأته على الفم, وقبلة التحية للمؤمنين على اليدين "وما يجوز من المرأة لزوجها لا يباح لغيرة, إلا أن تكون القبلة من الأخ لأختـــه بغيـــر شـــهوة, ويكون الأب سويا من الشذوذ الذى قد يشتهى معه ابنته كما يحـــدث فـــى أوساط رقاق الدين .

انتساب المرأة لزوجها :

كل فتاة بأبيها معجبة، فهل تفقد اسمه عند اقترانهـــا بقرينهـــا ، أى طمس للحقائق وأى تزوير فى الأعراف والأوراق الرسمية، لكنها المدنيـــة الغربية..!!

فيقال مثلاً (**جاكلين كينيدى**) والاسم الأخير هو اسم عائلة الزوج، فهل يكون الزوج زوجاً وأباً فى نفس الوقت، تلـــك دعـــواهم وإذا تـــوفى زوجها الأول واقترنت بأخر فسرعان ما تحمل اسمه على الفور، وســـادتنا وكبراؤنا سارعوا إلى التقليد، فالتقليد عندهم عذب فـــرات لأنـــه الاقتـــداء بالأجانب ودليل على علو الطبقة، ولكن من حسن الحظ أن المقلدين عندنا يقلدون فى المظهر دون الجوهر، إذ تظل الزوجة من الناحيـــة الرســـمية حاملة اسم أبيها، وإن كان ينادى عليها باسم زوجها، وهذا يفسر أننا أمـــة

تحمل بين طياتها خصوصية حضارية، وأن التقليد عارضى أو عرضـــى لمرض الغزو الفكري.

وفى هذا يحدثنا هادى البشرية رسول الله ﷺ : عن أفرى الفرى أو أكذب الكذب أو أكبر الكبائر أن ينتسب المرء لغير أبيه وهو يعلم أباه ، وما يصدق على الرجل يصدق على المرأة، وقد نهى القرآن الكريم عن مثـل هذه الرذائل بقوله تعالى ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥]

وهنا يسخر الأستاذ أنيس منصور فيقول: لماذا تأخذ الزوجة اسـم زوجها – لأنها قد استولت على كل شئ[١].

المسلمة فى مقعد الرجال :

يقولون أن المرأة قادرة على القيام بأى عمل يقوم به الرجل إلا الصمت، ويقول الأستاذ أنيس منصور أن المرأة العاملة لا هىَ عاملة ولا امرأة فهناك نوعان من الرجال، الرجال والمرأة العاملة[٢].

إن المرأة لا توضع الآن حيث تدعو الحاجة إلى أن توضع ، ولكنها توضع لإثبات وجودها ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها لـه، وخلقت المبررات التى تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا أمراً واقعاً للدخول فى دين الملك .

وفى جريدة "استيرن ميل" نشرت كاتبة إنجليزية مقالاً يقطر حسرة وأسى قالت فيه بالحرف الواحد: "إننى أتمنى أن تسير بلادنا على نظام الإسلام، ولأن يشتغل بناتنا خوادم فى البيوت أو كالخوادم خير لهن وأخف

(١) الأهرام المصرية فى ٢٠٠١/٦/٢٩
(٢) الأهرام فى ٢٠٠٢/٤/١٢

بلاء من اشتغالهن فى المصانع والمعامل التى تذهب بجمال أنوثتهن. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفة والطهر؛ إذ الخادم والرقيق يتناعمان بأسعد عيش، ويعاملون كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء، فما بالنا لا نسعى لجعل فتاتنا تعمل فيما يوافق فطرتها، وتدع أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها ؟! [(1)].

وهنا يقول الأستاذ أنيس منصور: المرأة العاملة أنثى أحيانا، رجل معظم الوقت[(2)].

إن الفروق الفردية بين الرجل والمرأة هائلة جداً ، وليس الذكر كالأنثى ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، ولكن المرأة دخلت عالم الاسترجال ولم تأبه لطبيعتها ، وما أصاب عقلها من تشتت بين البيت والعمل، ولم تأبه للضحية وهم الأبناء، والجناية على الجيل.

نعم لعمل المرأة ولكن فى الإطار الذى يحفظ كرامتها ويصون عفافها وأنوثتها فهناك مجالات للرجل ومجالات للمرأة ، وبينهما برزخ لا يبغيان ، فإذا دخلت المرأة عالم الاسترجال فماذا بقى للرجال وماذا بقى للمرأة ؟.

إن الخلل الذى أصاب المجتمعات الغربية فى هذا المجال أصابها بأضرار وخيمة شتى ، منها البطالة والتفكك الأسرى وانتهاء عصر الترابط، وشرعت بعض المجتمعات العربية والإسلامية فى المحاكاة لتتجشم المرأة أرتالاً من المتاعب والمصاعب تتصادم مع رسالتها التى أهلت لها. ومن ذلك :

---

(١) عبد الله الشبانه المرجع السابق ، ص١٦٢

(٢) الأهرام فى ٢٠٠٣/٨/١٥

أ- الآنسة ضابط شرطة [1]:

من الذى يرضى لفتاة أو امرأة حسناء أن تحمى الرجال، وتهبهم نعمة الأمن، هل أمنت المرأة نفسها لتؤمن هى غيرها ؟

نعم الجندية واجب يطوق أعناق الجميع ، ولكن ليس الذكر كالأنثى لقد أصبحت المرأة ضابطاً فى الجيش أو فى الشرطة، وهى تجربة باءت بالفشل حسبما أوضحته التقارير والدراسات التى أفادت أن فتاتنا ليس لديها الاستعداد الفطرى لخدمة قضايا العمل الأمنى ، فانزوى التقليد فى مجالات إدارية لا شأن لها بالأمن.

نعم للمرأة دورها فى سجون النساء، والتفتيش فى أماكن التفتيش وإجراء البحوث ومتابعة سلوك الأحداث والقيام بخدمات اجتماعية وتربوية، ولكن إلى هذا الحد المحدود، فهى لا تستطيع أن تنافس الرجل فى مطاردة المجرمين وإطلاق النيران على العتاة.

هل حدث فى بلادنا العربية نقص فى عدد الذكور فنستعير من الإناث لإكمال مهمة الرجال، أو هو تقليد نستجديه من الغرب وإن لم يكن أهدى سبيلاً ؟ هل نجح الغرب فى تعقب الجناة وأكابر مجرميه بفضل المرأة واختراقها للعمل فى الشرطة..؟

إلى هذا الحد نسمح للتقاليد الأجنبية لتهدم الأعراف الإسلامية ، التى تأبى أن تمكث المرأة لساعات طوال فى العمل خارج المنزل سيما إذا كانت حسناء، وما شأنها إذا كانت حاملاً وحملها ظاهر، هل هذا يتناسب مع مظهر السلطة فى المجتمع . هل يجوز فى العرف الإسلامى أن تجرى تفتيشاً للرجال وفى حجرة مغلقة كما يفعل فى الغرب ، وقد أعجبنى

---

(1) انظر: مجلة زهرة الخليج فى ٩ يناير ١٩٩٩م، الآنسة ضابط شرطة.

تصريحات بعض كبار المسئولين فى بلد كمصر عن فشل هـذه التجربـة والتى يجرى الآن تطبيقها غداة إشهار إفلاسها[1].

إن البطولة معقودة للرجال منذ القدم، ولكن معناها قد تأرجح فـى هذا الزمان، فصار الفنان بطلاً والفنانة بطلة ، فماذا بقى للمحاربين ورجال الشرطة وهم رمز البطولات والتضحية فى كل المجتمعات ؟ ومن الطريف الذى يؤثر فى هذا الصدد خبر تناقلته الأنباء العالمية بالنسبة للجيوش تحت عنوان "جنود يدبرون مكيدة لقائدتهم " وتفصيل القصة ، الأوامر العسكرية تحتم هناك الفصل بين الجنسين فى الثكنات العسكرية أثناء الليل، وقد أفادت الصحيفة أن نفراً من الجنود أرسلوا واحداً منهم إلى موقع القائـد وكانـت أنثى وأوصوه بأن يتلطف معها لإغوائها وإقامة علاقات حميمة معها، بينما ظل الآخرون خارج الثكنة ويراقبون على سلالم متحركة من أجل رؤية ما يدور فى الداخل . وقد انفجروا بعدما شاهدوا ما وقع بينهمـا مـن حـب وغرام ولكن قائد القاعدة كان قد أقبل مما جعلهم يولون الأدبار فسقط واحد منهم على الأرض وكسرت ساقه".

نعم :

يَصرعن ذا اللب حتى لا خلاق له وهن أضعف خلق الله إنساناً

إن المرأة المسلمة تصنع الرجال والنوابـغ والأبطـال تلـك هـى رسالتها وهى أجل رسالة.

ب- المرأة تعتلى المنصة :

نعم هى مثقلة إلى حملها ، فهل يحمل منه شـئ ، أم نزيـد عليـه بدعوى المساواة بين الجنسين، وعلى الفور حين شرع الغرب فـى تقليـد

---

(١) الأهرام فى ١٩٩١/١٠/٢٥

النساء أمر القضاء قلدت بعض الدول الإسلامية كتركيا والعـراق وبـلاد الشمال الأفريقى ، مع أن القضاء يؤرق بالها ويحرج زوجها وبيتها حـين تخرج للتحقيق فى آناء الليل ، فهل هذا تحرير للمرأة أم تبوير؟، مـع مـا جلبت عليه من تغليب للعواطف وسرعة الإثارة سيما فى فترة المحـيض، وما يدريك هل تحتفظ بصوابها حين ترى المجرمين والعتاة وسفاكى الدماء وجهاً لوجه، أو حين ترى الدماء تنزف من ضحاياها، والجثة أو الجثـث تفوح بالروائح الكريهة.

حسناً فعلت مصر حين جرى العرف فيها على تجنيب المرأة أعباء القضاء وإراحتها من عناء تلو عناء ، إذ القاضى ينظر فى اليـوم أحيانـاً مائتين بل ثلاثمائة لا بلْ أربعمائة قضية، فهل نزج بالمرأة فى هذا الخضم، وتدخل المحراب بدعوى التحضر والعصرية لتهدم كيانها الأنثوى .

إنها هموم وشقاء وعناء تلك هى مهمة القضاء، ولذلك رغب عنها كثير من العلماء فهل ترغب فيها النساء؟ لا بل إن الـذى يتبـوأ منصـب القضاء لا يرجو لبنيه أن يدخلوا فى محرابه.فهو عبء ثقيل وكد وعناء.

إن القضاء قديم قدم الدنيا ، والقضاء تلو النبوة ، وما كانت هنـاك امرأة نبياً ، ما سمعنا بهذا فى أبائنا الأولين أن المرأة تغشى مهمة القضاء لتتولى فصل الخطاب ، فهو أمر يكلفها فوق طاقتها، ولا يزال فى الطـب ميدان الجراحة بعيداً عنها مع أن المرأة أقرب إلى مهنة الطب.

أذكر أننى حين كنت مبعوثاً إلى فرنسا للإطـلاع علـى أنظمتهـا القضائية اشترك فى جلسات التحقيق التى كانت تقوم بها قاضية شابة تقوم بالتحقيق فى جريمة هتك عرض أنثى واغتصابها، وطلبت مـن المجنـى عليها ومن المتهم أن يشرحا تفصيلات ما حدث بالدقة، فهل الفتاة العربيـة

والشرقية التى جلبت على الحياء يليق بها هذا. لماذا نفقد خصوصيتنا مرة واحدة، مرحباً بالمعجزات دون المنكرات فى ميدان السلوكيات.

حقاً كما يقول الأستاذ أنيس منصور لقد فشل كل المصلحون فى أن يجعلوا المرأة رجلاً.

وحقاً ما قاله كونفوشيوس[1] " لا يجوز للمرأة أن تأمر وتنهى فـإن عملها مقصور على أعبائها المنزلية فهى مثقلة إلى حملهـا، ولابـد مـن احتجابها فى البيت حتى لا يتعدى خيرها وشرها عتبة الدار.

ومهما قيل يا رجال العالم اتحدوا فالنسـاء قـادمون يزاحمـون، ووهنا على وهن، والمحيض شاهد عليهن، ولكنها المكـابرة، واخـتلال المنظومة الفكرية لنا والجميع فى غمرة ساهون.

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٤/٤/٩م.

الفرع الثانى
شبابنا المزركش .. الغرب مولاهم

الشباب وقابليته للتأثر :

. الإسلام كمبدأ عام لا يمنع أن يكون الشباب المسلم مثل الأوروبى لامع الشعر والنعل حسن الهندام ، يتأنق فى الحديث ويتلطف مع الآخرين ويوزع البسمات والتحيات بأدب جم ، ويتكلم بلغته ولهجات قومه [1].

ولكنا نرى الآن كثيراً من الشباب العربى فقد توازنه النفسى وصارت تستهويه (التقاليع) والتقاليد الغربية التى عليها بعض الشباب الأوروبى وليس كله، وطفق يأخذ من هذا وذاك ودون تمييز بين الغث والثمين، فأصبح تفكيره يحفل بأفكار مشبوهة عن العلاقة بين الجنسين ويزخر بتخيلات تفوق ما يسمع عنه أو يقرأ ، وقد وصل التقليد إلى تطويل الأظافر التى تحمل الأوساخ والأدران وتركها دون تقليم مخالفة للفطرة ، وأصبح الرقص الغربى لوناً من ألوان (العياقة) والتقدم، ناسين أنه رمز للتخنث والفجور والفسق حيث تتلاصق أجساد الرجال والنساء ، بل إنه فى بعض البلاد الإسلامية أصبح خروج الفتيان فى صحبة الفتيات من الأمور الطبيعية التى يستطيع بعض الآباء تقبلها، باعتبارها جانباً من جوانب النمو النفسى والجسمى للمراهق، على الرغم من أن علم النفس أثبت أن الغريزة لا يمكن قتلها أو إخفاؤها أو التسامى بها عن طريق الاختلاط.

إنهم دعائم الأمة وعماد نهضتها، ولكن من يذهب منهم إلى الشرق الشيوعى يعود متيماً، ومن يمكث فى الغرب الصليبى يرتد مفتوناً ومنبهراً، غافلاً عن المساوئ.

---

(١) محمد الغزالي ، الجانب العاطفي من الإسلام ، ص١١٢.

نعم أجيالنا منهم الصالحون ومنهم دون ذلك ، والإنسان يميل عادة فى بداية تكوينه الفكرى والعملى والأخلاقى إلى المحاكاة ، وقد أضـحت مغريات العصر تجاوز مدارك الشباب ، فالتقدم الحضـارى المـادى قـد انطلق، بينما الفجوة الثقافية هائلة وماثلة . والتأثير الأجنبى يستهدف شبابنا بصفة خاصة .. يريدون أن تنقطع الصلة بماضيه، فلا يريهم إلا ما يرى ، مع ملاحظة هامة أن شباب الغرب إذا انغمس فى الموبقات فلا تزال تطلع على إيجابيات كثيرة لهم تجعل المسيرة متواصلة، أما عندنا فالسلبيات ثقلت موازينها، وصارت إيجابياتهم تتوارى من القوم، وصار الاهتمام بالشـعر والنعل، أو كما يقول الشاعر حافظ إبراهيم :.

قيمة المرء عندهم بين ثوب	**باهر لونه وبين الحذاء**
إن قومّى تروقهم جدة الثوب	**ولا يعشقون غير الرداء**

شاب فارغ فارغ ذلك هو المثل الأعلى للأمريكى ، فهل شبابنا على آثارهم مقتدون، نعم صار الغرب مولاهم، فجماهير غفيـرة غيبـوا عـن الوعى الدينى ، ألفوا آباءهم ضالين، فأصبح كل وافد من الغـرب مبهـراً لهم، وأصبح الغرب قبلتهم وآسفاه فى المظهر دون الجوهر، وفى القشـور دون اللباب، حتى أنه لو أصبح النظر إلى القذر عادة عند شباب الغرب أو عبادة لطفق أبناؤنا مقتدون ومقلدون، وما عبدة الشيطان عن ذلك ببعيد.

جماهير عريضة منهم لاهية قلوبهم ، سيما من أبطـرهم التـرف، فأصبح التمرد على المعروف مألوفاً، وإذا تزين شباب الغرب بأساور من فضة يحلون بها فعندنا تبع لهم ، ناهيك عن السلاسل الذهبية فى الأعنـاق التى تفقر الاقتصاد الفقير ، والتى لو جمعت لتكـاد تنشـئ اقتصـاد دول

بأسرها، وحقاً ما يقوله المفكرون أن أهم ما يميز الشباب فى هذه الأيام أنه بلا مزايا. أين هؤلاء من سلفنا الصالح الذين كان الواحد منهم يعدل أمه..؟

الشباب العربى يتبخـــتر بالشورت الغربي

هل تغير الزى القومى أم أصابته نكسة ؟

فوجئت فى زيارة عائلية يوماً ما بشاب فارع فارغ يخرج علينا فى بيته بالشورت مكشوف الفخذين أمام الأسرتين ، مع أنه من أصل ريفـــى ومن صعيد مصر، مع أننا نذهب إلى بلاد الغرب فى أبهى حللنـــا والتـــى نضن بها على بلادنا، ولكن الشباب الغربى إذا قدم إلينا يكاد يمشى عريان الفخذين، وكم من المعجبين به والمتيمين ، ولا يستطيع شاب عربى هنـــاك أن يظهر بالشورت الغربى .

يا لها من نكسة لأعرافنا ولطمة لقيمنا، وإن من أشر الناس مـــن لا يعرف المعروف أو ينكر المنكر.

هل يجوز لرجال الغد وأبطال المستقبل تقليد السائحين الذين يفدون إلى بلادنا موصومين بالعرى البدنى .

هل شيم الإسلام وقيمه قد أعطت رخصة للشباب العربى أن يتبختر كالأخطل أو الأهطل فى مجتمعه الإسلامى ، يجوب الشوارع والطرقـــات مكشوف الفخذين عارى الركبتين ويقابل الأصدقاء والصـــديقات ويصـــدم العرف الإسلامى ، هل تستوى ملابس الشاطئ بملابس الحضر، هل هؤلاء شبابنا الذى سندخل بهم سباق التسلح ، فإذا هم سبقوا إلى سباق (التشلح).

هذا هو الفاروق عمر بن الخطاب أمير المؤمنين كانت فيه الجلالة فى أسمى معانيها فى برده كاد يطول العهد يبليها ، فلا يا أتباع محمد ﷺ،

إن تقدم الغرب لم يأت من ارتداء الشورت، وإنما من ثقافتـه وإيجابيـات تفوق السلبيات، ويوم انكشفت عوراتهم صارت تضعف من رصيدهم.

قصات شعر غربية

وانتقلنا من الشورت القصير إلى تسريحة الشعر التى تفد إلينا عبر الشاشات والفضائيات مثل (الكابوريا)، فتلك قصة مـن المـارنيز، فـإن قصروا شعورهم قصرنا، وإن أطالوه بغير ترتيب أطلناه ، وإن ضـفروا ضفرنا، وإن صبغوه قلدنا ، وإن أرسلوه إلى الكتفين فعلنا، وإن أرسلوه إلى اللحى أو أطالوا سوالفهم اقتدينا، وهذا دأب الإمعات، ناهيك عـن ملابـس تحط من قدر الرجولة، وهنا لعن رسول الله ﷺ "الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس الرجل" ويقول القرآن الكريم ﴿.. يُوَارِى سَوْآتِكُمْ وَرِيشًـا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾

[سورة الأعراف:٢٦]

أتباع جاكسون

وقد صار أتباع جاكسون المفتونين اليوم بالملايين ، ووقـر فـى أذهانهم أن ذلك هو التقدم بعينه ، وكم ينتظر الكثيرون يـوم رأس السـنة الميلادية بفارغ الصبر لكى يذهبوا بعيداً فـى الخـروج علـى المـألوف وارتكاب المنكرات والهزل الرخيص.

إن الأمة إذا أرادت النهوض فى كل ضـروبه فإنهـا لا تـنهض وتحارب بالراقصين والراقصات، وإنما بالسواعد الفتية والإيمان الصـادق والعلم النافع المواكب للعصر. فحينئذ يكونوا أولى قوة وأولى بأس شـديد، فتفتح لهم أبواب السماء وأبواب النصر.

تقارير الخبراء فى بريطانيا طالعتنا فى حسرة شديدة أن ثلث الشباب هناك تحت سن العشرين قد ألفوا تعاطى نوعاً من المخدرات، ويعزى ذلك إلى حفلات الرقص التى تمتد طوال الليل حتى يصير مغموراً أو مطموراً[1].

واليوم وفى كل المناسبات السارة وحفلات الميلاد تكاد تغتالنا التقاليد الغربية، كمدخل لهزائم المسلمين، تفتح أبواب الخلاعة والميوعة على الديسكو والموسيقى الصاخبة وما يصاحبها، وليشيع كم التفاهة فينا قانعين بمخلفات المدنية الغربية[2] ، لقد شيدت دولة الإسلام على أكتاف الشباب المسلم فما لكم عن التذكرة معرضين ..؟

وأخيراً :

تشبه كل من الجنسين بالآخر[3]

واقع مرير نشهده كل حين، اندفاع بعض النسوة والفتيات المهزومات فكرياً إلى الظهور فى المجتمع بمظهر الرجال، بل يتحدثن على النحو الذى يتحدث به الرجال، كما نألف من بعضهن وضع الرجلين الواحدة على الأخرى ، وتدخين السيجارة، وتقصير الشعر ما استطعن على غرار ما يفعل الرجل، حتى ليكاد الإنسان أن يفقد ملكة التمييز بين الجنسين معتقداً بذلك أن هذا من سمات المرأة العصرية.

وعلى النقيض من ذلك نشاهد كثيراً من الرجال كالصبيان قد أهمتهم أنفسهم، يميلون إلى عادات النساء، فيتركون شعورهم تتدلى على

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٩٣/٦/٢.
(٢) د. عبد الفتاح عبد الكريم، اللواء الإسلامي ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ١٩٩٢/٩/١م
(٣) أحمد شلبي، الحياة الاجتماعية فى التفكير الإسلامي ، سنة ٧٢، ص ٢٣٦.

أكتافهم ، ويتزينون بالذهب حول المعصم، وهذه العـادات وأمثالهـا قـد استوردناها من الأبطال الفاتحين (جماعة الخنافس)، الذين انتجهم الغـرب وقدم لهم كل تحية، ولطالما تحير الإنسان أو تردد أمام هذا الجنس الثالـث كما يسمونه ، أهو من النساء أم من الرجال.

أما المبدأ الإسلامى فى هذا المجال فقد عبر عنـه رسـول الله ﷺ وآله وسلم بما رواه عنه عبد الله بن عباس "لعن رسول الله ﷺ وآله وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال".

ما هى سمات الرجولة والأنوثة فى المجتمع الشـرقى المسـلم، إن سئل أفراد الجنسين من أجناس وافدة عليهم للإطـلاع علـى حضـارتهم وأصالتهم وخصوصيتهم.

المراسلة بين الجنسين سيما عبر الإنترنت :

المراسلة بين الجنسين فى الثقافة الغربية هى نوع من تأكيد الـذات وتوسيع دائرة المعارف، غرام معبأ داخل الرسائل أو عبر الهاتف، تجلـب الخداع والتغرير، فهى هواية مبهمة.

• فالمراسلة بين الجنسين، طريق مفروش بالأوهـام، لأن الصـداقة البريئة قد تلد علاقة غير شريفة، وكم تكون موجعة فى النهاية أو مخجلة، نعم لها فى الغرب ما يبررها حيث تختفى الحواجز بين الحلال والحرام.

فمراسلة الرجل للرجل أو المرأة للمرأة لا شبهة فيها إلا أن تنطوى على منكر من القول، أما المراسلة بين الجنسين الغرباء فهـى لا تجـوز بحال من الأحوال، فلا يجوز للرجل أن يراسل امرأة أجنبية لما فى ذلـك من فتنة فى الدين واستدراج للأذى ، أما شعارات الانطلاق والتطور فقـد

جرفت الغرب إلى مزالق كثيرة، فبم إذن تبشرون حين تفقد فتاة المراسلة سمعتها التى تحيا فى كنفها حياة طيبة تعصمها من الفضائح، ناهيك عن أن المراسلة بين الجنسين قد تتحول إلى خطر داهم يداهم العقيدة والشريعة، أو حين تكون تهديداً من الإنذال بكشف الأسرار وابتزاز الأموال. أو تتحول إلى مصيدة لجهات مشبوهة قد تكون شباكاً للتخابر مع الأعداء.

حتى الطعام داهمته الموضة

ثقافة (الهمبورجر) أو (التيك أواى)

من المعلوم أن النمط الغذائى يعد إحدى السمات المميزة لكل شعب من الشعوب، بل لكل جماعة من الجماعات الإنسانية[1] ولكننا نرصد اليوم انتشار سلطانى لمحلات الأغذية الأجنبية مع أنه كما يقول أساتذة علم الاجتماع: أن الطعام القومى ثروة قومية وطنية، ولكن انقراض الإقبال عليه والانصراف إلى الآخر أصبح اليوم من سمات شبابنا. نعم هناك تحول جرئ مرصود يجر إلى قرية كونية واحدة متشابهة فى الملامح تهيمن عليه الثقافة الغربية عامة والأمريكية خاصة، حتى أن مفهوم العولمة يكاد أن يتحول إلى مفهوم شعبى رغم الغموض الذى يكتنفه عند المثقفين، لتعنى تدمير الهوايات الثقافية لصالح نمط ثقافي واحد وما يتبعه من سلوك أوحد.

وقد أذعنت مجتمعاتنا الآمنة لثقافة الأطعمة الحديثة التى تشكل سلاسل عابرة القارات والجنسيات واختراق حصون القوميات، باعتبارها مشروعات اقتصادية عملاقة، فخصت بلادنا بفوج مقتحم من محلات

---

(١) د. محمد يوسف ، الأهرام ٢٠٠٠/١٢/٢٩

الأغذية الأجنبية، نتاج ثقافة (الهامبورجر)، سيما دول الترف والسرف لتعصف سلوكياتنا المرتبطة بالعادات الاجتماعية للطعام، وهى من أكثر القيم تأصلاً فى المجتمع. بل تعدت إلى غير المترفين كمظهر للتقدم عندهم والتحضر فى الأذواق.

وارجع البصر فى أسماء تلك الأطعمة فهى خير شاهد لنا أو علينا. بل وقلدناهم فى السرعة والأكل على طريقتهم التى تقول أنهم يعيشون عصر السرعة، فكانت الوجبات السريعة والتى صارت تغزو كل مدينة وقرية فى بلادنا[١]. والراصدون لكل وافد دخيل على أنماط الحياة فى المجتمع يضعون ثقافة (الهامبورجر) كعادة دخيلة تصيب مجتمعاتنا بأشكال من الانقسام الاجتماعى ، فتعمق الهوة بين طبقات المجتمع إذ أصبحت جماهير غفيرة من أجيالنا لا تفضل أنماط غذائنا التقليدى الوطنى ، كل هذا بسبب جاذبية الوجبات السريعة للفئات الشابة، وكم من آثار خطيرة تنجم عن أشياء صغيرة فى حياتنا لتنهار معها المواعيد المقدسة لاجتماع الأسرة حول الطعام حيث الفرصة مواتية للحوار والتوجيه والانتقال السلمى للثقافة وغرس القيم عبر الأجيال فى هدوء وراحة، ولتئن الأغلبية التى ينتابها شعور بالعجز عن الانخراط فى هذه السلوكيات والتهام هذه الوجبات، مع أن الباحثين مؤخراً حذروا من تكرارها لما تحتويه من مواد تؤثر فى كيمياء المخ كمكسبات الطعم وتسلبهم الإرادة فتجعل قرار التوقف عن هذه الوجبات فى غاية الصعوبة مثلما تفعل عقاقير الإدمان[٢].

---

(١) انظر: المرجع السابق، الهزيمة النفسية، ص ١٤١.

(٢) انظر: د. محسن الألفى الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٢٥، لدرجة أن الأطباء ينبهون إلى ضرورة أن يكتب تحذير على علب الوجبات السريعة بما يفيد أنها ضار بالصحة أسوة بما يكتب على علب السجائر.

واقرأوا يا سادة ما سجله الأستاذ أحمد بهجت[1] "هناك دول تشتهر بمطابخها مثل المطبخ الفرنسي فى أوروبا، والمطبخ التركـى فـى آسـيا والمطبخ المصرى فى أفريقيا. كان الذى يتحدث فـى إحـدى المحطـات الفضائية رجلاً يمتلك مطعماً شهيراً فى فرنسا، ويبدو أنه كان فى الأصـل طباخاً، لأنه كان يتحدث عن الطعام بلغة شغرية كعاشق يناجي حبيبته، بعد مقدمة عن المطبخ الفرنسي وأطباقه الشهيرة وإبداعاته فى عالم الطهـى ، بعد هذه المقدمة دخل فى الموضوع كما نقول نحن بلغة الصـحافة، وبـدأ الطاهى الفرنسى يهاجم ألطعام الأمريكى السريع كالكنتاكى والهـامبورجر وغيرهما، كان الطاهى الفرنسى يهاجم هذه النوعية من الأكل الذى يعتبره العالمون ببواطن الأمور أنها مجرد (زبالة) لا أقـل ولا أكثـر، واعتبـر الطاهى الفرنسى أن هذه المطاعم الأمريكية السريعة تهدد الذوق الفرنسى ، وتهدد المطبخ الفرنسى وتعتبر لوناً من ألوان الغـزو الحضـارى النـاعم المرفوض. صحيح أن إيقاع الحياة قد تغير والناس صاروا يأكلون اليـوم وهم يمشون فى الشوارع أو يجرون للحاق بالمترو.. هذا كلـه صـحيح، ولكنه لا يبرر أن يهجر الناس المطاعم الفرنسية حيث تكشف الحياة عـن مباهجها ويتحول الأكل إلى متعة وسعادة.. مضى الطاهى الفرنسى يتحدث بحماس كأنه يتكلم فى السياسة لا فى الطهى وكان يبدو عليه الاهتمام كأنه أمام مشروع لإنقاذ البشرية، وفى نهاية حديثه أطلق الرجل صرخة باسـم المطاعم قال فيها: نحن فى طريقنا أن نتحول إلى متاحف".

إن ندوات الأطباء التى حملتها لنا وسائل الإعلام صـارت تجـأر وتزأر على ما أصاب شبابنا من التقليد الأعمى ، هل الطعام موضة غربية أم هو ضرورة صحية [2].

---

(1) أحمد بهجت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٩.
(2) الأهرام فى ٢٠٠٢/١١/١٥م.

والشرطة تعثر على عبد الطاغوت فى ديارنا :

جرثومة غريبة أخترقت بعض المجتمعات الشرقية يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول، أجاء بهم الانهزام الثقافى فأرسلوا شعورهم وارتدوا سراويل الجينز الممزقة، والوشم على الأكتاف برموز شيطانية، والموسيقى الصاخبة وولعهم بالملابس السوداء حلتهم، من طقوسهم أجسامهم ملطخة بدماء القطط والفئران، أحياناً يتجردون من اللباس وتأمرهم أحلامهم بممارسة الجنس الجماعى ، مع التركيز على اغتصاب الأطفال والفتيات، يمارسون الإباحية كاملة على أنغام الموسيقى الأجنبية الصاخبة.

هم شباب يتمتع بالثراء ولكنهم يعانون من فقر فى الثقافة الإسلامية يحبون التقليد فى الهوجاء والعوجاء.

وقد يصل الأمر بينهم إلى التضحية بأبنائهم ، وذبحهم وأكل لحومهم وشرب دمائهم، وقد يجهضون المرأة فى شهرها الخامس ليقدم الجنين قرباناً للشيطان، وعلى المجهضة أن تأكل من جنينها. ومن مخططهم استدراك أسرهم إلى مستنقع التقليد، واستمالة الآخرين بإقناع المراهقين بالثورة على الدين، ومن يزغ منهم عن أمر الجماعة يكون عاقبة أمره خسراً، وهم يمارسون طقوسهم داخل أماكن سرية مريبة، وقد سرت عدواهم إلى دول من بريطانيا وبلجيكا والولايات المتحدة، فكان لهم عندنا أتباع وسماسرة فى لبنان ومصر .. وغيرها.

. فقد فجع الرأى العام فى مصر بظهور اتباع لهذه الطائفة فى شهر رمضان سنة ١٤١٧هـ عندما ضبطوا وهم يأتون فى ناديهم المنكر، وهم يربطون المصاحف فى الأحذية وصرخات صاخبة، وقد أسفرت تحقيقات

الشرطة عن مفاجآت مليئة بالإثارة والغرابة، فمن طقوسهم مثلاً ممارسة العنف ضد بعضهم، ونبش القبور وتحريم الزواج مع الإباحية الجنسية، أما الرجال فتعرفهم بسيماهم، إطالة الشعور وأظافر اليد، وتستخدم الفتيات اللون الأسود لطلاء الأظافر والشفاه، يحملون ميداليات لها أشكال غريبة كالجماجم، والملابس السوداء رداؤهم، عليها أسماء الفرق الموسيقية العالمية والمقابر والمعكوف من الصلبان، مع اتخاذ الوشم فى عموم الجسم والدخول فى حلقات للرقص حتى الثمالة وإتيان المنكر فى ناديهم.

وعلى الفور اعترفوا بذنبهم[1] وكانت دعواهم أم تخلت أو أباً مشغولاً، ناهيك عن أنهم من المكذبين أولى النعمة أو من أصحاب الجاه الذين لا يذكر فى بيوتهم اسم الله، أو من طبقة الأغنياء الجدد العارين عن المجد، وفى مصر أسدت الشرطة إليهم خدمة جليلة، فقامت باستئصال شأفتهم، فمزقوا كل ممزق.

---

(١) إبراهيم نافع الأهرام فى ١٩٩٧/٧/٣١

الفرع الثالث

مظاهر التقليد بوجه عام[1]

١- التغريب فى مجال الفكر والتعليم والثقافة:

حقاً ما أدركه المؤتمرون فى مؤتمر تطبيق الشريعة الإسلامية بالخرطوم أن أخطر العقبات التى تواجه الصحوة الإسلامية والزحف الإسلامى اليوم إنما تأتى من قلة أو نخبة رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، فأصبح كل همهم هو النقل والاقتباس متناسين اختلاف البيئات؟، وتميز الإسلام بشريعة خاصة ودين قيم وينابيع عذبة، فالتبعية الثقافية مبثوقة فى كثير من المناهج الدراسية التى تدرس فى العالم الإسلامى ، ويتكون من مجموعها مركب فكرى وعقائدى يخالف روح الإسلام[2].

وأول الميادين التى داهمها التغريب واستحوذ عليها، مجالات الفكر والثقافة والتعليم، فأضحى ذلك الميدان مُحاطاً بقيود وأغلال ثقيلة، أسيراً للثقافة الغربية.

ومثال هذا الاقتباس ما نجده من ترويج أفكار علماء الغرب كنظرية فرويد – ذلك اليهودى – فى التحليل النفسى والتركيز على الجنس وتبريره

---

(١) هناك أيضا مظاهر لخرى لتقليد الغرب، مثلاً الجندى المجهول، فهل توضع أكاليل الزهور على مقابر الشهداء أم على مقبرة جندى مجهول، لاشك أن مقابر الشهداء أحق بها وأهلها. إن مقابر الشهداء هى مقابر حقا وتعنى خلفية ثقافية إسلامية عميقة؟، أما مقبرة الجندى المجهول فليست سوى (اتيكيت) عصرى لا يقدم ولا يؤخر، ناهيك عن أنها ليست مقبرة حقاً فليس فيها جندى مجهول يزار.

(٢) ففى كتب العلوم الطبيعية نجد مدونا بها أن الطبيعة قد وهبت للإنسان كذا وكذا من الطاقات والقابليات، وأوجدت الأكسجين والهيدروجين مثلاً خصاة التألف لتركيب الماء من خلق الطبيعة ومن ركب فى الماء عناصره ءإله مع الله ؟ **﴿ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾** صدق الله العظيم [الواقعة:٦٩].

فى التصرفات ودوافع السلوك ، واعتبار الإنسان عبداً للجنس الذى يتحكم فى فكره ومشاعره وسلوكه [١]، دون أن تكون الدراسة متبوعـة بـالنظرة الإسلامية الرشيدة التى تميز بين الخبيث الطيب.

كما نجد تجاهلاً لشأن علماء المسلمين كابن خلدون وغيـره مـن أساطين العلم والمعرفة، ناهيك عن ترويج الأفكار الغربية والغربيـة فـى مجالات كثيرة مما يسئ إلى مجتمعاتنا إساءة بالغة، لاختلاف الجذور والتى تقوم على العلمانية والوثنية اليونانية، فلا عجب أن تنشـأ هنـاك فلسـفة الوجودية على يد زعيمها المدعو "سارتر" ذلك الفيلسوف الذى استولى على فكر كثير من المثقفين لدينا والذى يقول: إن ما ينبغى أن تكون عليه حيـاة الوجود هو توديع ما يسميه الجبناء وجداناً وضميراً والاسـتجابة لـداعى الحيوانية وتلبية ما تدعو إليه شهوته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية قفزاً إلى المصير المحتوم .. إلى الهاوية .. إلى الموت والعدم الأبدى [٢].

وفى مجال التعليم العام وقر فى أذهان بعض قادته أن الإسلام عقبة فى سبيل التطور الحضارى ، وأن الشرق حتى يدخل فى سباق التقدم عليه أن يذر الدين ويحصره داخل المساجد وبذلك نفسح المجال للتطور. وساعد على ذلك أن المسلمين – وعلى عكس ما يأمرهم به قرآنهم – لم يكترثـوا بتطوير نظام التعليم التقليدى ليكونوا قادرين على المواجهة، ممـا سـهل لأعدائهم فرصة توجيه الاتهام.

وهناك وفود غربية للتغريب جاءوا ليتموا رسالتهم السامية، للتفتيش على العقول والمناهج فى البلاد العربية والإسلامية، سيما فى الوقت الـذى

---

(١) د. أكرم العمري، مهمات أساسية أمام الجامعات الإسلامية، الأمة ١٤٠٣هـ.
(٢) وليم جيمس ، إرادة الاعتقاد ، ترجمة د. محمد حب الله ، ص ١٢١.

صرنا فيه أذلة للحضارة الغربية، وتأتى محاولة تطوير المناهج على النحو الذى يرنون إليه لنزع الكراهية لليهود أو الغرب، وهى كراهية ليست نابعة من مناهجنا وإنما من القهر وغياب العدالة فى التعامل مع القضايا العربية والإسلامية[1]، وفى الوقت الذى يهيئ فيه اليهود أبناءهم لكراهية غيرهم وخيانة عهدهم ويبيتون لنا ما لا يرضاه عدو لعدوه.

إن جلب المناهج المستوردة وغرسها فى ميادين الدراسات الإنسانية تقلع الإنسان ولا تزرعه، مستوردة ممن تخصصوا فى استعمار الشعوب، والنيل من نيلهم، والذهاب بذهبهم.

استبدال الدين بمادة الأخلاق[2]

• هذا ما يرنوا إليه أصحاب السيادة، فحضارات العالم بزعمهم لها رؤية مشتركة فى بناء الإنسان، ذلك الإنسان الذى يلتزم بالأخلاقيات الكائنة فى كل حضارات العالم، فهناك صورة عن الفضائل الأساسية للديانات الثلاث، تلك دعواهم، ولكن هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فأى أخلاق تودون ؟ هل هى أخلاق المدنية الغربية التى تجعل البغاء مهنة حرة، هل هذا مدون فى شريعة عيسى بن مريم، أم هى أخلاق اليهود الذين يسعون فى الأرض فساداً، أم هى أخلاق مؤتمر بكين الذين خلصوا بغياً إلى استحباب تنمية الدعارة والفسق المبكر لشباب العالمين.

---

(١) أمركة الإسلام ، مجلة الأسبوع ، العدد ٢٥٦ فى ٢٠٠٢/١/٢١.
(٢) جريدة الأسبوع، العدد ٣٣٠، فى ٢٠٠٣/٦/٣٠م.

حتى المناهج الدينية وفق المشيئة الغربية [1]

محاولات حقيقية لأمركة الإسلام، ومسلسل لجعلنا أذلـــة ، وفــود غربية مكوكية لاستطلاع المناهج فى البلاد العربية ترنو إلى مـــا يســـمى بتعديل لغة الخطاب الدينى ، والسؤال المطروح هل نستطيع أن نطـــالبهم بالمثل، أم هى مجرد هيمنة مشاعر العداء والعنصرية تجاه كل مـــا هـــو إسلامي.

إن مناقشة تطوير المناهج أو تطوير لغة الخطاب الدينى فى وقـــت تشتد فيه الضغوط الكريهة على أمتنا بحمل شبهات تلو شبهات كما **يقـــول الدكتور/ أحمد كمال أبو المجد** فى أنه سيفقدنا اعتزازنا بأنفسنا لنصبح أذلة صاغرين لأبناء المدنية الغربية، وحينئذ لا تستطيع أمة أن تبنى مجدها إذا فقدت استقلالها سيما فى مجال الثقافة والحضارة، فإنها تضحى إذاً كجذوع النخل.

٢- التغريب فى مجال التشريع :

القوانين الغربية تغيير على بعض أحكام الشريعة الإسلامية..

شريعة الإسلام ما عاش تحت ظلالها مغبون، فهى منزلة من لـــدن حكيم عليم، ولكن فى أيام نحسات وفدت على الساحة الإسلامية فى مجـــال السلوكيات والقيم، قوانين غربية لا تستند إلى شريعة سماوية؟، فأصـــابتها بفصام فى الشخصية، تناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين، أعـــراف منقولة غير مقبولة لا مرحباً بها تشجع الخنا وتشيع الفاحشة فـــى الـــذين أمنوا، ومع أن أعدادها كانت قليلة إلا أن ضربتها كانت موجعـــة وأليمـــة

---

(١) انظر جريدة الأسبوع ٢١ يناير ٢٠٠٢م ، هوجه تفضيل المناهج الدينية على المزاج الأمريكي.

أثرت فى الواقع الإسلامى تأثير الفيروس المنهك للبدن، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠]

نعم هناك قوانين أجنبية استوردناها كانت نموذجية وبناءه كما فـى مجال التنظيم والإدارة والقانون الإدارى وتخطيط المـدن، ولكـن هنـاك قوانين أخرى ليست كلها تحمل طابع الرشاد سيما فـى مجـال الأخـلاق والاجتماع والاقتصاد والسلوكيات.

فى تركيا كعبة الخلافة الإسلامية كان أتاتورك هو أول من سن سنة سيئة ومن ثم فعليه وزرها ووزر من عمل بها، فاستبدل الذى هـو أدنـى بالذى هو خير، ونحى جانباً من قوانين السـماء بـدعوى أنهـا "قـانون الصحراء" فمنع تعدد الزوجات، ولا تثريب على متخذى الخليلات ، ساوى بين الرجل والمرأة فى الميراث، وليس الذكر كالانثى ، وقيد الطلاق مع أن فيه سعة للمرأة حتى تتخلص من زوج بغيض. وهكذا كان خطاب الكماليين فى تركيا ينحو نحو إسلام جديد، غير ذلك الدين القيم الـذى كـان نقلـه حضارية فى تاريخ البشرية. وحققت تركيا بفضله أكبر إمبراطورية عظمى وسجلت صفحات مضيئة فى التاريخ الإسلامى المجيد.

إن التشريع كان أكبر مدخل التغريب فى القـرن التاسـع عشـر وتمكنت بواسطته الدول الغربية من اختراق الدولة الإسلامية والعثمانية مما أدى إلى تراجع الشريعة الإسلامية لصالح القوانين الغربية، وهكـذا بـدأ فصل الدين عن الدولة وأطرد انحسار الشريعة الإسلامية حتى هيمن النظام الغربى وسلك ينابيع القضاء ونظام التجارة والتنظيم الجنائى ، والغريب أن الفرنسيين والإنجليز لم يغيروا شيئاً من قوانين الأحوال الشخصية، ويريـد المسمون بالعلمانيـين اليوم تغيـيرها، وفى مصر تسرب القانون الغربى إلى النظام المصرى بعد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م التى فتحـت الأبـواب

على مصاريعها للأجانب بمن فيهم المرابون وفئات المغـــامرين، والـــذين احتموا بنظام الامتيازات الأجنبية، حتى وصل الأمر إلى أن كان هناك ١٧ نظاماً قانونياً، وكانت الطامة الكبرى فى بواكير عهد الخديوى إســـماعيل حيث كانت بداية النهاية فى تحويل مصر إلى مجرى القانون الفرنســـى ، وأصبح القانون وضعياً أى من وضع الإنسان وافداً لا يتناسب مـــع القـــيم الاجتماعية ذات الأصل الديني.

• خذ مثلاً بسيطاً مع كونه خطيراً، فالمبدأ عندنا فى الإسلام أنـــه لا يضيع دم هدراً، ولقد نحيت أحكام دية المقتول عمداً أو خطأ مـــن أحكـــام القوانين فى كثير من البلاد الإسلامية المصابة بالغزو فى مجال التشـــريع، فكان العبث بالأرواح، وآلاف مؤلفة مـــن الحـــوادث يرتكبهـــا الســـفهاء والمخمورين، دون دفع دية المقتول منه أو من فصيلته التى تؤويه .

وكذلك هبطت علينا فقرات هائلة من القوانين الأوروبية فى المسائل السلوكية والأخلاقية، لتنخرط فى قوانيننا لتفتح الباب لصفوف من الرذائل الأخلاقية التى ألفتها بيوتات الغرب ومن أمثالها:

الزنا على سبيل المداعبة حرية فى التشريع الوضعى :

• فى القانون الغربى لا تثريب على من ارتكبت الفحشاء على سبيل المداعبة مع فتاة أو امرأة برضائها ، بل وإن كانت فى ذمـــة زوج غيـــر غيور جُبِّلَ على الخنا فالتزم الصمت، أما الزوج الغيور إن هـــمَّ بالانتقـــام لشرفه فقتل المغتصب حوكم وحوسب وحبس، وأما المغتصـــب إذا قتـــل الزوج الغيور فلا تثريب على القاتل المغتصب لأنه كان فى حالـــة دفـــاع شرعى عن النفس، وبالنسبة لزنا الزوجة فلا عليها لأن الزوج قد مـــات، فهو صاحب الحق وحده فى الشكوى إلى القضاء .

وفى جريمة الدعارة بالأجر يشهد الزانى علـــى الزانيـــة وتســـمع شهادته ليصير مصيرها على هدى أقواله، والغريب أن أحداً فـــى الـــبلاد الإسلامية للآن ابتداء من رئيس الدولة حتى أصغر صعلوك بها لم يقل أن الزنا مباح، فالجميع مجمعون بفضل الله على أن الزنا حرام.

والغريب أن عقلاء الغرب صاروا يطالبون شرع الله فى بلادهـــم كجلد المخمورين وإعدام الغاصبين بعدما فشلت قـــوانينهم فـــى إصـــلاح سلوكهم. أما نحن فموقفنا من شريعتنا سمعنا وعصينا، لتحـــدث تحـــولات خطيرةٌ فى مجالات عديدة سيما فى علاقة الرجل بالمرأة والزوج بزوجته، ولتهتز الحواجز بين الحلال والحرام، ولتنطلى القوانين الغربية حتى على كبار المثقفين لدينا المصابون بالهزيمة النفسية.

وهناك قوانين إسلامية صارت تسوى بين الرجـــل والمـــرأة فـــى الميراث، وبلاد أخرى أنهكت نفسها فمنعت تعدد الزوجـــات فولـــد تعـــدد الخليلات، وهو أبشع الموبقات.

٣- التغريب فى مجال اللغة:

اللغات الأجنبية تغيظ الحسناء فى ديارها:

١- باى باى يا تنت ، أوكى يا أونكل ، برافو يا مدام

سباق محموم يشهده المقربون، ويقوده المترفون والمثقفـــون معـــاً لإقصاء بنيهم أو ذويهم عن لسان العرب لحساب الغرب ، بالتزاحم حـــول مدارس اللغات الأجنبية، وأصبحت المدارس الخاصـــة بمثابـــة ســـاحات لاغتيال اللغة العربية وتشويه لسان الأجيال، فالحرف الغربى يفتح البـــاب لهيمنة الفكر الغربي.

وبالجملة فقد أصبح تفوق الطلاب عندنا مرهون بالغب من اللغات الأجنبية، التى أصبحت ذائعة وشائعة.

ومن العجب أن كثيراً من الغيورين على الإسلام ينغمسون بدورهم فى إعلاء اللغة الأجنبية على لغتنا العربية، فهو يضع ماكينة على تليفونه تتحدث إلى طالبيه عند غيابه بالإنجليزية، وكروته مطبوعة باللغة الإنجليزية، وصار البعض اليوم مفتوناً بكلمات يرددها فى المجالس والمحافل، دلاله على الشخصية والتقدمية، بل لاحظت شيئاً مهما من خلال عملى بالقضاء فى دول الخليج، وهو أن العقود بين الشركات تحرر باللغة الإنجليزية ولا توجد نسخة لها باللغة العربية مع أن الصفقة عربية فى بلد عربي..!!

وهكذا يستدرجون آلة التغيير إلى غير اللغة العربية وفى عقر دارها، وهو ما يصيبنا بحالة من البلبلة اللغوية، سيما فى عصر صراع الأممية، حيث يبتغون لنا الدخول فى دين الملك والانصهار فى ساحة العولمة وما فى ذلك من أخطار لم تكن فى الحسبان.

فالتلاميذ الذين يلتقون المعارف بلغتهم القومية يستوعبونها بصورة أعمق مما لو تلقوها بلغة أجنبية، ناهيك عن أن تعليم الطفل بلغة أجنبية يصيبه بعقدة الشعور بالدونية إذ يصم لغته بالقصور، لإدراكه أن اللغة التى يتحدث بها والده وأسرته ليست مؤهله لتوصيل المعارف إليه، وأنها دون اللغات الأجنبية.

إن التجانس الثقافى هو الذى كون دولاً وإمبراطوريات مثل روسيا والصين والولايات المتحدة، فهل تتحول البلاد العربية إلى جزر أجنبية على نحو يغيظ العربية فى ديارها لتصبح حسناء عند أعمى .

. إن مــن الألغــاز التــى حيــرت الثقــات مــن علمــاء اللغــات على مــدى التــاريخ أن لغــة القــرآن كانــت ســريعة الانتشــار فــى البلاد التى دخلــت فــى ديــن الله أفواجــا، فســرعان مــا تحلــى بهــا أهلها وتخلو عن لغتهم من غير قهر.

لــيكن معلومــاً علــم اليقــين أن الإســلام يحــض علــى تعلــم لغــات الأعــاجم والأجانــب بــل وإتقانهــا بشــرط ألا تفــرط علينــا أو أن تطغى ، فتطــوى لســاننا ليكــون احــتلال اللســان أنكــى مــن احتلال الأرض.

والــدول العظمــى كاليابــان والصــين قــد حــازت أنــواط الجدارة، وما لســانها بلغــات دخيلــة، بــل وهــاكم إســرائيل الدولــة الناشئة كيــف تســتوعب كــل علومهــا بلغتهــا القوميــة مــع كونهــا باليه، ولكنها احتضنتها لكونها لغة عقيدتها وسر قوتها.

وأخيراً فــإن الخطــر كــل الخطــر فــى المــدارس الأجنبيــة لا يكمن فــى تعلــم اللغــات وإنمــا يتجــاوز إلــى تهديــد الســلوكيات الإســلامية، فتلــك مــثلاً معلمــة تطلــب مــن تلاميــذها المســلمين أداء صــلواتهم فــى نهايــة الأســبوع جملــة علــى غــرار طقــوس دينها، وجميع التلاميذ بها مفتنون، وهلم جرا.

ألــم تســتوعب لغتنــا الجميلــة حضــارة باســقة لا تــزال تــؤتى أكلهــا كــل حــين فــى العلــوم التجريبيــة قبــل النظريــة، والمدرجات فى جامعات الغرب شاهد إثبات لنا.

كــم مــن الأســاتذة المســلمين صــاروا مــن نوابــغ العلمــاء فى عالم العلــوم، ومــا تعلمــوا ابتــداء غيــر العربيــة، ثــم صــاروا

فحولاً وفطاحل لأنهم استوعبوا علومهم ابتداء بالعربية، ثم عبوا من اللغات الأجنبية وما أصابهم وهن، لغة تتيه شرفاً وعزاً، أنها تضم بين جنباتها نحو أربعة مليون كلمة ومن ثم كانت دائماً الأقدر والأجدر على مجاراة كل جديد.

إن كل لغة فى بلدها مليكة متوجه لا تطاردها لغة أجنبية.

وإذا أراد عدو نيلاً من دولة فأول ما يخطط له هو إضعاف لغتها وقهر لسانها، وهنا يقول حافظ إبراهيم الشاعر المصرى ..

فلا تكلونى للزمان فإننى ... أخاف عليكم أن تحين وفاتى

كم هو دحر للوطنية، وهزيمة للقومية عند القوميين وفتح مبين لأبواب الأممية وانسلاخنا من الهوية.

دعوى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية:

راح البعض من السماسرة يروج لكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية بدعوى أن عملية الطباعة بالحروف العربية تجلب الحرج والمشقة، حيث إن لكل حرف عدة صور فى الكتابة، فى أول الكلمة ووسطها وآخرها، وإذا شكلت هذه الحروف بالفتحة والضمة والكسرة والسكون والتنوين فى الفتح والضم والكسر بلغ عدد أشكال هذه الحروف ٥٨٨ شكلاً ٢٨ × ٣ × ٧ = ٥٨٨، وهذا أمر يستنفد الجهد ويضيع الوقت. أما الحروف الأفرنجية فهى أقل من ذلك.

وعليهم أن يعضوا الأنامل من الغيظ ، لأن الحروف الأفرنجية لا يصح الكتابة بها إلا من اليسار على عكس اللغة العربية، والتى تواكب

الدين فى تقديم اليمين على اليسار، ومن ناحية أخرى فإن هناك حروفاً فى اللغة العربية لا مثيل لها فى اللغات الافرنجية مثل الضاد والقاف والسين والحاء، فهل تجدى الحروف اللاتينية فى تحقيق مآرب الحاقدين ؟[1].

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ناهيك عما قالوا بشأن الخط العربى بأنه جالب للرزق وموضح للبيان ويدل على رفاهية الذوق واللسان، ولقد كانت سيرة الخط العربى طويلة حتى بلغ صورة جميلة ومشوقة وصار هناك خطاطون مبدعون، يقول الإمام على كرم الله وجهه "عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتح الرزق"[2].

الرطانة باللغة الأجنبية:

صار الكثيرون يعتبرون التكلم بلسان الفاتحين مفخرة من المفاخر، ويفضلون التحدث بقبس منها. معتبرين ذلك وسيلة لارتقاء شأنهم فى المجتمع.

هل الوثبة الحضارية تحتاج ذلك حقاً ، أم هو تعبير عن نهاية الانهزام الفكرى والتبعية الثقافية .

وأخيراً فإن تعجب فعجب إنه فى الوقت الذى يستخف بعض أبناء العربية بلغتهم تذهب الغيرة على اللغة العربية بمستشرق إنجليزى إلى التحذير للعرب من ضياع العربية لأنها أساس الهوية[3].

(١) انظر مؤلفنا، الحرية الفكرية وترشيد الواقع الإسلامي.
(٢) حسان عطوان ، الإيمان ملحق الأنباء الكويتية فى ٢٠٠١/٢/٢.
(٣) الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٨ ، مقال د. يونان لبيب رزق.

اللافـــتات الأجنبية تغمر الشارع العربى :

"شوب سنتر" بل فى "هابى لاند" "هابى مان" "محل توب" "عمـــادكو سنتر" "صلاحكو للتبريد" "سيتى مول" ، هل كتب على لغتنـــا الجـــلاء أو الفناء، أم هو الشعور بالدونية والانهزام الذى أحـــاط بأصـــحابه فيظنـــون بلغتهم الظنون، إن لغتنا أقوم قيلاً وأبلغ فى المزاد، حتى المثقف نفسه يقف حائراً أمام المسميات الطارئة فما بالك بالعوام والبسطاء والدهماء.

ومما يغيظ العربى أنك فى بعض بلاد الجزيرة العربيـــة محـــلات تجارية كبيع الأجهزة الكهربائية توزع نشرات على العملاء عن منتجاتهـــا ليس فيها حرف عربى واحد وهو ما يسر العدو.

ماذا دهاكم أيها التجار العرب حتى تتجاهلوا الحسناء، كـــأن لغتنـــا ضاقت عن أسماء مؤسساتنا ومحلاتنا ، وهى اللغة التى لم تضق يوماً عن استيعاب أى مصطلح فى الحضارة، ولكنه الجحود والتقليد.

إن كثيراً من الأسماء المستوردة لا يفقههـــا أصـــحاب المحـــلات أنفسهم، فلو سألت بقالاً عن معنى كلمة (توب) التى تعلو حانوتـــه يجيبـــك بصراحة أنه يجهل معناها ومرماها، فقد أتى بها ابنه المفتون الغرب فتوناً.

والأسماء الأجنبية، غزت أسماء بناتنا مثل سالى وســـيلفيا ولارا وإيلـــين وفيفيان: وهذه الأسماء تظل غريبة على الملامح العربية بل تجر أصحابها إلى مشاكل نفسية، فيؤكد علماء النفس هناك علاقة حميمـــة بـــين الاســـم والسلوك الفردى ، ناهيك عن أن لكل إنسان من اسمه نصـــيباً، وتســـمية الطفل بالأسماء الأعجمية تجعله يشعر بالانتماء لهذا الاسم الأجنبـــى ومـــا يمثله من معايير خارجة عن مجتمعه، وهو ما يضر الانتماء ويغلغل عقدة الخواجة لدى المعولين بالتقليد.

لقد عاش كثير من الأجانب فى بلادنا حيناً من الدهر فمـــا تســـمى أحدهم يوماً بأسمائنا، أو احتفى بلغتنا مع أن لدينا أسماء رنانة دخلت رحاب العالمية.

التقويم الإفرنجى يزحزح التقويم الهجرى

كانت الهجرة هى فجر الإسلام وضحاه ، ومبدأ انتشـــاره وســـناه، وهى بداية النقلة الحضارية، لا بل أكبر نقله عرفهـــا التـــاريخ للحضـــارة البشرية، غيرت ميزان القوى من الضعف إلى القـــوة ومـــن القـــوة إلـــى الضعف ولهذا كان التقويم الهجرى هو تقويم المجد والحضارة والســـؤود والسيادة، منذ هذا اليوم حقاً دون التـــاريخ فـــى ســـجلاته مـــيلاد الدولـــة والحضارة الإسلامية ، فنزلت الشريعة الغراء هدايـــة للعـــالمين، فكانـــت الأسرة والمجتمع الراشد، وقبل هذا كان العرب أجراء عنـــد اليهـــود فـــى يثرب الذين كان بيدهم القوت والقوة والجبروت، فغيرت الهجرة كل ذلك، وأمر الرسول ﷺ بالتأريخ بها، وقد كان العرب قبلهـــا يؤرخـــون بكبـــار الأحداث الجسام.

لقد عاشت الأمة الإسلامية حضارة باسقة، فى ظل تقويمها الهجرى العريق، لم تعرف فى تاريخها التبعية أو الشعور بالدونية وفقـــاً للشـــهور القمرية وهو ما يؤدى إلى زيادة سنى التقويم الهجرى عن الميلادى بمقدار عام كل ثـــنتـــين وثلاثين سنة.

هل يحسب بالتاريخ الأفرنجى أم التاريخ الهجرى عدة المطلقة، لقد بات التقويم الهجرى جزءاً من مقوماتنا فهل نفرط فيه كما فرطنا فى أمور كثيرة؛ إن التخلى عنه جريمة نكراء بدأها أتاتورك الذى كان لآبائنا عنيداً،

إنك إن سألت مثقفاً فى البلاد العربية المفتونة بالغزو الثقافى عن الشهور العربية فهو قد يسميها لكن لا يكاد يحصيها، مع أن صلاته ونسكه ومحياه ومناسباته تتم وفقاً للتقويم الهجرى ، فالحج أشهر معلومات بالتاريخ الهجرى ، وصوم رمضان الذى تسمو فيه الروح على المادة ، ويوم مولد رسولنا – ﷺ –، ويوم عاشوراء، وليلة الإسراء والمعراج ، وليلة النصف من شعبان، كلها لا تعلم بتاريخ الإفرنج ، وكذلك أعيادنا.

لقد اقترحت على كريمتى الصغيرة يوماً ما نبذ التبعية السلوكية، اقتراحاً تقبل بقبول حسن وهو أن يدفع لها مصروفها فى بداية الشهر العربى بدلاً من الميلاذى ، فلا يغتالنا التقويم الإفرنجى .عظموا شعائر دينكم تفوزا برضاء ربكم.

وأخيراً رقمنا العربى يأتمرون به

أرقامنا العربية المتداولة هى من اختراع النابغة الذى علم العالم العالم الشهير "الخوازرمي" فهى ليست من اختراع عالم أوروبى ، لأن أوربا لم تكن شيئاً مذكوراً حين اختراع الرقم العربى .

ماذا ستجنى الأمة العربية من وراء تغيير أرقامها المتداولة طيلة أربعة عشر قرن من الزمان ، هل من الأصالة والحصانة أن نربى جيلاً عربياً يجهل أرقامه وتاريخه وينظر إليها نظرة المستغرب، وقد زخر بها ميراثه وتراثه، هل سيحتاج إلى خبير فى المستقبل ليفك له رموز أرقامه كما يحتاج إلى خبير يقرأ له الخطوط الهيروغليفية[1].

(١) د.عبد الفتاح حبيب مقال الأهرام ، الأرقام العربية قيمة تاريخية.

هل نتخلى عن رقمنا لصالح الرقم اللاتينى الغريب لإكمال مسلسل الاغتراب، إن المؤامرة على الرقم العربى جريمة نكراء، لأنه يحمل فـى طياته اللغة العربية ومحاسنها من حيث اتجاهها من اليمين إلى اليسار ومن حيث التدرج، والآحاد تسبق العشرات فى نفس اتجاه الكتابة، وأخذت عنها اللغات الأوروبية كما هو الشأن بالنسبة للغة الألمانية التى نقرأ فيها الـرقم ٢٧ مثلاً كما فى العربية تماماً سبعة وعشرون إذ تأتى الآحاد قبل العشرات عكس الإنجليزية التى نقرأ فيها ذات الرقم عشرون وسبعة.

إن الذين يأتمرون برقمنا العربى قد نجحت مـؤامراتهم فـى دول عربية استدرجها التقليد، غافلين عن أن أرقامنا المستعملة أكفأ من غيرهـا كما يقرر العلماء الثقات لأنها أرقام متجانسة وليدة حضارة واحـدة، كمـا تتجانس مع اللغة الأرمينية التى كانت سائدة فى الجزيـرة العربيـة منـذ حوالى ألفى عام، فنحن أحق بها وأهلها حفاظاً على هويتنا وعلى التواصل الحضارى بيننا وبين الدول المسلمة غير العربية والتى لا ترضـى بغيـر رقمنا بديلا [١]، مثل إيران وباكستان.

إنه لأمر تسود لـه الوجوه حين يخدعنا المخادعون بـأن الأرقـام الأوروبية هى أصلاً عربية، متناسين أن أرقامنا قد كتب بها كل تراثنا قبل أن تعرف ذلك أوروبا، فهل نتنكر لـه اليوم ونستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير، جرياً وراء دعاة المحاكاة فى غير المحاسن.

---

(١) د. محمد يونس الحملاوي، الرقم العربي، تهديد الأرقام القومية، مقال للأهرام ١٤/٥/١٩٩٩م.

ولماذا تحية الإسلام بها يستهان ؟

هى مما كرم الله به هذه الأمة، وهى فضل من الله ونعمة "السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته" لأن السلام من معانية الطمأنينة والسلامة مـن كل إثم والغنيمة من كل بر، فضلاً عن الرحمة المهداه مـن الله والبركـة، ولهذا فهى أجمل تحية وأكملها.

وتحية الإسلام ليست كلمات عابرة تلقى على مسامعنا، وإنما هـى شعار الدولة[1] التى تعنى السعادة والطمأنينة لكل من يستظل بظلهـا، ولا نظير لها فى أى حضارة أخرى مهما اتسمت بالرقى ، ولكن البعض عندنا يحلو له أن يستخدم تحية الأجانب صباح الخير ومسائه، وهى على ما ترى لا تجلب لك البشرى التى تخبئها تحية الإسلام فى طياتها، فالسلام اليوم هو ما ترنو إليه البشرية جمعاء، فهل يجوز لنا أن نتسول تحيتنا من الأجانب؟!

إن من فضائل تحيتنا أنها تلقى فى الصباح والمساء وفى الظهيـرة وأثناء الليل وأطراف النهار ، فهى مواكبة لكل وقت، أما صـباح الخيـر ومسائه، فهى مقصورة على الصباح والمساء، فماذا عن حكـم الأوقـات الأخرى ..؟

نقول لمن يجلون تحية الغرب إن رصيدنا ملئ بما يكفى لإغـراق الدنيا بسلوكيات رائدة وأعراف طيبة. ولو أن أهل الغرب وقفوا على تحيتنا وفضائلها لحاربونا عليها بالسيوف، فتحياتنا تجلب السعادة والخير لمن تلقى عليه بصرف النظر عن عقيدته، ويكفى أن العالم اليوم قد شـيد منظمـات دولية من أجل السلام وإن كان قصدهم لنا هو الاستسلام.

---

(١) الدكتور/ أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية ، ص ٣٢.

٤- منكرات الزفاف: الأعراس الإسلامية تتحول إلى مراقص غربية:

عروس اليوم ثقافتها إما فرنسية أو إنجليزية مع ما يتبع كل أولئك من سلوك تابع للثقافة الغازية.

والزواج هو بداية حياة سارة طاهرة، والأفراح هى ابتهاج بكمال الدين، ولا علينا إن احتفينا بها بالترويح والبهجة، لا بل هو واجب ومندوب "أعلنوا النكاح ولو بالدف"، هكذا يقول رسول الله ﷺ وقد أباح الدين غناء النساء للنساء والرجال للرجال، ولكن أن تتحول تلك المناسبات الدينية إلى مناسبات يسارع المدعوون فيها إلى حلبة الرقص وتتشابك الأيدى رجالاً ونساءً محارم وغير محارم، ويتمايل الجميع فى غمرة ساهون لاهون، ذات اليمين وذات الشمال يزيدهم خفة وطيشاً إيقاع الدفوف وشدو المزمار، والغريب والعجيب أنك ترى نساءً كثيراً منهن يرتدين الزى الإسلامى ، وبعد هذا يهبط العروسان من عرشهما الذى كان الجميع يرقبه فإذ هما فى سذاجة بالغة يخوضان كما خاض الأولون، لترقص العروس بابتزال ظاهر.

وهكذا ينقلب الحفل الذى أعد للعروسين إلى ملهى ليلى وشعبى هازل على النمط الأوروبى ، يحطمن قدرنا ومجدنا، سيما حين يطلع علينا أهل الغرب الذين يتسللون إلى قاعات العرس فى الفنادق الكبرى فى القواصم من العواصم لمشاهدة أعرافنا، فإذا هم يشاهدون حلبة للسباق ترتدى فيه المسلمات الملابس الكاشفة (الديكولتيه) المفتوح من الظهر أو الصدر لتظهر النهود للجميع وما يتلو ذلك من منكرت، وكم هو سلوك يؤذى أصحاب الحاسة الإسلامية المدعوين إلى تلك المراقص الذين يسرون الحسرة على مزالق أبناء دين القيمة الذين ما كسبوا فى إيمانهم خيراً، وانزلقوا فى مزالق الغرب.

هل بالرقص تواصل الحضارة الإسلامية عطاءها الموصول، ولقد أجابت مجلة اللواء الإسلامى بالعدد (٥٠) هل الرقص الإفرنجى الذى يشترك فيه الرجل والمرأة يخالف الدين الإسلامى ؟ وما حكم الشرع الشريف فى المرأة التى تراقص أجنبياً عنها ؟ وفى الخنزير الذى يرقص مع أجنبية عنه؟، وما حكم الدين القيم فى الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس؟ وكانت الإجابة بالحرف الواحد "إنه لا يشتبه مسلم فى دار الإسلام فى أن الرقص الإفرنجى المعروف الذى يشترك فيه الرجل والمرأة محرم شرعاً معلومة حرمته من الدين بالضرورة"، والبداهة أن كل من المرأة التى ترقص مع أجنبى عنها والرجل الذى يرقص مع أجنبية عنه إثم بارتكابه ذلك الفعل، ويستحق ما أعده الله للفاسقين المجترئين من العقوبة فى الدنيا والآخرة، كما أن الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس، ظالم لنفسه مجترئ على ربه مستحق للعقوبة المذكورة . وهذه قضايا معلومة بداهة من الدين لا يحتاج إلى إقامة برهان عليها، ومن يرضى بها سواء أكان حاضراً وقت ارتكابها أم لم يكن حاضراً إثم كذلك، لأن الرضا بالمعصية معصية، كما أن الرضا بالكفر كفر، والعقل الراجح والفطرة السليمة يستقبحان هذا الفعل وينفران منه ومن مرتكبه سواء كان ذلك مع أجنبية، وقد جاء فى السنة أن المرأة إذا خرجت من بيتها متعطرة متجملة متبرجة تختلط بأجنبى عنها هذا الاختلاط وتعمل هذا مع زوجها وأن يروها وهى تتحرك مع هذه الحركات المثيرة لقوى البشر فى النفوس، لاشك أن هذا من الدياثة التى لا يدخل صاحبها الجنة، والحديث عن رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الجنة قال وعزتى وجلالى لا يدخلنك بخيل ولا كذاب ولا ديوث (وقد فسر الديوث بأنه من لا غيرة له)، وهذا قد ذكر العلامة ابن القيم فى كتابة (الطرق الحكمية فى السيادة

الشرعية) فصلا بيّن فيه أنه يجب على أولى الأمر أن يمنعوا اختلاط الرجال والنساء فى الأسواق ومجامع الرجال .

ولا ريب أن الرقص الجماعى (وترقيص) العروسين أمام المدعوين هى ظواهر لا مرحباً بها، ولن تقتلع هذه العادة الغربية إلا على يد الصالحين من عبادنا الذين يعظمون شعائر ديننا، **﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** [الحج:٣٢].

وقد نشرت جريدة الأهرام كبرى الجرائد القاهرية فى ١٩٩٩/٨/٦م تحت عنوان غلطة عمرى عروس تقول إننى لم أتوقف عن الرقص لحظة واحدة من منذ بدأ الفرح، وحتى انتهى وبدوت وكأننى سعيدة جداً بالزواج ولا أعرف لماذا فعلت ذلك، فكنت أرقص بدون أن يدعونى أحد وبلا أحد وبلا داعى حتى أننى كنت أترك عريسى وأرقص بمفردى على الساحة المخصصة للرقص، وأصبحت أخجل عندما يشاهد أحد شريط الفيديو لأن التعليق يكون واحداً ، وما كل هذا الرقص، ولو عادت بى الأيام لما فعلت ذلك.

وفى ختام الحفل يدعى العروسين لالتقاط صورة العمر كما يدعى والد العروسين معهما فى أوضاع مقلوبة ، حيث تقف والدة العريس بجانب والد العروس وتمسك بيده، بينما فى الناحية الأخرى تمسك والدة العروس بيد والد العروس تعبيراً عن العصرية واقتداءاً بسنة الأجانب.

والعروس تخلع حجابها يوم الزفاف

أمر منكر لا يجوز لها شرعاً طالما قد التزمت منهج دينها وتحلت بثياب الفضيلة فإذا بها ألقت وتخلت فلا يحل لأية مسلمة أن تظهر زينتها على غير زوجها فهى أصبحت حرماً آمناً لشخص واحد فقط **﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾** [النور:٣١].

٥- الأعياد الوافدة

ليلة رقص السنة

حكومة الصين قد أصدرت قراراً بمنع احتفالات الكريسماس وبابا نويل وعيد الحب وكذبة إبريل فى المدارس والجامعات لإنهاء عادات سلوكية لا علاقة لها بالتقاليد الصينية [١]. فهل يقتدى بها المسلمون؟

نعم معلوم أن لكل أمة أعيادها وأفراحها التى تعبر عن أمجادها ومناسبتها، فالأعياد مظهر من مظاهر شخصية الأمة ، وهى جزء من عادات الشعوب، وكل أمة لها ما كسبت فى هذا الشأن، أما نحن فقد طوقتنا الأعياد الغربية وانهمكت الأسرة المسلمة فى الحفاوة بها والإعداد لها وفى مقدمة ذلك أعياد الأم والكريسماس ، ورأس السنة، فتعد الولائم وترسل الدعوات وتضاء الشموع وتلبس الطرابيش وتشترى الهدايا، وتنفق الأموال ويتأهب الشباب المأزوم للرقص والابتذال والطرب الرخيص، الذى يولد أجيالاً تتحول إلى أعباء على أممهم.

وعيد الأم فى الحادى والعشرين من مارس بهائى دخيل، تبدأ به السنة البهائية ويسمى عيد النيروز، ثم زينوا له شعاراً هو عيد الأم وزفوه على المسرح الغربى ليعاد إلينا بطابع الفرنجة فى زى عصرى خلاب[٢] فقد تلقفه الغرب بعد تفكك عرى الأسرة وإطلاق المجتمع الغربى للأبناء لهم فى سن مبكرة بعيدة عن الجو الأسرى بدعوى الاستقلال، أما نحن فالأم نحتفل بها كل يوم، وإن أصابها الكبر فضمها واجب مع الدعاء الدائب لها **﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾** [الإسراء:٢٤]

---

(١) الأهرام فى ١٠/١٢/١٩٩٣م.
(٢) د. بنت الشاطئ، أصلنا العربية والبهائي الدخيل الأهرام فى ٢١/٣/١٩٨٦٨

ويا للحسرة لقد أصبح عيد الكريسماس عيداً للأغلبية الشعبية من المسلمين ، يتبادلون فيه التهانى أو يمضون الساعات حتى الصباح فى الخلاعة (والرقاعة) والبذخ والسرف، والمباهاة وارتكاب المحرمات، مع غفلتهم بالكلية عن السنة الهجرية.

نحن أولى بالاحتفال بميلاد المسيح ولكن على نهج الاحتفال بميلاد المصطفى محمد رسول الله ﷺ بغير استطالة إلى منكر ، أو تنحية للفضائل، أو تحول المجتمع الإسلامى إلى بيئة تلهو بآداب غيرها ناسية أعراف دينها.

إن أفراح المسلمين تعمق الاعتبارات الإنسانية وتهيئ للمودة فى القربى . وهنا مكمن السعادة والتوازن النفسى وهى ليست فى حاجة إلى أفراح أو انشراح مستورد.

وأما أعياد الميلاد : فإن كان عيد الميلاد مقصوراً على عشيرتك الأقربين وأصدقائك المقربين فثم وجه الله، فهو مودة وأخاء شريطة ألا يتحول إلى مرقص ليلى للجنسين أو مرتعاً للتدريب على التفاهة، ويصير حلقة فى مسلسل للتقليد.

٦- البنين على البنات فى معاهد التعليم

الحركات النسائية المغمورة المدعومة بأهل الفكر المفتون بالغرب تكسر الحواجز بين الجنسين وتسوغ الاختلاط بزخرف القول، وتقدمه على أنه ضرورة نفسية واجتماعية ، فمعه تنتفى العقد النفسية ويتلاشى الشعور بالخجل ويعلم الذوق فى وجود الجنس الآخر ويشتعل التنافس ، ودعواهم تلك داحضة، فأخطار الاختلاط بين المراهقين والمراهقات بالقناطير المقنطرة أقلها الإرهاق المبكر للجنسين وظهور الأعراض الأنثوية على

الشباب وظهور أعراض الخشونة على البنات، وبداية المشاجرات بين الطلاب بسبب الجنس ، والذكور يعبرون عن عواطفهم بعبارات على مقاعد البنات، تضطرب معها العواطف والأفكار والرؤى ، فضلاً عن إثارة الغرائز[1] بل وصل الأمر إلى تحرير عقود زواج للطلبة بالطالبات على ورق الكراسات ثم يتلوه زواج رسمى عاجل ولو فى أقسام الشرطة، حين تنتفخ البطون ويكشف المستور وتفوح الرائحة!!

وإن تعجب فعجب أن نعلم أن التعليم فى المدارس المسيحية الكاثوليكية لا يعرف الخلط بين الجنسين.

واليوم فى بريطانيا يفصلون فى معاهد التعليم بين الجنسين.

إن أداء التلاميذ فى اختبار الثانوية العامة (الجى . سى . إس . إيه) فى الفصول غير المختلطة كان أفضل من أداء زملائهم فى المداس المختلطة التى يموج فيها الجنسين بعضهم بعض، والبنات بوجه خاص يستوعبن بصورة أفضل فى المدارس غير المختلطة.

والتعليم فى سن المراهقة لا يزيد ثقة الشباب الخجول بنفسه، وإنما ثقته تزداد بالتحصيل والمذاكرة، والمنافسة العلمية تكون أشد ضراوة بين أبناء الجنس الواحد، فلو أن سؤالاً وجه للطالب فإنه فى حضرة البنات قد يضطرب خيفة الفشل أمام الجنس الآخر، وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات ، لأن الاختلاط المبكر لا يتأبط إلا شراً، ومن المعلوم أن التعليم المختلط لم يكتب لـه النجاح فى بلد المنشأ، فأثاره المدمرة أن تصبح المراهقات بين عشية وضحاها من أولات الأحمال قبل الأوان، وأى خير يرجى بعد هذا الاختلاط الذى يفتن المؤمنين والمؤمنات، غداة انحسار تيار الثقافة البناءة.

---

(١) المسلمون العدد (٤٥٥) ٧ جمادى الأخرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣/١٠/٢٢م.

إن الاختلاط فى الإسلام نوعان: مشروع وممنوع، أما المشــروع فهو فى مواطن ثلاث – موضع العبادة كالحج ، ومواطن العلــم علــى أن يكون لكل جزء مقسوم، وبينهم برزخ لا يبغيان ، مواطن الجهاد وحيــث يقمن بالتطبيب وسقى العطش، بل والجهاد إذا لزم الأمر.

إن الإسلام لا يعرف سلوكيات المودة الهابطة ، والتى تتجاوز إطار الدين لأن كلا منها لا يزال غريب عن الآخر ، وتصل العلاقة إلى الخلوة نهجاً على التقليد ، بل إنه فى المداس المختلطة تمارس الرياضــة البدنيــة المشتركة وهو ما يخالف شريعة موسى وعيسى بن مريم وما أوتى النبيين من ربهم.

وباختصار شديد فإن التعليم المختلط إثمه أكبر من نفعه مهما كابر أهل التنوير ، ولأن الأمر يصل إلى زيجات بين الطلبة والطالبات أحيانــاً وزيجات سبقتها من المنكرات ، وهو زواج مكتوب على ورقة طلاق كما يقول أهل التربية والإصلاح لانتفاء الأجواء المناسبة لــه.

فقد صدَّق الرئيس الأمريكى [1] على مشروع قرار يقضــى بمنــع الاختلاط بين الجنسين فى المدارس العامة وإعطاء معونــة ماديــة أكبــر للمدارس التى تلتزم بتنفيذ القرار، وهو ما تقضى على وضع قــائم منــذ ثلاثين عاماً فى المدارس الأمريكية وذلك تأسيساً علــى أن الفصــل بــين الجنسين فى مجال الدراسة يساعد على اجتياز الجنسين بالمراحل الدراسية بصورة أفضل.

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٢/٧/٢٤م.

٧- تبادل الزوجات

شاهد ومشهود رآهم رؤى العين ، ثلة من الرجـــال ومـــثلهم مـــن النساء، أزواجاً وزوجات، عشاقاً وعشيقات، يعرفون بعضهم بعضاً جاءوا معاً ليستمتع بعضهم ببعض ، فهذا رجل – ووأسفاه على هـــذا التعبيـــر – يغازل عشيقته أمام زوجته، وهذه امرأة ترتمى أمام زوجها فـــى أحضـــان صديقه الصدوق ليعبث بالحرمات أمام الآخر الديوث.

هذه ما سطره بالحرف الواحد الأستاذ عادل حموده الكاتب الصحفى المرموق[(١)].

أفكار متبادلة وأجساد لا تشعر بالغربة ولا تعرف معنى الحياء وتجمع الصديق مع الزوجة.

ويضيف الكاتب المذكور: عندما أبديت دهشتى ولوعتى مـــن هـــذا التروى خرج عليه من يتهمه بالغفلة والرجعية والقصور فى متابعة ما يجد على الساحة من انحدار وانهيار، خاصة من فئات تحظى بـــالحظوة فـــى الإعلام، سول لهم الشيطان وأملى لهم، فذلك عرف معروف عند شواذ أهل المدنية الغربية نعم هى فئة قليلة عندنا ، شرهم مســـتطير ، ســـرعان مـــا ينتشر ، نعوذ بالله من شر قد اقترب فى ساحة العرب.

٨- الفتيات الفاتنات فى الإعلانات

السمة العامة لفتاة الإعلان هى صـــغر الســـن والجمـــال الأخـــاذ، بالإضافة إلى استخدام المرأة الأجنبية بكل مقاييس جمالها فـــى مجتمعنـــا العربى والإسلامى ، على نحو لا يدعم مكانة المرأة بل يؤثر ســـلبياً فـــى

---

(١) فى جريدة عين فى ٢٠٠٣/٨/٢١م.

كراهية الرجل زوجته سيما المرهقة فى عملها، حين يقارن بينهما وبين الفتاة المأجورة التى تطل عليها لعرض أنوثتها(1)، ضرة بغير ضرة حقاً.

. فهل الإعلان عن بطاطس أو بطاطين في التلفاز يستلزم راقصات فى الإعلانات التى تعتمد على صورة الأنثى الجذابة فى وضع مثير للغرائز لترويج السلع والمنتجات بالحركات والإيماءات والإيحاءات الجنسية وبصورة لا تليق بامرأة تدعى إلى الإسلام ، لتستدرج المشاهد من غرائزه، هل تروج لمرقة الدجاج أو الصابون أو السيراميك أو تروج للصدر والخصر وهز الأرداف والالتفاف وتلعيب الحواجب(2).

وليت الأمر مقصوراً على الفتيات البالغات بل وتجاوز إلى الطفل الذى تحول بدورة إلى نجم ، قبلات متبادلة، يضع المكياج على وجهه وتستغل براءته من أجل الكسب السريع ليتحول بعد فترة إلى شخصية يعشق ذاته وتصبح الشهرة شغله مع ما يتلو ذلك من آثار مدمرة فضلاً عما يترسب عند ملايين المشاهدين الأطفال من حب تقليده، ويتحول الطفل فى النهاية إلى صبى عجوز.

ومجلس الشورى فى مصر قد تطرق إلى بحث هذا الحدث، لأثره السيئ على الناشئة بالتنبيه لخطورة الإعلانات الفاضحة للأفلام السينمائية التى تعرض فى صورة لافتات بكل شارع(3).

هناك ضوابط إسلامية للإعلان ترفض المبالغة والإثارة، واستغلال المرأة فيما يخالف تعاليم الإسلام لما فيها من الإثارة وكشف العورات المستورة وإبراز المفاتن(4).

---

(1) المسلمون فى ١٩٩٢/١/٣١م

(2) د. مصطفى محمود الأهرام فى ١٩٩٢/٥/٢م.

(3) الأهرام فى ١٩٩٣/٤/١٤م.

(4) صحيفة الأنباء ملحق الإيمان ١٩٩٩/٣/٥م.

٩- ورياح أوروبا تعصف بالعمامة والجلباب كما عصفت بالحجاب(١)

أ- رجال الدين يتخلون عن زيهم الرصين : إذا دخلت رحاب جامعة الأزهر لا تكاد تعثر على عالم يلبس لبس الأزهر الشريف، ويقول العلامة ابن السبكى : إن تمييز الأشراف بعلامة أمر مشروع. ومن قبل كان أبو يوسف من أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنهما، يرى تخصيص العلماء بزى ليعرفوا فيطاعوا ، ولتكون كلمتهم هى العليا أينما كانوا، وهو حينئذ أمر مندوب، حتى وإن لم يفعله السلف لأن فيه تمييزاً لهم فى عصور التمييز.

ففى كل عصر ومصر نجد لرجال الدين لباساً خاصاً يميزهم عن القوم، تمييزاً يجل قدرهم ويلقى عليهم تبعات جسام فى السلوك السوى ، ويجعل لهم عند الناس إيثاراً وليكونوا فى النفوس كباراً، سيما إذا خرجوا من ديارهم ليطوفوا بأرجاء المعمورة.

فهاكم إخواننا فى الإيمان رجال الدين المسيحى فى أغلب بلدان العالم وفى مصر يحسب لهم أنهم متمسكون بزيهم لم ينتهوا عنه، أما علماء الأزهر فى بلد كمصر وهم ملح البلد فقد ألقوا وتخلوا عن زيهم الذى تعارف الناس عليه، وأصبحوا ينأون عنه تحت وطأة التغريب.

حتى الصاعدون على المنابر، زادت قابليتهم للتأثر. فغبوا من التقليد، وقد يسأل سائل هل هناك من زى لرجال الدين، والجواب على ذلك فاسألوا أصحاب الملة الآخرة، هل هناك زى خاص بهم والجواب بالإيجاب، وحينئذ يكون علماؤنا أحق به وأهله، وقد أصبح الزى المعروف من قبيل تعظيم شعائر ديننا.

---

(١) ملحق الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٣م.

كم يكون المسلم فرحاً فخوراً حين يلتقى برجال الدين فـى زيهـم الذى ألفناهم عليه، والمظهر يدل على الجوهر ، فيا رجال الدين يـا ملـح البلد ، وأنتم مظهر للدين فى ديار المسلمين . زى تعلقت به القلوب الراشدة وفى اندثاره غياب رمز من رموز الأمة.

ب – وجلباب العرب يساروه الهرب : لباس لـه رونـق وبهـاء، وهو أبلغ تعبير عن الهوية والشخصية سيما فى الجزيرة العربية، فضـلاً عن أنه سرابيل تقيهم الحر فهو أشبه بمكيف للهواء يلطـف مـن حـرارة الصحراء، وارتدائه من علامات حب رسول الله – ﷺ – الذى كان يلبس بيض الثياب ، وهو يحمل فى طياته كل الفضائل وثلة من المحاسن، فهـو رمز الكرم والشجاعة والوفاء والفطرة الجيدة، حتى لقد اتخذ شهرة تجوب الأفاق، ويتمتع أصحابه بمكانة فى المحافل الدولية، لأنه أصدق تعبير عن الشخصية العربية ، وقد شاء الله أن يحمل فى طياته طابع الثراء فى هـذا العصر.

ولكن جرثومة التقليد لم تترك هانئاً يرفل فى حلل السعادة، فـراح أصحابه يهيمون فى التقليد وهم فى الصحراء غافلين عن أن مـا فعلـوه هزيمة سلوكية تصيب المظهر وسرعان ما تتسرب إلى الجوهر، فيتحـول ابن الجزيرة العربية إلى خلق آخر.

حتى الوفود العربية الرسمية صارت فى المحافل الدولية تتخلى عن زيها الرصين، وذلك أصدق تعبير عن الشعور بالدونية الذى يعكس بعض مظاهر الهزيمة السلوكية وهم لا يزالون قدوة لكل من ينتسب إلى العربية.

إن جلباب العرب يتهم قومه أبناء الجزيرة العربية بالجحود، ولكن التقليد صار يغشاهم من أعلاهم إلى أدناهم، ظانين أنهم بذلك أدركوا ركب الحضارة وهم واهمون، فالحضارة هى فى لباس القوم لا التنكر لـه.

١٠- وعمارتنا الإسلامية تغرب فى عين حمئة

العمارة الإسلامية فى أوطاننا معجزة كبــرى طوقــت شــرقنا أو غربنا، تشد الحس دائماً إلى مواطن الجمال التى تقرح فيها سلفنا الصالح، تحكى اقتدارهم وجدارتهم، وتصور الإيحاء بالمعنى الذى يجب على المكان الإيحاء به للإنسان ، ومن ثم دخلت بعضها ضمن زمرة عجائــب الــدنيا، فهل يستوى ذلك الإعجاز بالعمارة المستوردة والتى تقوم على استغلال كل سنتمتر من أجل الربح، دون مراعاة لراحــة المقــيم وظــروف التهويــة والإضاءة [١].

ها هى إحدى عجائب الدنيا السبع – تاج محل – تحكى لنا من الهند واحدة من روعة عمارتنا ومع غيرها رفعت المدنية الإسلامية مكاناً عليــاً فاستحوذ كل أولئك على إعجاب العالم بأسره وصارت تشد إليه الرحــال، سيما من أبناء الغرب المتيمون بالثقافة الفريدة، وكم نــوه بهــا البــاحثون والعلماء والمؤتمرون بأنها كانت عمارة فريدة على مر الزمان بهرت أعين الناس، وكانت أحوى باشتمالها على مناطق الخدمات والمتاحف والحــدائق والأجهزة الحكومية واحتوائها للإضافات المتتالية التى تســتوعب المدينــة كلما جد فيها جديد[٢].

والفنون الإسلامية من أعظم الفنون وأطولها عمراً فى التــاريخ ، وقد بلغت فى رقيها ما يغيظ الأجانب أو يعجبهم، وهى من الرصيد الكبير الذى سلمته الحضارة الإسلامية الباسقة للغرب إلهاماً لفنانيهم[٣] فالعمــارة

---

(١) ثروت عكاشة، القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية.
(٢) مقال الأهرام فى ١٩٩١/٧/٧م.
(٣) عبد الغنى عبد الله، جامع عمرو بن العاص أول العمائر الإسلامية فى أفريقيا، مجلة الأمة جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

الإسلامية تمتاز بملامح جمالية مميزة على مر التاريخ، فالقباب والساحات الإسلامية المكشوفة تمنحها خصوصيتها، وفى الوقت نفسه هى غاية من البساطة والأناقة والانسجام.

فى أوروبا يصمم المصممون مبانيهم بلا شرفات أو مشربيات لعدم الحاجة إليها إزاء الصقيع والثلج والبرد، والنوافذ الزجاجية لا تغطى بشيش خشبى كالذى عندنا ليقاوم الحرارة فلا قيظ لديهم، ومن ناحية أخرى فهى تصمم على اتساع لكى تستقبل أكبر قدر من الحرارة حين تشرق الشمس، تلك فوارق بين البيئة الأوروبية والصقيع وبين بيئة أسيا وأفريقيا، فلم نقلد بنيانهم الذى بنوا فنصمم الواجهات والحجرات والشرفات على النموذج الغربى ، ويحتل الزجاج والألومنيوم مساحة كبيرة فى عمارتنا مكتوين فى بلادنا بالحر حتى تغرب الشمس، ونقلد الغرب فى بروج مشيدة ومبان شاهقة تعلوا علواً كبيراً فتحجب عنا الهواء والضوء والشمس، وأرضيات بالموكيت تبوح لنا بالحر متنكرين لبلادنا وقد أغدقت علينا.

وإذا جاز التمرد على الأصالة بدعوى المعاصرة ، فلا يجوز التمرد على ظروف المناخ والبيئة. فالعمارة فى بلادنا سرابيل تقيكم الحر فهل نستبدلها بعمارة تقاوم الصقيع، إلى هذا الحد من الانهزام الثقافى نتورط فى تقليد الغرب ونلقى ستاراً من الدخان أو العتامة الثقافية على عمارتنا الشامخة.

إن للهوية المعمارية نصيباً مفروضاً فى شخصية الأمة فهى تعبير عن الحضارة والقيم السائدة كالمساجد مثلاً ، فى الشرق الإسلامى أو الكنائس فى الغرب الصليبي.

كم بهرت القاهرة الإسلامية وحدها أعين الناس بالألف مأذنة، وفيها أكبر متحف ومخزن مفتوح للعمارة والفنون الإسلامية فى العالم؟

كم ساهمت العمارة الإسلامية فى تغيير المعتقدات وكم ارتقت المساجد بالقيم الجمالية[1] ؟

إنه إثم كبير فى حق الأمة إن لم يكن نوعاً من الجهالة ، التمرد على الأصالة بدعاوى المعاصرة، فالطراز الإسلامى حلقات متصل بعضها ببعض، لامتداد عروق الحضارة. والمتخصصون فى المهنة يأخذون من التراث القديم مع الاستفادة من تقنية البناء ومنجزات العصر ، والعمارة الإسلامية ليست تعادى التطور، وإنما ما ألمَّ بنا هو انقطاع تيار الحضارة الإسلامية لقرون عديدة بفعل الغزو العسكرى ، وارتباط المثقفين المسلمين بالتوجهات الغربية حتى واصل التقليد مداه لدرجة أنك فى الفنادق الرائعة فى عالمنا العربى لا تجد صنبوراً للمياه وإنما يستبدل الورق بالماء، وهو ما يصعب على المسلم عملية الوضوء.

وهاكم اقرعوا عن أضرار العمارة الحديثة المقتبسة، فلقد كشفت الدراسات والأبحاث أن العاملين فى المكاتب الحديثة فى الأبنية المصممة على النمط الغربى تغشاهم أمراض شتى تزمن مع الزمن، لم تكن معروفة من قبل، بفضل الأرضيات الصناعية وكيماويات البناء والطلاء.

ولا يزال بنياننا الذى بناه لنا الأولون فى الأندلس شاهداً على روعة الحضارة الإسلامية ، وما تميزت به من الفخامة والضخامة ولا تزال قائمة على أصولها إلى اليوم تبهر العالم على الرغم من رحيل المسلمين عنها منذ قرون أربعة، بعد أن مكثوا هناك ثمانمائة عام من الزمان، وكم أفادت منها الحضارة المعاصرة الغربية.

---

(١) الإيمان ملحق الأنباء فى ٢٠٠١/١/١٢م.

١١- الحفاوة بالكلاب على النمط الغربي

الكلاب فى الغرب تعيش عصرها ومجدها وأبهى حللها، هناك اليوم منتجعات ترفيهية للكلاب ، تمرح الكلاب فيها فى صالات للألعاب وحمامات للسباحة وصالونات للعناية بالجسم وجماله.

نعم الخل الوفى والأنيس الجليس عند أهل الحضارة الغربية ، بل هو البديل الشرعى للإنسان عن الإنسان، وهو اليوم يرتع ويلعب كالأطفال، كذلك يأكل ويتمتع كالإنسان، لا بل إن الكلاب هناك قد أغرقت فى الترف والنعيم المقيم بينما حقوق الإنسان فى العالم الثالث فى أسفل سافلين. فبعد أن هجرت المودة فى القربى صار للكلاب مكانة فى المجتمع ، وأصبح ينشأ فى الحلية منذ نعومة الأظافر، ففى فرنسا مثلاً تجد صالونات للحلاقة والتجميل لا يدخلها إلا الكلاب وأصحابها، يقصون شعرها ويحسنون هندامها ، يطعمونها أطيب الطعام ، فلحم الضان منه يأكلون والأسود تموت فى البيداء جوعاً. ونجدها محمولة على الأعناق فى السيارات الفاخرة أو الفيلات الأنيقة تحملها النساء على صدورهن يسرون إليهم بالمودة، ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان فلتهنأ الكلاب حقاً هناك!!

يقول الأستاذ أنيس منصور فى قول مأثور "أنعم ما فى حياتى زوجتى السيارة والكلب، ولكن ليس بهذا الترتيب".

وفى روما معهد الحضارة والمجد العتيق، تجد لها حمامات للسباحة ودورات للمياه ، بل للكلب المدلل حجرة للنوم وسرير خارجى ، وقميص للنوم ، وإذا طلع إلى الطريق له مظلة واقية ، بل هناك العيادات النفسية لمن أصابه الاكتئاب ، وإذا مات الكلب فنعيه فى الصحافة وفيه يتقبل العزاء. وآخر الأنباء أن هناك بيوتاً لرشاقة الكلاب، بل هناك استعراضات للأزياء نجومها الكلاب ولهم مصممون للأزياء.

وهذا كله هين إذا علمنا أن الأوروبيون يكتبون وصاياهم قبل مماتهم للكلاب، فيحجب أصحاب الحقوق عن أنصبتهم في الميراث، وتذهب القناطير المقنطرة سدى .

ولقد انتقل قبس من ذلك السلوك الميمون إلى أبناء العرب المتيمين بالغرب فدخلوا بذلك مع الداخلين فى زمرة المتحضرين، والفقراء فى أمتنا أحوج المحتاجين وهم بالملايين، فتجدها فى سيارتهم أو على صدور النساء محضونة، وبالجملة تجد حفاوة بالغة بها وأنواعاً من التدليل تغيظ الشرفاء والعقلاء.

ولقد كان رسول الله ﷺ يوصى خيراً بالحيوان بل إن الرفق بالحيوان مبدأ إسلامى عريض، والكلب يستأنس به للحراسة ولكن خارج المنزل ، فلقد نهى ﷺ عن اقتناء الكلاب داخل البيت يقول ﷺ: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو صورة" والأضرار شتى من مخالطة الحيوان كشف عنها الطب الحديث، فمخالطة الكلاب والقطط تنقل الفيروسات والأمراض الخطيرة، لأن شعر الحيوانات مرتع خصيب لتكاثر الجراثيم والحشرات التى تنقل أمراض الحساسية والسل الرئوى والأمراض الجلدية والعقم ، فضلاً عن عضة الكلب ولعابه التى قد تودى بحياة الإنسان. فهل أنتم منتهون أيها المقلدون.

إن طبقة الأثرياء الجدد، كثير من أقاربهم معوزين لا يسألون الناس إلحافاً، أفلا يكونوا أولى بالرعاية من الكلاب المرفهة.

نعم ربما يود كثير من بنى البشر أن ينخلعوا من جنسهم ليدخلوا فى جنس الكلاب حتى يفوزوا مثلهم بالنعيم المقيم.

١٢- ملابس مستوردة وعبارات جارحة

ألفاظ قبيحة أو مثيرة أو مخالفة للدين والأعراف ، ألوف مؤلفة من الفتيان والفتيات فرحين فخورين بها تحلوا بتلك الأزياء بما اتشحت به من عبارات مخجلة، جهالة أو عمداً ، سفهاً بغير علم، ظانين ظن السوء أن هنا يكمن التطور المنشود، لم يجدوا ولياً مرشداً أو ناصحاً أميناً، فأحذية ضخمة وجينزات ممزقة وأزياء عجيبة وألبسة مضحكة ورغبات للمراهقين لا حدود لها كلها تدور فى فلك الملابس الغريبة الغربية .

سأل سائل فى بريد الأهرام فى ٢٠٠٠/٢/٣م لمن يشتكى ، عميد متقاعد بعث بشكوى تنبض بالألم فحواها أنه ذاهب مع ابنه البالغ من العمر (١٦) سنة لكى يشترى له فانلة خارجية فأضطر للمرور على جميع المحلات التى تعرض هذا الصنف فى مدينة المنصورة بمصر، وكم كانت دهشته أن جميع هذه الفانلات عليها مسميات لا يعرفها، وما عرف منها كان مستفزاً ولا يمت إلى الرجولة بشيء ورجع ابنه يخفى حنيناً وهو كظيم ، أما هو فقد آسر الندامة على العنت الذى صادفه وعلى ذيوع وشيوع هذه الأزياء المنكرة فى مجتمع آل محمد رسول الله ﷺ.

. وهذا أستاذ جامعى بعث برسالة إلى جريدة الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٦م تقول: أثناء خطبة الجمعة وقع بصرى على قميص يرتديه شاب فى الصف الأمامى مكتوب عليه بالإنجليزية "أنا فخور بأننى -صدقوا أو لا تصدقوا - ابن حرام غبى ", وفى إحدى ليالى رمضان وجدت فتاة ترتدى تى شيرت مكتوباً على صدره "لا تلمس" مع ملاحظة أن (لا) مكتوب بخط صغير جداً بينما كبرت جداً عبارة " إلمس ".

وإذا رأيت ثم رأيت هنا وهناك نرى على ملابس الفتيات عبـــارات باللغة الأجنبية تعلو صدورهن، مطبوعة علـــى البلـــوزات المســـتوردة ، يتسابق عليها فتياتنا ونساؤنا ، ومثلها عبارات علـــى ملابـــس الشـــباب لا تعرف المعروف أو تنكر المنكر، وصور للفنانين العالميين المبدعين وهـــم لم يبدعوا فى شئ إلا توريثنا كم التفاهة ، فنقرأ على قميص الفتاة عبارات مخجلة تعلو صدرها فهاكم اقرؤا مثلاً "تفاحتين للآكلين" ، "زهـــور لمـــن يقطفها"، "زهور يانعة" ، "ملئ بالحيوية"، "أنا أحبك" ، "أنا شاذ" وكلها تحمل زخارف القول غرروا ببناتنا وشبابنا ، عقول معطلة وغرائـــز منفعلـــة ، يعيشون عصر التقدم الاستهلاكى الذى أبتلى به المسلمون فينطلى علـــيهم كل وافد ولو فاسد..!!

وحسناً فعلت دولة الكويت فقد أصـــدرت القـــانون رقـــم ١ لســـنة ٢٠٠١م بتعديل قانون التجارة بأنه لا يجوز أن تكون هناك علامة تجارية تخل بالآداب العامة من كلمات أو رموز أو تصادير أو نقوش أو أى إشارة قابلة للإدراك بالنظر تستخدم فى تمييز بضائع أو منتجات تعرض للبيع.

وقد وجد فى متاجر بيتشجان بالولايات المتحـــدة محـــلات تبيـــع بنطلونات جينز نسائى عليها آيات من القرآن الكريم وطبـــع عليهـــا لفـــظ الجلالة والبسملة، وهكذا بالله وآياته يستهزئون[1].

١٣- مكياج مستورد للبراعم المسلمة

فى الوقت الذى يحذر فيه الناصحون من أضرار الأصباغ وأخطار الكيماويات على الوجه والبدن، طرح فى الأسواق آخـــر فنـــون وجنـــون

---

(١) الأهرام فى ٢٨ يوليو سنة ٢٠٠٠م

الموضة المستوردة تحت بند أدوات تجميل الطفلة ، حتى تمتنع عن استخدام مكياج والدتها، وصارت البنات في سن الرابعة تصر على استخدامه حين تخرج من بيتها في المناسبات السارة.

وخطورة هذا التقليد كامنة وكافية في إصابته لجهاز المناعة، لأن بشرة الأطفال سريعة الامتصاص سيما وأنها قد تكون منتجات غير معروفة المنشأ.

وهذه المواد وإن دخلت في رحاب التدليل فإن الأطباء جميع يحذرون لأن في هذا التقليد تخطي للمراحل العمرية والنفسية التي يجب أن تمر بها الطفلة، ويجب أن تعيش خلالها في براء ، ولن تستطيع الأم في المستقبل أن تقف أمام رغبات ابنتها إذ رضخت لتلك التقاليد لما يتلوها من المساوئ[1].

١٤- حفلات التأبين :

يقال في الحكمة: ثلاثة عديمة النفع "**قول بلا عمل، وتأبين الأموات، والندم على ما فات**". أما وضع الميت فمرهون بعمله فكل امرئ بما كسب رهين:

أما تأبين الأموات فهو تقليد غربي قد يكون مبعثه عندهم أمور كثيرة: أقلها العقيدة المبهمة فيما يتعلق بمصير الميت، وبالجملة فإن مبلغهم من العلم عن الدار الآخرة أقل من المحدود، ومن ثم يسبق الدفن كذلك حمل الجثة تجرها الخيول والموسيقى تنظم إيقاع الموكب الجنازي ، وكم نتلمس العذر في الغرب بسبب عتامة الفكر وفلسفات الوجودية ثم العدمية بعد الموت.

---

(١) د. عمر شاهين الأهرام ١٤/١١/١٩٩٧م.

• أما ديننا فهو يهدى للتى هى أقوم، فميزان التفاضـــل وعلـــو قـــدر الراحل هو العمل الصالح فلا التأبين ينفعه ولا الموسيقى الجنائزية التـــى تقدمه، فحسبه عند ربه، فلم التقليد؟

إن ابن آدم إذا مات لا يرفع قدرة إلا ثلاث، علم ينتفع به أو ولـــد صالح يدعو له أو صدقة جارية ، ولن ينفعه نعى حفل مهيب ولو اجتمع له العظماء والكبراء وألقيت فيه قصائد الشعراء والمدائح من النظراء.

لبس البرانيط :

فى تركيا المسلمة كعبة الخلافة الإسلامية من قبل، يحيونك بما لـــم يحييك به الله بالبرانيط، أدخلها أتاتورك إلى بلاده ليتشبه الأتراك بالغرب، حين يحى بعضهم بعضاً بدلاً من إلقاء السلام تحية الإسلام، فيكون بالقبعة نفسها وهزها باليد. ولقد أفتى الشيخ محمد عبده والذى لبث من عمره سنيناً فى ديار الغرب أفتى بأن لبس البرنيطة إذا لم يقصد فاعله الخـــروج عـــن الإسلام والدخول فى دين غيره فلا يعد كفراً . وإذا كـــان اللـــبس لحاجـــة كحجب شمس أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره ذلك لزوال معنـــى التشبيه بالمرة [1].

١٥- نواد بلا هوية فى بلاد العقيدة النقية

أعضاؤها وروادها وزادها هم أولى النعمة فى بلادهم، همهم تحقيق السعادة بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية ، وشروط العضوية فيهـــا أن يكون ذو مكانة، متحرراً من أفكاره وسلوكياته وأن يؤمن بـــأن الإنســـانية

(١) اللـواء الإسـلامي ، العـدد (٥٠٥) ١٧ ربيـع الأول سـنة ١٤١٢هـ الموافـق ٢٦ سـبتمبر ١٩٩١م.

فوق كل الأديان ، والأديان كلها سواء. والتعصب لدين معين يثير الأحقاد بين الشعوب، وتذوب الأديان فى بعضها وهو تحقيق لدار السلام، والأخوة فوق اختلاف الجنس والعقيدة، وبالجملة ترفع لافتات كذابة جذابة تشد أغنياء القوم وتخدع أصحاب الوجاهة فيؤمها المثقفون الفقراء فى الوعى الإسلامى ، فهى خير داع إلى الوحدة ، وحدة البشر وهدفها الإخاء والمساواة والتعاون المشترك، وهى تحترم السلطات المدنية ولا تشارك فى الحركات السياسية، تلك دعواهم، وتلكم أندية الروتارى واللوينز وجمعيات الذواقة والمتفائلات التى أسرت العديد من أصحاب القلم والنفوذ الإعلامى ، وكم كان لهذه الجمعيات الفضل فى الانقلابات السياسية سيما الانقلاب العثمانى الذى بعثر الدول الإسلامية.

نوادى تجوس خلال الديار الإسلامية لكى تهيمن على العقول المستنيرة فلا تريهم إلا ما ترى ، وهى لا تقبل غير أبناء الطبقات الراقية، فترى هناك رجالاً كثيراً ونساء ممن لهم باع فى الفكر أو ضلع فى السياسة، أما عن أضرار هذه النوادى فهى جمعيات سرية فى تكوينها، مموهة شعاراتها، تعكر صفو الواقع الإسلامى فى حلها وترحالها واجتماعاتها الداعية إلى المساواة والتحرر والانطلاق ، وهى إذ تستقطب أكابر القوم وصناع القرار فهى من وراء عرقلة تطبيق الشريعة الإسلامية فى بلادها، البلاد التى اكتوت بنيران الغزو الفكرى ، ومن ناحية أخرى فهى تضمر الترويج للإباحية عن طريق نشراتها واجتماعاتها الداعية إلى تحرير المرأة ، وتقديس الجنس وإذابة الخجل [1]. وتبادل الزيارات بين الطلبة والطالبات، وهو ما يتنافى مع قيم دين القيمة، ونظراً لغرابة هذه النوادى واستقطابها لرجال الدولة وبذكاء بالغ لبلوغ مآربها التى تخدم

---

(١) المسلمون العدد (٥٩٢) ٧ يونيو سنة ١٩٩٦م.

الصهيونية، ولأن أصابع الاتهام تدخلها قفص الاتهام، فكان البيان الصادر من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف والممهور بتوقيع فضيلة الشيخ عبد الله المشد يؤكد أن الأندية الماسونية والمؤسسات العاملة فى فلكها (نوادى الليونز والروتارى) وهما من المنظمات الهدامة التى تسيطر عليها الصهيونية ابتغاء الهيمنة على العالم وبث سمومها وأدرانها[1] وكذلك كان حكم مجمع الفقه بمكة المكرمة، ولأن العالم كله يلتفت حولها ويستضئ بهديها.

وكما أسلفنا القول أين تكمن جذورها الغائرة ؟ يجيبك عن ذلك رجال المخابرات والمباحث والأمن وحدهم، إن هذه النوادى تخفى فى طياتها الماسونية ، وكان النادى الماسونى قد أغلق فى مصر عام ١٩٦٤م، ولكن عادت الماسونية إلى عالمنا الإسلامى عام ١٩٨٢م بأسلوب مبتكر عن طريق أندية الروتارى والليونز.

١٦- ولد وبنت من أجل حياة أفضل :

الأسرة الغربية هى السعيدة ، ولد وبنت من أجل حياة أفضل. نعم ولكن وما الحل إذا وهبك الله بنتين ولم يأت الولد؟ وما هو مصير الأسرة الصغيرة إذا مات الولد الوحيد مبكراً أو صارت أمه لا تصلح للحمل ؟ ناهيك عن أن كل شخص يود أن يكون له أخ يشد عضده، وكل فتاة تود أن تكون لها أخت تؤازرها فى السراء والضراء.

الصين حولوا تعدادها الضخم الذى زاد على المليار إلى ميزة فبنوا الصين العظيمة التى جعلت كل الآراء تجمع على أنها القوة القادمة التى

---

(١) صدرت هذه الفتوى فى ٢٥ شعبان سنة ١٤٠٥ هـ ١٥مايو سنة ١٩٨٥م.

ستقف أمام القوة الأمريكية فى زمن قريب . قد يختلفون فى تقدير الــزمن ولكنهم لا يختلفون على ظهورها كقوة معادلة لأمريكا قادمة لحكم العالم.

أما الأخبار الواردة من أوروبا أن الأوروبيون يتناقصــون بســبب عزف الزوجة عن إنجاب الأطفال اللهم إلا طفل واحـد، امــرأة الغــرب صارت مثقلة فى حملها وأنهكها عملها ومن ثم صار الإنجــاب عنــدها لا مرحباً به، وقد تسرب هذا السلوك إلى الكثرة الكــاثرة عنــدنا وخاصـــة أصحاب الثقافة العالية، وحتى الأغنياء فرائدهم اليوم طفلين اثنين من أجل حياة أفضل.

وعندنا اليوم مقولة خادعة تسربت من المفهوم الغربى أن الأســرة الصغيرة هى السعيدة ولد وبنت من أجل حياة أفضل ، لأن الغرب يعتبــر الوفرة أساساً للمتعة، وتسرب ذلك المفهوم إلينا كتمهيد للاستعمار الجديــد، والاستعمار البيولوجى الذى يخططون له بإمعان ، لوقف نمو العالم الثالث سيما بلاد المسلمين، لأن الإسلام هو قوة المستقبل الدافقة والعدو الأخضر بزعمهم.

فأملهم أن تكون قوانا فى حجم ضئيل فيسهل عليهم السيطرة علـــى ثرواتنا الطبيعية ، فلا يزال الغرب ناظراً إلى الدول النامية على أنها أفواه جائعة، وعليه أن يطعمهم من جوع، ومن هنا كان "الانفجــار الســكاني" بزعمهم، وأن الشعوب المتخلفة هى عبء على الرجل الأبيض، ناهيك عن تخوف اليهود من كثرة أبناء الأمة الإسلامية وجيوشها.

ودعاية الأفواه الجائعة فضلاً عن أنها دعايات مضللة، فإن الغرب هو سبب إفقار العالم الثالث، فهو ناهب ثرواته بتخطيط جيد وبرمجة ذكية فى الامتصاص.

والأبحاث الطبية الحديثة قد أوردت بأن رحم المرأة وعاء تسكنه الأمراض إن لم يحتضن جنيناً ، وهو ما يفسر لنا العلل التى حلت بنساء العصر والتى لم تكن من قبل، وحينئذ فلا تعجب أن ترى بلداً كفرنسا تغرى نسائها بزيادة الإنجاب (شرعياً أو غير شرعى فهما يستويان مثلاً)، غداة التفكك الأسرى بل وانقراض الأسرة ، وخوفهم من الشيخوخة المبكرة على الوطن فى العقود القادمة، وقد أفلح السلوك الغربى مع الطبقات التى هى أعز مالاً فى بلاد المسلمين ، فانصاعت لدعوات الإقلال من النسل خشية إملاق، مع أن بلداً كمصر من أغنى بلاد العالم، حباها الله بكل الخيرات الحسان ويكفينا قول القرآن الكريم عنها: ﴿مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ﴾ [الزخرف:٥١]، ﴿مَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان:٥١]

فيها زروع وكنوز ومقام كريم ونعمة هم فيها فاكهين، تضم بين جنباتها العريضة (ثلث آثار العالم)، وخزانات للمياه الجوفية تزرع لمئات السنين، وأبناؤها خير أجناد الأرض، من يملك حقاً ملكاً كملك مصر، لو استغلوا خيراتها وثرواتها وآثارها لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم دون حاجة لكراهة الأجيال المقبلة أو أن تكون عبئاً على الجيل الحاضر وصدق الله العظيم ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة:٦١].

إن الأطفال ابتداء من السابعة حتى الرابعة عشر، مصابون بالخزى وبشعور يتسلل إلى وجدانهم بأنهم غير مرغوب فيهم.

وهناك فرق مهم بين تنظيم النسل وتحديده، فتنظيم النسل يدعو إليه القرآن الكريم، فالوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ثم يأتى الحمل بعد ذلك فى الطفل التالى ، ومن ثم تكون الفترة بين الطفل وأخيه ما يقرب

من ثلاث سنوات هذا دين القيمة[1]، وليس بعجيب فى مطلع الألفية الثالثة مايو عام ٢٠٠٠م أن يطلع رئيس وزراء بريطانيا (تونى بلير) على العالم بأنه أنجب طفله الرابع حثاً للإنجليز على الإنجاب، بعدما أصبحت بلاده مهددة بالشيخوخة المبكرة وانقراض الشباب.

إن ما تعانيه بعض بلداننا من فقر وفاقة ليس سببه زيادة السكان وإنما هو اغتيال الأغنياء لمقدرات الشرفاء وبعثرة المال، وفساد الموظفين فى إدارة الموارد الهائلة، واقتصاد متهم بالسرف والتلف، والتقدم الاستهلاكى الذى يبتلع الدخل واكتناز للذهب لدى السيدات وصدق الله العظيم ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦]. إن البداية والنهاية أنهم لا يريدون لدولة الإسلام أن تكون أعز نفرا، ولو كان خالق الكون ومدبره يرى ملكه فى قلة الإنجاب ما ذكر فى كتابه العزيز ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١].

فى إيطاليا اليوم مكافأة لكل مولود جديد [٢]

لا بل تسر الندامة على ما قدمت يداها، فهى تكابد مثل العديد من الدول الأوروبية أزمة حادة وجدالاً مراً بشأن تناقص أعداد المواليد لديها مقابل زيادة فى أعداد كبار السن لا بل موتهم وانقراضهم، فهى مقبلة ، لا بل هى على شفا أزمة سكانية حادة تكاد تعصف بها، حتى قال المحللون أن القارة الأوروبية تواجه خطر الاحتضار فى العقود المقبلة.

---

(١) انظر جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٢٩ كلمة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر تحت عنوان موقف الإسلام من تنظيم الأسرة.

(٢) عن صحيفة "الأوبزوفر" البريطانية ، الأهرام فى ٢٠٠٣/٢/٢م.

ومن أجل ذلك تمنح كثير من الدول الأوروبية ومنها إيطاليا بوجه خاص مكافأة سخية لمن ينجب مولوداً، وكذلك فى فرنسا يفعلون، فقد منحتنا مكافأة سخية حين أنجبت بنتاً فى فرنسا، فشكراً لباريس عاصمة النور.

١٧- حتى الأدب العربى بدوره طفق يقلد

أدبنا أدب عالمى ، قدم للإنسانية منظومة فريدة فى الحضارة الإنسانية، ينابيعه من العقيدة الصافية وثقافتها البناءة الإلهية، ومن ثم كان براء من الضلال والأساطير التى يموج بها الأدب الأوروبى ، فقد استقر فى وجدان أديب الغرب أنه لا مجال لأن يلتقى قدر الله مع إرادة الإنسان، وأنه تعالى عما يقولون علواً كبيراً – لا يمد يده إلى الإنسان فى ساعة العسرة، وأنه لا مجال لأن يكون القدر صديقاً للإنسان، ولذا راح أدباء الغرب يصرخون ، ما هى تلك الحياة وما المصير ؟

تلك الصورة الشوهاء عن القدر تنحدر عن الأدب اليونانى ، فذلك الإنسان تحاصره اللعنات والنكبات ، وأنه يدخل فى صراع مرير مع القدر وهو ما يزيد فى الوثنية وقتامة القدر عندهم، وتراثنا الأدبى براء من كل أولئك، فلا خصومة عندنا بين الإنسان وخالقه، ولا شاعر ينعت القدر بالظلم والجور حتى فى قصائد الرثاء ، ولكن الأدباء انخرطوا بدورهم فى طابور المقلدين.

ويتساءل الباحثون النقاد عما آل إليه حال المسرح التجريبى العربى والذى أصبح بين الهلوسة والإبداع [1].

---

(١) جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٩/٨م.

وهاكم فوج من الأعمال الأدبية تسلل إلى الساحة العربية يحمل معه أوزاراً من الأدب الغربى لينشئ نوعاً من قطيعة الرحم بين أدبنا العربى وتراثنا الإسلامى فى مجال يغذى وجداننا، مبهوراً بما تحوزه الثقافة الغربية فى سرادقها من مسارح وزخرفاً دون فطنه إلى العفن الذى يعشش فى مجال الدراسات الإنسانية، والذى يدفع إلى الانتحار فى وضح النهار وذلك على خلاف الثقافة الإسلامية التى تطمئن القلوب وتفتح أبواب السماء للملهوف.

بل إنه حتى فى مجال النقد الأدبى سادت النظريات المستوردة فأصبح النقد بلا روح، فلقد كانت المعارك الأدبية الساخنة سابقاً حين كان النقاد يعبرون عن مكنون فكرهم وابتكارهم ، ثم حلت النظريات الوافدة فأصيب النقد المعاصر بالبرود والفتور، لا بل كانت العاقبة فى غير المسرات، إذ وصل الأمر إلى ما يسمى بأدباء الغموض فى الإبداع، وهو ما يقود الأدب إلى الهاوية[1].

١٨- التقليد فى أنظمة الحكم :

أ- حكومات الناس فى الغرب صارت لنا أسوة حسنة[2]

"حكومة الناس" تعبير يقصد به أن منهجها من صنع البشر، تلك الحكومات منها ما استعمر شعوباً من الأرض واستذلهم فبدلت أمنهم خوفاً وحولتهم إلى جوعى وأضاعت حقوق الإنسان قروناً من الزمان، ولكن البعض عندنا عاشق لها متيم بها غافل عن مآسيها، يرى أن الحكومات التى هى من صنع الناس هى المثل الأعلى متجاهلاً مدى سمو النظام السياسى فى الإسلام على النظم قاطبة.

(١) الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٢٥م مقال "حول ظاهرة الغموض فى الإبداع ص ٣٢.
(٢) انظر: سعيد العشماوي ، الإسلام السياسي.

إن نظم الحكم الأخرى شرقية أو غربية وهى حكومات من صنع أيديهم قد أشهرت إفلاسها فى سوق المطالب المادية والروحية للإنسان وتقديم غذاء البدن والنفس معاً. وعلى الرغم من مظاهر الرفاهية المادية الطاغية، وسواء فى دول المعسكر الشيوعى الذى ظهرت فيه الخروق والفتوق حتى أذن مؤذن بخرابه. أو دول المعسكر الغربى الذى راح يئن فيه العمال من اغتيال أصحاب رأس المال لحقوقهم وهضمهم لجهدهم، فظهر الإضراب وأصبح حقاً مشروعاً كوسيلة للضغط على أصحاب رؤوس الأموال. كل هذا ناهيك عن فقدان التوازن النفسى وتزايد حالات الانتحار والاكتئاب والإجهاض للنساء وشيوع أبناء الفواحش.

وهذا كله نتاج حكومة الناس وعدم التزامهم بشريعة سماوية تحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث.

أما نظامنا فهو من لدن حكيم عليم أدرى بطباع البشر حكاماً ومحكومين، أما نظم الحكم الأخرى مهماً بالغت فى ادعاءاتها باحترام حقوق الإنسان لا تفتأ فى التخلى عن تلك الحقوق، كما كانت تفعل الماركسية بشعوبها. ومن ثم فقد راحوا يرجمونها بالحجارة بعد أن أحاط بها بهم سرادقها ونارها.

إنه بفضل مبادئ نظام الحكم فى الإسلام تمتع الأقباط فى مصر مثلاً بحقوقهم وحرياتهم كاملة، بل أزيد من المسلمين أحياناً بما لم يحصلوا عليه فى عهد الرومان قبل أن تشرق شمس الإسلام على كنانة الله فى أرضه، حقاً بفضل ذلك الدين القيم كان تاريخ الإسلام والمسيحية فى مصر مشرفاً ومشرقاً.

إن الإسلام دين التقدم والرقى ، ومن المعلوم فـــى فقـــه التـــاريخ والحضارة أن الغرب قد بنى حضارته على ميراث الحضارة الإســـلامية. ولكن التعتيم الإعلامى الغربى يفرض على أبصارنا غشاوة، إن التفاعـــل الحضارى الذى ننشده يمكن أن يتحقق حين نأخذ الكتـــاب بقـــوة ونشـــعر بمكانة أنفسنا ومكانتنا على خريطة العالم وعبر ســـير التـــاريخ ودون أن تذوب شخصيتنا فى بوتقة الحضارات الأخرى التى لا تعبـــأ إلا بالجانـــب المادى وحده.

فالنظام السياسى الديموقراطى مثلاً على رواجه بين الدول الغربية وقد أصبح أمنية تتمناها القلوب فى الشعوب المقهورة، لا شأن له بمبـــادئ الفضيلة والأخلاق، كالدعوة إلى وجوه الخير. فهل رأيت رجلاً ديموقراطياً يحض على الجود والكرم أو إغاثة الملهوف أو الإحسان إلى الجار والمودة فى القربى ؟ إن الديموقراطية مجرد نظام سياسى فقط يوم ولدت وســـتظل هكذا حكومة الناس، لا مبدأ لهم إلا عشق المادة ولو اقتـــرن ذلـــك بظلـــم الشعوب المقهورة، والتآمر بالليل والنهار على اغتيال حقوق الإنسان فـــى خارج بلادهم. وكم اكتوت بلادنا بنارهم..؟!

لقد نبه المؤرخ المشهور **أرنولد توينبى** فى وقت مبكر حيث حـــذر من الضرر الناجم عن نقل نظام فرعى أو خلية من بلد إلى أخـــر، حيـــث يتحول ذلك إلى عنصر خلل بل عامل تدمير فى النظام الجديد[1] .

ب- نظام الأحزاب الغربية يتعثر فى بلادنا العربية

• هو تقليد لا مرحباً به ، فالأحزاب السياسية كان مولدها فى الغرب لضرورة خلفتها النهضة الصناعية التى قسمها المجتمع إلى طبقتين: أرباب

(١) د. سيد عليوة ، الأهرام ٢٠٠٣/٨/١٨م.

الأعمال والعمال، أعان على ذلك الخواء الديني ، فلا يجتمع الجميع على كلمة سواء.

أما في بلاد العرب ، فدينهم يؤاخي بينهم ويجمع شملهم مهما بدا لك من تشرذم ظاهري ، لأن المؤمنون أخوة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المؤمنون:٥٢].

ومن ثم فإن الحزبية في بعض بلاد العرب مجرد تقليد غربي ، وليس لهما من فضل سوي بذر بذور الشقاق، ويكفينا من الشرور ما تعاني منه بعض مجتمعاتنا من طغيان الولاء للإقليم أو القبيلة، ولذلك ولدت الأحزاب في بلاد العرب وقد شاب شعرها أحزاباً ورقية، فماذا قدمت وماذا أخرت وخطوتين إلى الخلف والبدائل مطروحة وكثيرة، نعم مقتبس من تجارب الأمم ، أما النظم السياسية فهي كالنباتات ما ينبت في تربة لا يجوز في أخرى ، والتقمص في التجارب الاجتماعية لا ينبت نباتاً حسناً ، ولذلك فالأحزاب وإن تحددت لا ترى لها ملامح خاصة تميزها عن بعضها كما في الغرب الحزبي .

وعندنا في عصرنا تجربة الكويت ثرية وغنية، فهناك ديموقراطية مثالية وبلا أحزاب سياسية، كم نأمل لها الدوام وأن تحذوا حذوها البلاد العربية، فنحن نمقت الأحزاب حتى ولو كانت دينية فمصيرها التشرذم، ولا ننسى أن الحزب يخضع للزعامات الشخصية وقد طغى ذلك وغلب على البرامج، تاريخ الأحزاب المصرية[1] .

إن نظرية الإسلام في الحكم تعلم العالم ديموقراطية تتفوق على كل نظام، مكنت للإسلام أن يقيم وفي أمد قصير أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ ولا تزال إلى الآن وإن كان سوس البشر يحاول أن ينال منها.

---

(١) انظر د. يونان لبيب، بين الجريمة والتحزب، الأهرام في ٢٠٠٠/٢/٣م.

جـ- الجنسية العربية مشبعة بالعنصرية الغربية

لقد جاء أتاتورك والأمة الإسلامية أمـــة واحـــدة، فمـــزق الـــبلاد الإسلامية كل ممزق ، وبعثرها إلى دول شتى ، وأصبحت كل دولة تعتـــز بجنسيتها وتبحث فى إقامة العراقيل أمام أبناء بعضا البعض حتـــى صـــار العرب فى بلادهم يصنفون من الأجانب.

نعم الإسلام دين وجنسية يجمع تحت رعايته كل أبنائـــه ، فـــالبلاد العربية كلها أمة واحدة. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُـــدُونِ﴾ [الأنبياء:٩٢]، أما الغرب، فهم قطع متجاورات، وجزر مختلفـــة، ولغـــات متباينة تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى فهم أمم متباينـــة وتعتـــز كـــل دولـــة بجنسيتها ومن ثم سرت إلينا تلك العدوى .

لقد كانت مصر مثلاً إلى عهد ليس ببعيد رائدة كدأبها فى قـــوانين الجنسية بحيث تشمل كل عربى مسلم، فكان شعبها فى عهد محمد علـــى لا يزيد على بضعة ملايين، وبفضل الأزهر الشـــريف اســـتقطب قاصـــيهم ودانيهم ليشهدوا منافع لهم، ومن ثم كان هذا العدد الهائل، وكانت الأسر فى مصر خليط من دول شتى الشامى والمغربى والعراقى والسودانى وكلهـــم فى النهاية مصريون، فهل تحتذى الدول العربية والإسلامية، لفتح ذراعيها لتحتضن أبناء الأمة الواحدة ونتخطى حواجز الجنسية التى اقتبسناها مـــن الغرب. والغريب أن الواقع الأوروبى اليوم قد أقاموا بينهم مودة فى القربى فصدرت تشريعات تذوب معها حواجز الجنسيات من الناحية العملية، فهل نقلدهم فى الطيبات أم نظل منكبين على السلبيات.

د- مهزلة المهازل، الفصل بين العروبة والإسلام، عدوى القومية

عدوى القومية من أخطر الأمور الى داهمـت الدولـة الإسـلامية الموحدة، بالاتجاه بالدول الإسلامية نحو الشعوبية، واعتـداد كـل دولـة بجنسيتها واعتداد كل شعب بذاته، نتيجة لتسرب عدوى القومية إليهم مـن البلاد الأوروبية [١]. فى حين أن الدول الإسلامية لا تعـرف إلا جنسـية واحدة وأمة واحدة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء:٩٢].

إن عروبة اليوم بحكم نشأتها عروبة نشأت وترعرعت فـى ظـل الإسلام، لها كيان تاريخى وليست مولوداً جديداً تقترح لـه المقومـات. والبلاد العربية كلها باستثناء الجزيرة العربية، ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الإسلام، لأن عروبتها جاءت بسبب إسلامها، وأن مصالح الاستعمار والصهيونية تلتقى مع تصور أكابر مثقفينا العلمانيين للقومية العربية، وأن ربط العروبة بالإسلام هو وحده الذى يجمع العرب [٢].

وفى مؤتمر الفقه الإسلامى الذى تصدى لبحث مشكلة الغزو الثقافى تضمنت البحوث المقدمة أن فكرة القومية هى من أكبر الأخطار التى تكاد تعصف بالعالم الإسلامى ، وهى وليدة النظريـات الضـيقة عـن الحيـاة والأحياء. وقد صدرها لنا مفكروا أوروبا وكانت أول غزوة على يد نابليون حيث عانى فى مصر من مقاومة باسلة ترفع شعاراً تتصدع لـه الجبـال، هو "الله أكبر والعزة للمسلمين" فلم يجد بداً من أن يخرج على الناس عـن طريق المستشرقين المرافقين لـه بفكرة القومية ليفتت بها وحـدة الأمـة الإسلامية ولتكون عقيدة جديدة بديلة يدان لها بالولاء [٣].

---

(١) د. محمد سلام مدكور، معالم الدولة الإسلامية ، ص٩٨.
(٢) د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية ص ١٩٥- ٢٢١.
(٣) فاروق عبد السلام ، أزمة الحكم فى العالم الإسلامي ، ص ٨٧.

وقد تسربت فى البلاد الإسلامية نعرات الشعوبية والقومية، فنجـد مثلاً في تركيا نشأة حزب الشعب التركى الطورانى ، وهناك فى سـوريا والعراق حزب البعث العربى ، وأصبحت أنظمة الحكم تنهض على أسس عنصرية بحتة[1] وفى هذا إغراء وتهديد للوحدة الإسلامية التى تمتلك كـل مقومات الاتحاد فيما بينها، من الدين والجنس واللغة الواحـدة والأهـداف المشتركة ووحدة الإقليم والاقتصاد. وما نجأر منه اليوم ونشتكى إلـى الله من حروب وضغينة بين بعض الدول الإسلامية ، وإهلاك للحرث والنسل بين أبناء دين واحد وأمة واحدة، إلا نتيجـة عـدوى الوطنيـة والقوميـة والشعوبية والجنسية وانصراف هذه الشعوب عن عداوة عدوها الحقيقـى ، فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكل، ولا يزال القوميـون داخـل الـبلاد وخارجها يزينون للشعوب الصغيرة أمجاد القومية وتاريخها، حتى تصـبح نشوانة بالعواطف القومية، وتنقطع عن العالم فتهجم عليها الدول الكبـرى فلا تلبث أمامها إلا عشية أو ضحاها.

أليس من الغريب أن يتعرى العرب من دينهم ونمضى فى مهزلـة فصل العروبة عن الإسلام، ويحتمى اليهود بعقيدتهم ويصرخون بحمـاس نحن بنو التوراة نحن بنو إسرائيل ؟!

---

(١) محمد الغزالي ، هموم داعية ، ص ٤٠ وما بعدها.

الفرع الرابع
تقليد الرؤى والأفكار

. المفكرون والفلاسفة اجتمعوا ثم انفضوا على أن حـروب العصـر ليست بالدبابات والصواريخ فحسب، وإنما باللغة والمصطلحات معاً، فهى تخترق العقول وتؤثر فى الوجدان، رغم ما تحمله من عفـن أو تطـرف، وهذا ما ينطبق على مجتمعاتنا حيث غزاها الغرب بثقافته لإعادة صـياغة العقل والوجدان العربي[1].

فوصل الأمر إلى حد اجترار التبع لأفكار الغـرب مـع اخـتلاف المناخ الجغرافى والثقافى ، كموضوع المساواة بين الجنسين وتحويله مـن موضوع حديث إلى معركة يستقبلها المفتونون استقبال الأبطال الفـاتحين، مع أنها مساواة خادعة، فلا المرأة اشتد ساعدها، ولا الرجل تولى مهمـة الإرضاع، وفى المجتمعات الغربية يصادف ذلك مطبات فكرية واجتماعية هائلة لا حلول لها إلا بالاستكبار والخوف من الخضوع للحقـائق. ومـن أخصب الموضوعات التى راحت تجوس خلال الديار:

أ- العلمانية الزاحفة ودعواهم الطلية:

العلمانية نار حامية تتأجج فى المجتمعـات الإسـلامية المريضـة بالغزو الفكرى بسبب محاولة ترويجها، فهى مصطلح خادع، فهى ترجمـة لكلمة إنجليزية "   " والتى ترادف اللادينية، فليست اشتقاقاً من العلم كما قد يتبادر إلى الذهن .

---

(١) نجوى طنطاوى ، حرب المصطلحات ، الأهرام فى ١٠/٣/٢٠٠٣م.

وقد ظهرت فى أوربا حين ظهر الفساد فى الكنيسة الغربية وشـاع عن القساوسة قدرتهم على غفران الذنوب ومنح صكوك الغفران لـدخول الجنة، ووصل الأمر إلى حد محاربة العلم واضـطهاد العلمـاء، فنـادى المصلحون حينئذ بفصل الدين عن الدولة وكان لهم مـا أرادوا وبحـق ، وتوالت الصيحات بعد ذلك لإقصاء الدين عن شئون الحكم والتحرر مـن الكنيسة وربقتها، وحين نقلها المترجمون إلينا نقلوها تحت اسم خادع هـو العلمانية، بما يوحى بإعلاء العلم والاحتكام إلى العقل فى كـل الأمـور، لينخدع بها حتى المثقفون، وينحصر الدين فى دور العبادة وتحت القبـاب، ومرجع المراجع عندهم أقوال الفلاسفة والمفكرين فى أوروبا فى عصـور النهضة وما قبل النهضة فى عهد الإغريـق والرومـان واتهمـوا الـدين بالجمود وأهله بالرجعية.

وهم فى مجتمعاتنا قوى اجتماعية (متحذلقة ومتخندقة) داخل المواقع الأساسية ، قليل منهم يمكن الحوار معهـم، يؤمنـون بالعقيـدة يكرهـون الشريعة، وهم متفقون على توزيع الأدوار بينهم، يدفعهم إلى ذلـك حـب الظهور. ولكن البعض منهم بعيد عن نسيج المجتمع وتقاليـده، وعلاقاتـه بالدين مشكوك فيها، والبعض منهم ينظر للإسلام بكراهية بـل وكبريـاء. وبوجه عام فقد لعبوا الدور الرئيسى فى تغريب الأمة المسلمة وفى عملية الانسلاخ الحضارى .

ولكن هل تنطلى علينا دعواهم الطلية ؟

وهل العلم يحارب العقيدة الإلهية التى تجلـب التـوازن النفسـى والسكينة، وإذا كان الاحتكام عندهم إلى العقل فالرسالة المحمدية بـدورها هى العقل.

أليست تلك كرّة خاسرة، فى خلع أوضـــاع النظـــام البـــابوى فـــى العصور الوسطى على المسلمين، فالإسلام لا يقيم سلطة روحية لأى هيئة دينية مهما كانت، وإنما يقيم أمة تعرف المعروف وتنكر المنكر، والمقارنة بين الإسلام وغيره ها هنا محاولة فاشلة.

وكم يصاب العلمانيون بالخزى حين يستشعروا بالفجوة بينهم وبين شعوبهم المسلمة.

فأهل الذكر دائماً يرصدون شـــطحاتهم ويفضـــحون فكـــرهم، مـــن الاشتراكية الموحشة إلى الرأسمالية المتوحشة، وكلها تنأى عن الدين، كـــم مارست استبداداً لا مثيل لـــه مع شعوبها لقهرها وازلالها، وما كسبت خيرٌ فى حكمها.

إن العلمانية الحقيقية هى فهم الدين على حقيقته، واحتـــرام قواعـــد المنطق والأدب فى والمناظرة والعلم، وليس إطلاق سحابات كثيفـــة مـــن الدخان للتضليل والتمويه.

. ماذا يدفع العلمانيون (اللادينيون) إلى بث سمومهم، هل هو حـــب الظهور وهم طوابير غفيرة كانت من أصول فقيـــرة، ومـــا نقمـــوا إلا أن أغناهم الله من فضله "**﴿إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾** [غافر:٥٦].

حقاً كم يندهش المرء حقاً وهو يرى من يتنكر لذاته ويكفر بالأنـــا ويبرأ من تراثه وتاريخه، فى الوقت الذى يقر ويعترف به الآخر إعجابـــاً بها التراث وذلك التاريخ(١).

---

(١) د. فيصل الحفيان، الأهرام فى ٢٠٠٣/١٤/٣م.

ب- العولمة وفكرة تأنيث المستقبل

تؤجج المؤتمرات والمنظمات الغربية النـــار لزعزعـــة مؤسســـة الزواج، وعدم احترام أنوثة الإناث، وإقصـــاء الآبـــاء والأمهـــات عـــن مسئولياتهم والتحريض على بيع المرأة لجسدها حتى تشيع الفاحشة، حتـــى أن البنك الدولى وهو يقرض الدول الإسلامية من جانبه من أجل إخـــراج المرأة، من عرينها للمشاركة فى العمل السياسى وهو ما يســـمى بتأنيـــث المستقبل ، بزعمهم أنه كلما ازداد نفوذ النساء فى السياسة قلت الحـــروب وهى ذريعة لإقحام ميادين لا تكاد تسيغها أو تمسك بها على هون.

وزاد الطين بله أن منظمة العمل الدولية تطالب الحكومات بالاعتراف بتجارة الجنس، ومد شبكة الضرائب إلى الشذوذات المسلكية باعتبارها تجارة قدر ربح فيها الرابحون .

العولمة والهيمنة الدينية :

مقصود بها العولمة الدينية وهى تنصير العالم الإســـلامى ، وهـــو تخطيط نابه يعمل لحساب اليهود، لأن المسيحية الأصولية تخدم العولمـــة اليهودية، وتسمى الصهيونية المسيحية لإعلاء شأنهم استكباراً فى الأرض وتهديداً اتباع الديانات الأخرى ، وليس هناك من ديانة سوى ديانة اتبـــاع دين القيمة.

جـ- مصطلحات غازية

هدفها وضع السم فى أكواب العسل عن طريق طرح مصـــطلحات براقة أخاذة يروجها الإعلام الغربى بدهاء تموج بزخرف القول بعـــد مـــا هيمن عليه الإعلام الصهيونى ، بهدف تكوين قوالب سابقة مـــن الـــرفض

والنفور تجاه المسلمين، إرهاب المسلمين الملتزمين ، ولينخدع البسطاء فى الثقافة الإسلامية ولينطلى ذلك من بعد على الجميع[1].

ومن تلك المصطلحات :

١- التطهير العرقى :

استخدمت تلك العبارة الماكرة فى حرب البوسنة ضد المسلمين فى التسعينات للتمويه ، فكانت حرباً دينية تستهدف إبادة المسلمين الموجودين فى تلك الدولة، على حين أن القضية لم تكن قضية أعراق لأن البوسنيين كانوا جزءاً من الشعب اليوغسلافي.

٢- الأصولية :

فى مفهوم الغرب: هى حركة جمود روحية تنظر إلى النصوص بحرفية وتعادى العلم والعقل، بينما الأصوليون فى الإسلام هم أهل الاجتهاد والتنوير، فهى فى مجتمعنا شرف نتطلع إليه، فهم حراس العقيدة الإسلامية ، يصدون المغير الذى لا يألو جهداً فى هدم الثوابت الإسلامية.

٣- السلفية :

الأصيل يحب ماضية، والسلف ماض، وكل إنسان لابد أن يكون سلفياً بمعنى أن يستلهم من ماضيه بما ينير لـه حاضره ومستقبله، ولكن المخادعين أدخلوها فى سرداق الرجعية، يصمون بها أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى لينطلى عليهم ألاعيب الغرب بالمستضعفين فى الأرض، فالسلفية النقية هى اتباع منهج السلف الصالح فى كل عمل جاد يرقى بالمجتمع البشرى لا القشور وإنما اللباب، بما يضمن استمرار عطاء الشريعة والعقيدة لا سلفية فى الجلباب كما يعتقد المخدوعون، وإنما اتباع السلف فى كل عمل صالح.

(١) د. محمد عمارة الأهرام ٣١/١٠/١٩٩٧م.

٤- **التنوير :**

الحداثة والتنوير شعاران ظاهرهما الرحمة وباطنهما العـذاب؛ إذ يراد بهما قطيعة الثقافة الموروثة سيما الثقافة الإسلامية الدينية، وهو مـا حدث فى الغرب فى القرن السابع عشر بسبب موقف الكنيسة المعادى للعلم والعلماء، ولا شان للمسلمين بذلك، فديننا دين النور والتنوير فى كل دروب الحياة، ولا يجحد ذلك إلا خسيس.

٥- **الحرية الشخصية :**

فمن القيم التى سادت حديثاً فى مجتمعاتنا مـا يسـمونه "الحريـة الفردية" أو "الحرية الشخصية"، وهى قيمة قامت على أنقاض قيم "الحيـاء" و"احترام المشاعر"، وفهمها مجتمعنا فهماً مغلوطاً [1].

وسط هذا الغبار الذى اخترقت عقولنا أفكار عبرية ، تستقر فـى العقل العربى ويتلقفها المواطن البسيط فضلاً عن المتعلم والمثقف تروجها وسائل الإعلام العربية، وكلها أوصاف عبرية محضونة فى حضانة الإعلام الغربى ، كمصطلح الإرهاب الذى يطلق على المناضلين فى فلسطين مثلاً بقصد إخفاء حقيقة إرهاب الدولة الإسرائيلية لدفع المقاومة الشرعية مع أنها مقاومة تكفلها لهم الأعراف والقوانين الدولية.

٦- **الإنسانية :**

ويقصد بها اعتبار الإنسان مكتفياً بذاته ليس فى حاجة إلى خـالق يوجهه، فليس إلى الله عندهم ترجع الأمور، فمرجعيته إنسانيته وذاته، وهو مصطلح يخفى وراءه عزل وحى السماء عن الأرض، كـى يباعـد بـين المخلوق وخالقه ورازقه.

---

(١) عبد الله الشبابة، المرجع السابق ص ١٤٩.

شئ واحد يبقى على المأزومين استيراده من الغرب، وهو الكفـن الذى يدفن فيه موتانا، فعندنا أبيض ينثر عليه الطيب والرياحين وعنـدهم أسود موحش فهل نكون على آثارهم مقتدون.

٧- وأخيراً كذبة أبريل

عادة سخيفة ومحاكاة رديئة لم تنبت فى أرضنا ولا ألفتها ديارنـا، بإشاعة أكاذيب كموت صديق أو قريب أو فقد عزيز، تحدث اضـطرابات فى الأسرة كلها. وفى إيجاز فهى رذيلة تخالف الشرع مهما التمسـنا لهـا الأعذار بأنها نوع من المداعبات فى بعض المناسبات، ولكن هـل يصـل التقليد إلى التكدير وإدخال الفزع على الآمنين، إنهم ليقولون منكـراً مـن القول وزورا ولكن التقليد سول لهم وأملى لهم.

الفرع الخامس
فوج متربص من سلوكيات الأجانب

فهذا فوج مقتحم يستطلع مواقع جديدة يقف على الحدود، ليؤذن لـــه بالدخول لينتشر وليصبح جزءاً من سلوكياتنا، ومن ذلك :

١ - متاحف المسنين :

نعم تعس عبد الزوجة، فهذه أولى القطوف الدانية لمـــن أغمـــض عينيه عن والديه اللذين ربياه صغيرا، لقد لبثت فى أوروبا مـــن عمـــرى سنين، وفى إحدى مدن فرنسا كان أكثر ما يسترعى الانتبـــاه هـــو بيـــت المسنين الذى كنت أرقبه فى الغدو والرواح من خلال النوافـــذ الزجاجيـــة والتي ترى من خلالها طوابير من أولى الضرر الذين تخلوا عنهم أبناؤهم وألقوا بهم فى غياهبها، يسرون الندامة على ما آل إليه التفكك الأسرى فى ديار أوروبا، والإحصائيات تشير إلى تكاثر هذه الدور مـــع مـــا يكابـــده العجوز من تجاهل المشرفين، بل قد يتركوه دون تمريض حتـــى يتوفـــاه الموت.

هذه إحدى إفرازات الحضارة الغربية فى شقها المـــرذول، نكـــران الجميل وغلبة المادة على المودة وكآبة المنظر وسوء المنقلب فـــى الأهـــل والولد، تلك الظاهرة عندنا تطرق الأبواب وما كان ينبغى لنا، ولكن خروج المرأة إلى العمل وتحول الرجل أحياناً إلى عبد الزوجة، أجاء لنـــا بـــدور المسنين سيما مع اختفاء بيت العائلة الذى كان يجمـــع شـــملهم، ويـــأوى ضعيفهم.

نعم هى فكرة حضارية للشيخ الفانى والمرأة المسنة إن لم يكن لهم ولد يبلغان عنده الكبر، وهى فكرة يجب أن تكفلهما الدولة عند انعدام الولد، فإن كان لهما ولد فحضانتهما واجبه عنده، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾** [الإسراء:٢٣-٢٤].

انظر إلى البلاغة الناصعة فى قوله تعالى فى الآية السابقة **﴿يبلغان عندك﴾** بمعنى أنهما لابد أن يكونا فى كنفك فى كبرهما بما قدمت يـداهم، وإن غدا لناظره قريب. ولكن الأفكار الحديثة تجلب لنا كل غريب، حـين نودع الوالد والأم العجوز فى تلك الدور لكى يكونوا تحت رحمة العـاملين فيها، وحينئذ يرتاح عبد الزوجة.

إن شريعة الحياة تأبى الجحود والنكران، بعدما وهن العظم واشتعل الرأس شيبا فهل يكون الإيداع فى المتاحف الصامتة؟ فبئس التطور، وعلى قدر انتشار هذه الدور يقاس ما حل بنا من قساوة فى القلب، والغفلة عـن ذلك الدين القيم، وكبار السن على الرغم من هزالة أجسـامهم وصـعوبة خطواتهم وضعف سمعهم هم كنوز ثمينة، تغذى أجيالنا بالحكمة والموعظة الحسنة، وشباب اليوم هم أجداد فى الغد، ومتاحف المسنين فى استقبالهم إن هم تنكروا لآبائهم، لقد سبقت تعاليم الإسلام دساتير العالم فى إقرار الرعاية الأسرية لهؤلاء الذين يعيشون فى مرحلة الغروب قبل السفر الطويـل، إن رعاية العجزة من سمات المؤمن الصادق، والإسـلام لا يعـرف مشـكلة المسنين فإن فشت بيننا فهو انسلاخ من أعرافنا وغروب لخصوصياتنا.

٢- البوى فرند (صديق الفتاة)

فكل مراهق لـــه صاحبة، وما عليه من حـــرج أن يـــأتى بـــبعض الموبقات ذلك هو المألوف والمعروف فى الغرب، يلتقيان كلما أرادا اللقاء، وتأتى بالصديق إلى بيتها بمحضر من أهلها بل قد تعاشره، وإن ثار الأهل هددتهم باستدعاء الشرطة على الفور التى سرعان ما تأتى على عجل لتشد من أزرها ولو أدى الأمر العقاب للأب والزج به فى السجون، وفى غالب الأحوال يكتب الأب المسكين تعهداً على نفسه بترك الحرية على الغـــارب لأبنته وإلا أتهم بأنه عازف عن التقدم، وهو ما يحدث كثيـــراً للمغتـــربين المسلمين فى بلاد الغرب وهو ما يسبب أزمات نفسية يعود بعـــدها علـــى بلاده فى عداد المختلين.

ولمثل هذه السلوكيات يروج دعاة لذلك الإبداع فى بلادنا، غـــافلين عن الخصوصية الحضارية للمجتمع العربى المسلم المتميز على المجتمـــع الغربى المتحلل.

فكتاب الإبداع يدعون كل فتاة أن تأخذ يد صديقها وتذهب به إلـــى أبيها كما يفعل فى ديار الغرب أو تصاحبه فـــي المتنزهـــات والســـينمات والطرقات، وهى دعوات تجد لها صدى فى نفوس فقراء الثقافة والحـــس الإسلامى ، فيقول كاتب جريدة قاهرية "أنه زار إحدى الجامعات الألمانيـــة ورأى الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستقلين على الحشائش فـــى فنـــاء الجامعة، ويأمل أن يرى ذلك المنظر فى جامعة أسيوط لكى ترمقه عيـــون أهل الصعيد وتتعود عليه انبثاقاً من فلسفة الزواج التجريبـــى أى "العلاقـــة الجنسية قبل الزواج" انبعاثاً من مبدأ تحرير المرأة وانطلاقـــاً مـــن فكـــر ماركس داعية الإلحاد الذى خدع الإنسانية بفكره سبعين عاماً وأحل قومـــه دار البوار.

٣- الصديق الذى يتحول إلى عشيق

هو الخل الوفى الذى يسرون إليه بالمودة، ويتسلل هذا العرف الفاسد إلى كثير من العائلات التى فقدت الحاسة الإسلامية، فيطرق الطريق لتفتح له فى غيبة الزوج، وقد يخرج فى رحلات منتظمة مع الأسرة وفى قلبه مرض ويظهر على عورات النساء المتشبهات بالأوروبيات، ولقد أثبتت الدراسات أن حالات الاغتصاب داخل دائرة المعارف هى أكثر شيوعاً، لأن الذئب الإنسانى يستخدم مركز القوة فى فرض سيطرته على المرأة المتقاربة، ولذلك حذر علماء الطب النفسى تحذيراً بالغاً فى مجتمعات الاختلاط من الرجل الذى تشعر معه المرأة أنه يخترق خصوصياتها. فهو تقليد يخترق الحرمات ويكشف العورات ويفضح المكنونات.

أما الزوجة المسلمة فليس شرفاً لها أن تستقبل غير ذوى القربى والمحارم فى غيبة زوجها ، لأن البيت المسلم له خصوصيته التى يعلمها العالم كله، وإذا بدا التساهل والتسامح واقتلعت الحواجز التى أمرت بها الشريعة الغراء فإن عاقبة أمرنا خسراً.

إن الإسلام يحض على التعارف بما فيه الألفة والقوة والسعادة، ولكن التعارف الإسلامى ، الذى يجعل الأسرة حرماً أمناً .

كم من صديق اختطف من صديقه الزوجة الحسناء؟ فهدم الشمل وأهلك الحرث والنسل. وكم من فتاة ضلت طريقها بعدما كانت آمنة فى سربها بسبب أوهام التقليد وأوحاله؟!

وكم طالعتنا أخبار مؤلمة على صفحات الجرائد والمجلات، أزواج يشكون نسائهن اللاتى لا يبدين زينتهن إلا عند الخروج من المنزل أو فى

حضرة الأصدقاء حيث يحلو التجمل!! لقد حذر ديننا من المرأة الحسناء فى المنبت السوء فهى نتاج عفن للأمية الدينية وفقدان الحاسة الإسلامية.

إن الأصل فى الإسلام هو منع اختلاط الرجال بالنساء إلا الضرورة فلا يدخل الرجل زوجته على الرجال مهما كانت الصلات وثيقة والنيات سليمة والروابط متينة.

٤- عقد الزواج المقدس يهبط إلى عقد مدنى :

الزواج المدنى ومعناه أن يتحول الزواج إلى عقد عادى لا تربطه رابطة بالشريعة إلا ما يرتضيه الأخلاء ككل العقود، حيث يكون بمثابة عقد استثمار أو استئجار للزوجة بعيدا عن دفء الشريعة الإسلامية وحمايتها للمرأة بوجه خاص، فالزواج فى الغرب أشبه بشراكة تجارية.

أما عندنا فهو نسب ومصاهرة ومصاحبة تحوطه مودة ورحمة من الجانبين، وهناك فى لبنان اليوم دعوات تروج للزواج المدنى المقتبس من الغرب، حيث تتحول العلاقة الزوجية إلى عقد ككل العقود وما ينجم عن ذلك من سلبيات متراكبة ومتراكمة، أقلها قد يتحدد بزمن ينتهى ليفسخ بناء على طلب أحد الزوجين، مع أن المسيحيين يقولون أنه عهد أبدى فما جمعه الله لا يفرقه الإنسان، ولا يسمح بنظام الطلاق، ولو كان خلاصاً من زواج فاشل أو فكاكاً من زوج بغيض أو مخادع.

زواج الويك إند

فقد وصل الأمر إلى ما يسمي بزواج الويك إند، حيث يلتقى الزوجان فقط فى نهاية الأسبوع باتفاقهما، وهو شرط يبطل العقد لأنهما إما

أن تكون زوجة أو لا تكون، فإن كانت زوجة فهى حـلال لــه طـول الأسبوع وإن لم تكن فلا تحل ولا يحل لها [1].

والزواج المدنى يعطى للفتاة الحرية أن تبيت عند من تشـاء مـن الرجال، ويعطى حرية التمرد على الأهل وتزويج نفسها ولا تأبه لمن بيده عقدة النكاح، وعما قليل يحدث التصدع وتنفك العـرى بعـد أن صـارت الشريكة مثقلة بحملها، وتئن بأولادها، وهيهات هيهات للعقـد المـدنى أن ينقذها من تعاستها.

وأخيراً يسمح هذا النظام بموبقات وشرور، فهـو يبـيح بـزواج المسلمة من غير المسلم، وبزواج المرأة فى العدة متجاهلاً كـل الموانـع الشرعية ، ناهيك عن أنه يبيح الزوج من الرضاعة، أليس هـذا تصـريح بالدعارة، ومؤامرة على الإسلام والأديان، والإفلات من الضوابط الربانية التى جاءت بها شريعة موسى وعيسى بن مريم والنبيون من ربهم [2].

هل النظم الاجتماعية التى تنظم أوضاع البشر للبناء ام للهدم، وهل تتحقق فى ظلها المدينة الفاضلة الواعدة ؟ هل سلمت المجتمعات الأوروبية من الآفات السلوكية فى ظل الزواج المدنى الذى يتـرك لإرادة الطـرفين تنظيم بنوده.

٥- الطلاق بيد المرأة

أصوات تعلو ثم تخبو تنادى بضرورة الانتقاص من السلطة الذكرية لا بل هدمها. وتلك من القطوف الدانية لنعرات التشدق بالمجتمع المـدنى والزواج المدنى باعتبار عقد الزواج المقدس عقد كأى عقـد، يـودون أن

---

(١) يوسف القرضاوي الأهرام العربى ، ٢٠٠١/٤/١٤م.
(٢) المسلمون العدد ٦٨٥.

يكون انفصام عقدة النكاح على يد الزوجة فيكون الطـــلاق بيـــدها لا بيـــد الزوج، ولو تم لهم ما أرادوا لطلقت المرأة نفسها كل يوم، وزلزلت عرشها وهدمت كيانها وأفشلت هناءها، وغلبت عليها شقوتها.

إن المرأة السوية تأبى أن ينكشف عليها رجل آخر غير زوجهـــا، والطلاق بيد المرأة وما يعقبه من زواج وطلاق يحولها فى الواقـــع إلـــى امرأة بغى بعد حين، وقد حماها التشريع الإسلامى من هذا التردى ، فجعل العصمة للزوج، ولا يباح للمرأة إلا على سبيل الاستثناء ذلك الدين القـــيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٦- أريد عريساً بالإنترنت

هل يليق بالمسلمة – وخلقها الحياء – أن تسلك أرخص السبل لنوال أقدس الأغراض، وإذا تمخض الإعلان عن زوج لها فهل هو أنسب؟

ألن يأتى يوم يعيرها فيه أنه عثر عليها عن طريق الإعلانات فـــى الصحف والمجلات، هل هذه هى الرابطة الأسرية الإسلامية ؟

* أعمدة مخصوصة مرصودة فى الصحف والمجلات عنوانها :

"أريد عريساً" تتحول فيها الفتاة المسلمة الطيبة إلى بضاعة مزجـــاة. وسلعة راكدة كما لو كانت فى أسواق النخاسة، وقد عادت إلينا بعد طـــول غيبة، فهذه فتاة بيضاء جميلة وأخرى سوداء، رشيقة القوام وأخرى سمراء هيفاء تقدس الحياة الزوجية.

قد يقول البعض أن الزواج بهذه الطريقة الغريبة يكون اضطرارياً ، وأن هذه وسيلة للعفاف سيما مع ازدياد عزوف الرجال عن الزواج ما يدفع النسوة إلى تقديم إغراءات ، وذلك مردود عليه بأن إثمها أكبر من نفعهـــا،

وقد تفضى إلى ارتكاب المحرم سيما مع تدنى الأخلاق، والـزواج أكثـر حرمه من أن يتبع فيه طريق الإعلان عن الموظفين.

فالزواج على هذا النحو سلاح ذو حدين، فقد يتخذ وسيلة للتسـلية والعبث وهو ما يسئ إلى نفسية المرأة إساءة تفسد عليها حياتها، فى إيجاز بالغ هو مقامرة وفدت إلينا كتقليعة غربية من بيئة اتبعـت فيهـا مسـاحة التباعد والتفكك وهى غريبة عن مناخنا.

٧- بنوك الحرام

الحلال والحرام نظرية موطنها دار الإسلام، فهى القطب الأعظـم فى الدين، تعصم المجتمع من كل آفة، وشرف الأنساب باب عريض فيـه، أما فى بلاد الغرب تكاد هذه الظاهرة أن تتوارى ، وفى أوروبا اليوم بنوك للاتجار تبسط أجنحتها لطلاب النطف من بنوك الأجنة روادها وسماسـرة من الأطباء والمحامين والأفاقين وتجار الرذيلة، وقد أصبحت هناك وكالات متخصصة تبيع النطف والبويضات، وتؤجر الأرحام، ويتم لك عن طريق اللجوء إلى البغايا، انبثاقاً من فلسفة يرجون لها، وهى أن كل امرأة علـى ظهر الأرض من حقها أن تسعد بوليد، وهنا يقولون على السـيدة مـريم بهتاناً وإثماً مبيناً، فهى بزعمهم أول الأمهات الحاملات فى التأريخ التـى سعدت بوليدها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى حد أن مصانع أدوات الزينة والتجميل قد صارت تتهافت على شراء الأجنـة مـن أولات الأحمال اللائى يجهضن أنفسهن قبيل الشهر السادس لتحليلهـا كيميائيـاً ، والإفادة منها فى منتجاتها، مستغلين انتشار الإيدز يثيرون به المخاوف لدى الحوامل. ليسوغ الإجهاض حلاً سائغاً للإنجاب المشوه.

وها نحن أولاء على أثارهم، فهناك من الأسر المسلمة التى يحلــوا لها اليوم التردد على بنوك الأجنة، وطريق التلقيح الصناعى أمامهم ممهداً كما سمعنا منادى ينادى بإدخال بنوك لبن الأمهات إلى عقر دارنا غــافلين عن اختلاط الأنساب والمحرمات من الرضاع التى سنها لعباده ليصون لهم حسبهم ونسبهم.

نعوذ بالله من شر قد اقترب .

٨- الإنجاب ولو بعد الممات

نعم أصبح سائغاً هناك أن تلقح المرأة بمنى زوجها بعد وفاته، أسفر التقدم العلمى عن تجميد النطف فى بنوك الأجنة لتظل بعد رحيــل أهلهــا جاهزة تحت الطلب، وهكذا يمكن لامرأة أن تطلب فى أوروبا نطفــة مــن البنوك تلقحها، ومن يدرى قد تكون تلك النطفة لابنها الراحل أو أخيهــا أو أبيها.

نعوذ بالله أن نرد على أدبارنا بعد إذ هدانا الله.

٩- وتأجير الأرحام زاحف[١]

رحم للإيجار، هكذا تستطيع أى امرأة فى الغرب أو فتاة أن تعلــن عن رغبتها فى تأجير رحمها لمدة تسعة شهور لإنجاب طفل لن تكون أمه، وهذه اللافتة لم ترتفع بعد فى الدول العربية، ولكن هناك اليوم من يريد أن يلفتنا عن ديننا ليبيح فكرة استئجار الأرحام الرحم البــديل والأم البديلــة، لوضع بويضة ملقحة من امرأة أخرى ، ليبقى السؤال الشرعى لو حــدث هذا الأمر فمن تكون هى أم الغلام.

---

(١) الأنباء الكويتية فى ٢٠٠١/٥/٤م.

عنى الإسلام بالمحافظة على الفتاة وكل ما يرفع قـــدرها ويعلـــى شأنها، والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والرياضة البدنية تشكل البنية الصالحة للعطاء للرجل أو المرأة على السواء، ولـــيس فى ذلك تقليد للغرب.

ولكن الإسلام يضع ضوابط فى هذا الصدد بالنسبة للنساء صـــوناً للكرامة وحفظاً للآداب، فهن مأمورات بممارسة الرياضة البدنية ولكن فى حيزها الخاص، والبعد عن الاختلاط بالشباب مع المحافظة على ما يســـتر البدن وأن يتم التدريب على يد المربية الصالحة، وكل ذلك بعيداً عن إثارة المفاتن، فالشرع الحكيم يحبذ الرياضة البدنية لأنها تقوى البدن وتقيه مـــن الوهن، ولكنها إذ خرجت عن الدائرة الشرعية تكون مرذوله فقـــد تجلـــب الضرر بالفتاة.

وعلى هذا لا يليق بديننا تكوين فريق قومى لكرة القدم من الآنسات لأنه مسلسل مقنع لكشف العورات، والغرب لا يحفظ للقيم هنـــا مكانتهـــا، فهناك مدرب وجمهور من المتفرجين ومشرفين إداريين وحينئذ نكون قـــد اتبعنا غير سبل المؤمنين بالعرى وإبراز المفاتن، إما أن يـــتم ذلـــك فـــى الإطار الإسلامى فى وسط نسائى وملابس تغطى العورات ويحفظها كمـــا يحفظها الدين فالأمر حينئذ على الأصل وهو الإباحة.

وقد حدث أن أصدر البرلمان الأوروبى قراراً بحجب المســـاعدات عن الدول التى لا تسمح للنساء بممارسة الرياضة البدنية والمشاركة فـــى الدورات الأوليمبية ... فكان من حسنات مجلس وزراء الشباب العرب أنهم اعتبروا بلادهم هى المقصود بهذا القرار ومن ثم فقد اســـتنكروه وأعلنـــوا

رفضهم له، لأنه يمثل نوعاً من الإهانة لثقافات وقيم الأخلاق عند الآخرين لمن لم يمتثل للقريحة الأوروبية، باستعراض أجساد النساء المسلمات أمـــام المشاهدين فى العالم[1].

ما تقدم جميعه كان رصداً لبعض السلوكيات التى تجـوس خــلال الديار لتلفتنا عن ديننا، وهى لم تنشأ بين عشية وضحاها وإنما دفعت إليها أموراً كثيرة وها نحن أولاء نطوف بالأسباب.

---

(١) جمال سلطان الرأى العام الكويتية ١٩٩٧/٣/٢٠


الفصل الثانى
أسباب التقليد

الفرع الأول
الغـزو الثقـافـى

صراع حضارى أو صراع دينى وتحد مصـــيرى ، إشــكاليات ثقافية وتهديدات أمنية وغيرها، وكأننا قوم نعيش فى وسط غابة مظلمــة ليس فيها سوى الوحوش وما علينا إلا أن نستعد لهجوم محتمــل علينـــا، هذه هى فلسفة العالم الغربى المتحضر ، وتلك قوانينـــه المســـتمدة مـــن شريعة الغاب وهو ينشد الديموقراطية، وهذه نظرته التعســـفية الضـــيقة وهو يدعى التقدمية، ولكن هذه أخلاقهم وفلسفتهم فى الحياة، فمـــا هـــو شأننا إزاء هذا الهجين من القيم والأخلاق؟ (١).

نعم السيادة فى الوقت الحاضر هى الحضـــارة الغربيـــة، بـــات الغرب يبتكر المعجزات ويحاول أيضاً أن يبسط هيمنتـــه الثقافيـــة فـــى مجال السلوك، ومن هنا كانت محاولات إلغاء الهويـــة والذاتيـــة للأمـــة الإسلامية، وهى نظرية عرقية قديمة يجدد الغرب دماءهـــا كـــل حـــين، ومؤداها تميز العقل الأوروبى عن العقل السامى العربى الذى هـــو فـــى زعمهم، غبى التكوين فضلاً عما يتسم به – فى زعمهم – بمعاداته للعلم والفلسفة(٢).

وفيما يلى نحاول أن نرصد الأسباب الحقيقية التى تدفع إلى محاكاة الغرب والتشبه بأهله وأسفاه فى القشور دون اللباب..

---

(١) انظر د. محمد صالح العجيلى ، أصالة القيم الثقافية ، مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث عدد ٣٧.

(٢) راجع د. أسحق السعد، تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين.

١ - حملات تغريب العرب، الثقافة الوافدة واختراق الآخر

بادئ ذى بدء هناك فرق بين العلم والثقافة، فمرحباً بكل علم وافد، ولكن لا مرحباً بالثقافة الوافدة، فاحتلال العقول يتبعه احتلال السلوك واختلاله، فتودع الأمة تراثها ودينها وثقافتها لتقمص طباع الأمة الغازية، وهو أمر يخطط له بذكاء بالغ، فحينئذ تقارب سلوكياتنا مع أبناء الملة الأخرى ، ويتم الانسلاخ المنشود وهو بداية النهاية، حتى قيل بأن أهم التحديات التى نواجهها هو الغزو الثقافى القادم من الولايات المتحدة بالذات، والذى يصطدم مع مبادئ الأخلاق القويمة التى تتحلى بها الشعوب، ومسيرة الإرهاب الفكرى يمكن رصد مخططاتها ، والعولمة محتومة لا مفر منها، وفى النهاية شمولية تتأسس على الظلم وخلط الأوراق واختراق دول العالم الثالث ومحاولة التصرف فيها كملاك لها، ومن هنا كانت محاولة الاغتيال [(١)]، فثقافة الغرب فى المجالات الإنسانية تزحف إلينا فى ثوب قشيب يفتن اللب منتهزين فرصة بعثرة الأمة الإسلامية وتنازعها لنتحول إلى مستهلكين لما تصدره القريحة الأوروبية، وهى تدمر فى طريقها أكثر مما تفعله الجيوش.

يا ترى ما الذى حدى بالإنجليز والفرنسيين أن يأتوا إلى بلادنا عبر آلاف الأميال مدججين بالسلاح من كل نوع ؟ أهو تثقيفنا أم نهب ثرواتنا ؟

والإعصار الغربى اليوم يداهم أرجاء شاسعة من العالم الإسلامى فى صورة جديدة ، أصحاب الكياسة والثقافة والرياسة الذين يمثلون

---

(١) انظر مؤلف جون سيفيليا الإرهاب الفكرى ، منذ عام ١٩٤٥ حتى يومنا الأهرام فى ٢٠٠١/٩/٢٨م.

مواقع القدوة بيننا، وهم فى غمرة ساهون فهم مقبلون علـــى أوضـــاع المنصرين؛ بل إن هؤلاء شرذمة منهم يطاردون أوضـــاعنا الســـلوكية والتى ترعرعوا فى ظلالها وأوصلتهم إلى مراتب المجد، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، فالمناهج الدراسية الوافدة هى مترجمة أحيانـــاً بذكاء تخلع المسلم ولا تزرعه، فتنأى به بعيداً عن ثقافة أمته وتغـــرس فيه حب الانتماء لغيرها، وقد بدأت هذه الأفكار المغايرة تتعدى عقولنـــا إلى أعرافنا، وفى غير محمود السلوك.

فقد بدأ التعليم عندنا فى العصر الأخير بتشعيبة إلى مدنى ودينى ، تغدق الأموال على التعليم المدنى وليبقى التعليم الدينى فى وضع دونى ، وصارت مناهجنا تستشهد بأفكار "فرويد" وتترك ابن خلدون الذى خلده التاريخ، ونزلت النظريات الغربية فى التربية إلى سوق الثقافة العربية.

وكانت خطة المستشرقين هى إفراغ القرآن والسنة من جوهرهما وزرع الشبهات حولهما، وذلك عن طريق دس وبث التفسيرات الخاطئة والاجتهادات الفاسدة فى قضايا مهمة مثل التعدد أو أزواج الرسول ﷺ أو الخلاف بين الصحابة وغير ذلك من الأمور. وواكب كـــل أولئـــك حركة ترجمة الأفكار اللادينية المسماة خطأ بالعلمانية، وخاصـــة بعـــد استمرار البعثات إلى أوروبا وعودة أبنائنا مبتهجين بأنهم صـــاروا ذو عقل غربى ، ويعضدهم نخبه من غير المسلمين ممن كان لهم باع فـــى الصحافة، وكانت النتيجة هى تهميش دين فهو بزعمهم تراث لا عقيدة.

كما ذاعت وشاعت عندنا دعوات تحرير المرأة المسلمة حتـــى ولو كان من زيها ولبأسها وتخليها عن تقاليد الإسلام مع أن الراهبـــة لا تزال تتحلى به، ودعواهم أنه يحجب المرأة المسلمة عن نوال حقوقهـــا، دعواهم تلك داحضة.

أفكار تتخلل نسيج القيم عندنا لتكون أوهى من بيت العنكبوت، وحينئذ يفرح مرضى الغزو الفكرى الذين يريدون إقصاء الدين عن ساحته، فالثقافة الغربية بالذاتية التى أعلنت، من شأنها منح الحرية الواسعة التى وصلت إلى حد التفلت التى اتسمت بها، باتت تحتفى – فى سلبياتها – بنموذج فتى لعوب أو امرأة متهتكة أو نجم شاذ جنسياً فى عالم السينما بلا خجل ولا حياء من ذلك في المجتمع الغربى (١).

وفى تصوير صادق أمين لما يجول ويصول فى خاطر قادة الغرب يقول الأستاذ أحمد بهجت الصحفى المرموق تحت عنوان قضايا معاصرة خلاصة ما سجله الدكتور إبراهيم العاتى العراقى فى أحد مؤلفاته(٢): منذ بضعة قرون والحضارة الغربية الحديثة تتمدد خارج إطارها الجغرافى شرقاً وغرباً فتحتل الدول وتلتهم الثروات وتذيب الثقافات لصالح ثقافة واحدة، وقد تم كل ذلك ومازال يتم فى إطار من الصراع والتناحر، وكانت الغلبة فيه للطرف الغربى الأقوى عسكرياً واقتصادياً وسياسياً، وحينما بدأت الدول الغربية احتلالها للعالم الإسلامى شكلت الهوية الثقافية والحضارية معتركاً حقيقياً للصراع بين الطرفين. وقد لاحظ الغرب أنه لا يمكن التمتع بثمار النصر العسكرى والهيمنة السياسية طويلاً، طالما بقيت الأمة معتصمة بدينها وثقافتها ومخزونها التراثى .

كان هذا كله يشكل منجماً للقوة الروحية الكامنة، والقادرة على تعبئة الشعوب ودفعها نحو المقاومة والمنازلة من جديد وهو ما حصل

---

(١) فهمى هويدى ، الأهرام ١٩٩٧/٩/٢٣م

(٢) أحمد بهجت ، الأهرام فى ٢٠٠٣/٢/٢٠م.

مراراً. ومن هنا دأبت الدول الاستعمارية على تحطيم ثقافات الشعوب وتفكيكها أو تذويبها، وكان للمسلمين فى ذلك حصة الأسد، وتم هذا باسم التقدم والتحديث واللحاق بركب الحضارة.

من هذه الزاوية طرحت العلاقة مع تراثنا بوجه عام، والفلسفى منه بوجه خاص إذ لم يكن التعامل معه محايداً أو موضوعياً، وإنما خضع لأحكام مسبقة ونظريات جاهزة، أو بتطبيق مناهج لا تتفق والنسق المعرفى للعلوم الإسلامية، وقد شكل الاستشراق رأس الحربة فى هذا المشروع، الذي عمل على ربط الفكر العربى والإسلامى بمسارات الفكر القديم السابق على الإسلام، وبخاصة الإغريقى منه، هادفاً من وراء ذلك إلى نفى صفة الإبداع والأصالة عنه لأنه فى نظرهم لا يعدو أن يكون نسخة مكررة لما سبقه من علوم وأفكار.

٢- الغزو الثقافى وما يتلوه من غزو سلوكى :

الإسلام البديل لا الأصيل، تلك دعواهم، نعم تخطيط وعداء معلن تجاه أمتنا على دينها وأخلاقها وهويتها، ولم يكن هدف الغزو الفكرى أن يقرع ثقافة بثقافة أو فكر بفكر، وإنما كان تشويه الواقع الإسلامى وشن حرب شعواء على الهوية الإسلامية، سبيله الميسر هو أن يفتن المؤمنين والمؤمنات فى سلوكياتهم، حتى يصل السكين إلى العظم، ويصبح التناقض جلياً بين مبادئ الدين وواقع المسلمين كما نشاهد فى بلد كتركيا، وآخر شاهد على ذلك هو أن الغرب أحياناً يستغل الأمم المتحدة كمظلة شرعية لفرض أفكاره الإباحية على الشعوب الإسلامية [1].

(١) مؤتمر بكين المنعقد فى يونيو ٢٠٠٠م لإزالة جميع الحواجز الدينية والقيم الأخلاقية التى تبديها الوفود النسائية المشاركة، انظر الإيمان ملحق الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٦/٩م.

والغزو الفكرى عادة يطرق أبواباً ثلاثة يحاول أن، يلــج منهــا وهى : **الإعلام والتعليم والقانون**، وحينئذ تسود ملامح الغربة، وتتسرب الشذوذات المسلكية الغربية فتختلط بحياتنا لتغتال شبابنا.

والغريب أن أوروبا احتفظت بنصرانيتها كتراث تاريخى ، ولكن مع ذلك فقد أدخل الأوروبيون نظمهــم ومفــاهيمهم التعليميــة للعــالم الإسلامى ، إما بوسائل القهر أو بوسائل أخــرى ، تقابلــت الأهــداف الاستعمارية مع التبشيرية فى المناهج التعليمية. وأنشأت الدول الغربية مدارس وجامعات لها فى قلب عالمنا، لتكون الأسوة الحســنة معقــودة للنمط الأوروبى .

وهاكم تاريخ التعليم فى بلادنا شاهد ومشهود كيف هيمن النفوذ الأجنبى على أجهزة التعليم، ففتحــت أبوابنــا للإرســاليات التبشــيرية والبعثات العلمانية من كل جنس غربى ، حتى يخرجوا أبناءنا غرباء فى اللغة والفكر والوجدان، ينتابهم شعور بالنقص من قوميتهم، فكانت عندنا مدارس الليسية واليوسوعيه الإنجيلية والأمريكية والفرير وسان جورج والتلمود وفيكتوريا والقلب المقدس. "وأم الله" – نعوذ بالله – والراهبات، وهلم جرا. وزحزحت المدرسة الإسلامية من مكانتها التى كانت لهــا، وغدا أخلاط الخريجين من مدارس الفرنجة هم قــادة الحيــاة الفكريــة والاجتماعية والوجدانية للأمة الإسلامية.

إن الحملة التى يشنها الغرب على الإسلام، وإن كــان ترتــدى لباس الثقافة إلا أنها تضمر محاصرة الإسلام وتقطيع أوصاله حتــى لا يخرج عن أن يكون مجرد عقيدة دينية ينحصــر دورهــا فــى حــدود العبادات، ولا يكون لها قوة سياسية عالمية مــؤثرة أســوة بالــديانات

الأخرى ، مثل المسيحية والتى لها كيان سياسى يتمثل فى دولة الفاتيكان، واليهودية والتى لها دولة تدافع عنها، ولوبى متعدد الأشكال يرعاها.

٣- الإرساليات

مدارس (الملابس القصيرة والمعلمات المتبرجات)

فالمدارس الأجنبية اليوم تنشئ أجيالاً مضطربة الفكر والعقيدة، يهتمون بلغتهم وآدابهم وسلوكهم، نعم تنمى فيهم المهارات ومواهب النبوغ، لكنها تترك لديهم استخفافاً بالفرائض وما حولها من آداب وقيم.

فتعليم الرقص عندهم والاختلاط مواد أساسية لا كمالية ، نعم من المحاسن إنها تعلم لغة نطل منها على حضارة أخرى ، لكن المساوئ هى إضعاف العقيدة والإسهام فى مسح الشخصية الوطنية. فالطلاب الذين يتخرجون يكون ولاؤهم للدولة التى يتبعها، فالغرب فى عقيدته الدينية شديد الاضطراب وكذلك أخلاقياته، فما بالك بمثقفيه الذين يرون أن العرى والاختلاط بل والعلاقات الجنسية يبن الأولاد والبنات والعلاقات الشاذة بين أبناء الجنس الواحد حرية شخصية[1].

ولولا فضل الله علينا ورحمته لما زالت مثل هذه المتاريس ، فدورها وعددها قد تقلص الآن سيما فى بلد كمصر، وهى تحت سيطرة الدولة إلا أنها لا تزال تلعب دورها فى دول إسلامية أخرى من خلال المناهج والمفاهيم الغريبة والتقاليد المصاحبة التى تبثها فيخرج أجيالاً متخمة بالعلوم والمعارف إلا معارف دينها.

---

(١) د. مصطفى الشكعه، المسلمون ٢٣ مايو ١٩٩٧م

نعم للتواصل الثقافى بين الشعوب، ولكن لكل أمة خصوصيتها فى ثقافتها وسلوكها التى لا ينبغى أن ينال منها عدو نيلاً.

٤- الفضائيات وتغريب السلوكيات الإسلامية :

هذا هو عنوان غلاف مجلة الشباب فى مصر "من يحمى الشباب من سموم قناة الحرة الأمريكية ؟" (١).

استعمار فكرى فى ثوب عصرى قشيب وثقافات معاكسة أو سلوكيات معادية (تعشش) فى العقول وتضعف الحس والوجدان وتصيبه الشعور بالفتور، وتخترق الحجب والآفاق والأدمغة فتترك أصحابها أسرى للثقافات الغازية مع كونها فارغة المحتوى ، وتلك هى الصورة المثلى للغزو الثقافى على مستوى العصر، حيث تقتحم على الناس فكرهم دون عراك فتقدم لهم سلوكيات غريبة على المألوف والمعروف، يقدمها أوضاع الخيانة الزوجية، وأوزار العشاق وتذويب الحواجز بين ما حرم ربكم عليكم وما أحل لكم من الطيبات.

يتسلل إلينا متخفياً أو متبجحاً الانحلال الغربى ، يناوش حتى الطاعنين فى السن، يسحر أعين أبنائنا ويراود بناتنا من خلال الموضات (والتقاليع) والأغانى المكشوفة وأوضاع توهن العزيمة وتربى الضعف فتأتى بالضربة القاضية فى أعز عزيز(٢).

وتعمل القنوات الغربية جهد إيمانها فى عرض الخلل فى ثوب قشيب أخاذ كإبراز مفاتن الجميلات والحسناوات وتفعيل فنون الإثارة الجنسية التى تقود الشباب للاغتصاب ولو كان على الأبرياء من

---

(١) مجلة الشباب فى أبريل ٢٠٠٤م العدد ٣٢١ .
(٢) مصطفى محمود، الإسلام السياسى ، الأهرام ٢/٥/١٩٩٢م

الأطفال، لأن مواد البث المباشر تصاغ فى قوالب تائهة عن قيم الأديان السماوية، ليصل الشباب إلى مرحلة اللامبالاة بالقيم، ويرسخ فى الأذهان أن المرأة الغربية ما تطورت إلا بعد أن خلعت رداءها وأن الحضـــارة ترك الحجاب[1].

والمرأة المطلقة عندنا تقدم على أنها منبـــوذة ، بينمـــا الغربيـــة متحررة كنموذج لابد من تقليده، فتقدم على أنها بطلة نالـــت الإعجـــاب وحصدت جوائزه لإهدار الحياة وترك العفاف، وكم تعانى المرأة مـــن الاضطهاد الذكرى فى ظل نظام القوامة الأسرية، ولا تكـــف الأفـــلام المستوردة عن الاستخفاف بالقضاء والقدر والملائكة بل تجعلهم موضع نكات، وأصبح الإعلام العربى فى غالبة مفتونـــاً بالصـــورة الغربيـــة، وتسلقت حصوننا برامج تعرض لنا ثقافة سلوكية هابطة، تنضـــح بكـــل مظاهر التفسخ الأخلاقى على أعين الناس، والذى ينتقده علماء الغـــرب أنفسهم، والبعيد كل البعد عن التقـــدم العلمـــى ، أو محاســـن الغـــرب وإيجابياته أغرقتنا فى التسلية والترفيه ولكن كم أبعـــدت المســـلم عـــن دينه[2].

فهذا هو المسلسل الأمريكى الشهير (الجرئ والجميلات) يحض على الرذيلة والإنسلاخ من الفضيلة، ألف حلقة متتابعة كفيلة بأن تـــدمر جيلاً إسلامياً بأسره حيث يقوم الشخصية الأساسية فى المسلسل (ريدج) بالاجتراء والافتراء بدخول غرفة نوم أخيه وهتك عرضه فى فراشـــه، وأخرى تسمى (بروك) تعيش مع الشخصية الأساسية فى المسلسل دون

---

(١) المسلمون، غرة صفر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٧/٦/٦م

(٢) د.عبد الحليم عويس، مجلة القبس الكويتية، فى ٢٠٠١/٤/٢٣م.

زواج (ريدج) وهو المسمى بنظام اتخاذ الأخدان ، والنتيجة هى أطفـال الحرام الذين يشعلون حروب الإنسانية فيما بعد، وفكر مـدمر وشـباب مطحون، على أنهم فى أمريكا لا يعرضون سـوى المفيـد مـن هـذا المسلسل فقط ويصدرون لنا ما تدنى حتى نظل عاكفين علـى السـفالة الجميلة.

وهاكم مسلسل طويل وعريض يسلب نصيباً من أعمارنا، ويقص علينا سيرة فاسق غربى داعر توفى ثم تقسم أمواله وفقاً لنظام الوصـية فى الغرب، والغريب عن ديننا، ثم ينتهى الأمر بأيلولة ماله الممدود إلى عشيقته الغريبة عن أسرته، أو بأيلولة التركة إلى كلـب كـان يداعبـه ويؤنسه.

برامج متقنه تخالف كل انتماء عرفناه لنتحول إلى أمـه تقتـات الرذائل السلوكية وتنام على شهادة الزور، وكم يستعدى الإعلام الغربى واقعنا فتراه يصور المسلم المعاصر بأنه إنسان عابث الوجـه مقطـب الجبين ، كثيف اللحية يلبس العمامة على رأسه ويثير الرعـب بقولـه وعمله[1]، ويستغل خصوم الإسلام – ومنهم منتسـبين لهـذا الـدين – وسائل الإعلام وتقنياته فى بث أفكار الغرب بما تحوى من أوزار بـين قطاعات المسلمين، كما لو كنا ننتظر منهم أن نتعلم أفكارنا وأعرافنـا. حيث يجد الناشئة أمامهم نماذج من الاخـتلاط المـاجن الـذى يقـض مضاجعهم ويستحوذ على حواسهم وإعلانات جذابـة مثيـرة ورقصـة تتبارى فيها أندية الليل والنهار، وأعانهم علـى ذلـك سماسـرة لهـم يستوردون المباهج الخسيسة لتدمر المناهج التى عاشت عليهـا الأمـة

(١) محمد الغزالى ، هذا ديننا، الشعب فى ١٩٩٣/٢/٢م

وترعرعت، سيما بعدما زلزلت الحواجز الثقافية بين الشعوب وإنما مــا نأباه هو التهكم على رسالات السماء والاصطدام بأحاسيس المســلمين، الصادقين، وذهاب شبابنا مبكراً وإن ظلوا فى عالم الأحياء، ولا يمارى أحد فى أن جهاز التلفاز هو إحدى الكبر ومنجزات العصر وهــو حقــاً يقدم لنا الإمتاع والمؤانسة، ويسيح بنا فى أرجاء المعمورة ليطلعنا على أحوال الشعوب ونحن فى الغرفات آمنون ولكن إقحامه بسلبيات الغيــر ورذائلهم هو نوع من الافتئات على ثقافة الشعوب – تقدم إليهم تحــت ستار البرامج الترفيهية التى تغتنمها الدوائر الغربيــة لتمريــر قيمهــا وطرائق معيشتها للسيطرة على الكون، باعتبار كل ما لــيس إغريقيــاً رومانياً متخلفاً ووحشياً، ويبقى الخطر كامناً فى السطو على الأطفــال وخيالهم، والقصة هنا للدكتور/ جمال أبــو العــزايم عــالم الأمــراض النفسية، حفيد من أحفاده طفل صغير شاهد فيلماً للسوبر مان وبعد انتهاء عرضه اندمج الطفل وتقمص شخصية البطل وقام من كرســيه ليفــتح النافذة استعداداً للقفز منها إلى الهاوية كما فعل السوبر مان الــوهمى ، ولولا أن تداركته العناية الإلهية لكان فى عداد الموتى [1].

سلوكيات غازية تأتى بنياناً من القواعد .

٥- الدخول فى دين الملك

سفينة ربان أم قرصان ؟ تلك العولمة الجامحة – هى مشــروع استعمارى عصرى يضفى طلاءً من الذهب على الطين والقذر، اتجــاه جامح ينفى الآخر ، يريد أن يذهب بكل القيم لفرض منظومة قيمية نابعة من الغرب وحده، لكى يتقمص الآخرون.

---

(١) مجلة النور ١٠ محرم ١٤١١ هـ.

عبارات غامضة ذات مضامين يكثر الجـدل حولهـا، باعثهـا ثقافات موجهة، وصراعات خفية فى الكواليس تدور هنـاك (ليتسـيد) الغرب عن طريق محاولات التذويب لكل أمة هشة عارية عن التـاريخ والمجد والحضارة. وإخراجنا بالذات عن ملتنا بدعاوى باطلة شـاركنا فى حيثياتها أحياناً بالصمت والجمود، وأحياناً أخرى عن طريق نفر من مبدعينا العابثين برصيدنا الحضارى وموروثاتنا.

وباختصار هى ترنو إلى إعادة صياغة الإنسان المعاصر وفـق مقاسات غربية بحيث يكون عبداً لها، ولو خلت من أى مضمون أخلاقى ، هى اتجاه خسيس أو ورم خبيث يريد أن يدمر الفوارق بين الأجنـاس حتى بين الذكور والإناث، وكل مورث ثقافى ، مع أن الأمة لا تستطيع بدون ثقافتها أن يكتب لها البقاء، وباختصار هى وسيلة لإلغاء الهويـة وذاتيتنا الإسلامية النقية.

• لنعلم جيداً أن العلم لا وطن لـه فهو مشاع بين الدول، كالطـب والهندسة، وهو لذلك يجتاز كل الحدود، أما الثقافة فهى متصلة بالكيـان الإنسانى للإنسان، وتنبع من عقيدته وتاريخه ولسانه وبنيانه الروحى . ومن ثم تكون الهوية الثقافية لأى شعب حضناً حصـينا فـى مواجهـة العولمة الجاسمة، لأن أول ما تجتاح هو آداب القوم.

وكما تسعى العولمة لاجتياح ثقافة الشعوب تسعى سـعياً حثيثـاً لبث القيم الغربية عبر المؤتمرات الدولية، كما حدث فى مؤتمر المـرأة فى بكين فى محاولة لبسط هيمنة الغرب على النظام العالمى بسـلبياته وإعادة تشكيل العالم وفق منظومته، وكانت لـه دورة اسـتثنائية فـى نيويورك فى مطلع الألفية الثالثة المتمثلة فى التركيز المبالغ فيه علـى

القضايا التى تخص نساء العالم المتقدم مثل الصحة العقلية والإيدز والإجهاض وترتيب الأولويات وفقاً للرؤية الغربية، لفرض الممارسات الإباحية والتوغل فى الانحطاط الخلقى للتحرر من سلطان الدين والأخلاق، وكذلك أيضاً المؤتمر الدولى للسكان حيث هيمن الصهاينة على لجنة القيم لتجريدها من فكرة الدين تحت ستار عالمية القيم، ولكن من عرف النور لن يعود إلى الظلام(1).

أين تلك العولمة من عالمية الإسلام التى تقوم أصلاً على الاختيار لا القهر، والتى تهدف إلى سعادة البشر لا استلابهم وقهرهم.

نعم هى خطة عمل ملعونة الأهداف، وضعت للتدخل فى الشئون الداخلية لكل دولة صغيرة أو فقيرة، والهيمنة العالمية هو اسم جديد لمعنى قديم يحمل كل الأطماع إن لم تكن أحقاد.

هو الهجوم الأخير على الإسلام ، من قبل الغرب ممثلاً فى كبيرهم الذى علمهم ، تتسلل عبرها إلى قيمنا الحضارية الراسخة بوصفها قيماً إنسانية سامية .

فى الثقافة ، طمس الهوية الإسلامية حتى فى الطعام والشراب، وتضخيم الغرائز الحيوانية لدى الإنسان .

الاجتماعيات : تعرية بدن المرأة وأكاذيب عن حقوق المرأة وحقوق الإنسان، والعلاقة الزوجية والزواج والطلاق يجب أن يطولها التغيير.

الاقتصاد : الربا والفوائد.

العسكرية : التحريض على الشعوب واستخدام العنف قبلهم.

وأخيراً .. هى محاولة لجر العالم إلى منظومة يسيطر عليها نمط ثقافى واحد يهاجم غيره أو يفترسه.

---

(1) الأنباء الكويتية فى ١٩٩٨/١٢/٦م

الفرع الثانى
دورة الانبهار بالغرب
(لوثة الإعجاب)

منذ منتصف القرن العشرين بدأت الحضارة الغربيـــة وكأنهـــا النموذج المثالى الذى يجب على الجميع احتذاءه، إن عـــاجلاً أو أجـــلاً، فصار الناس يرتدون الجينز ويأكلون الهامبورجر ، ويشربون الكاكولا ويدخنون المارلبورو ويتحدثون الإنجليزية ويسكنون نفس البيوت [1] فقد اتخذ التحضر اتجاهات غالباً ما تكون منافية للأعراف والتقاليد العربية والقيم الدينية.

وجوهر البلاء يكمن فى الإعجاب بكل ما هو غربى وما يترتب عليه من عزل العقل العربى ، والانتقال من هزيمة إلى هزيمة، وتحول الدول العربية الإسلامية إلى دويلات تابعة، نعم الحضارة الغربيـــة قـــد أوتيت رشدها وحاز الغرب كل أنواط التقدم التى تؤهله للصدارة علـــى العالمين ، وهذا مما يكبر فى صدورنا، فإنسان العصر قد يسرت لـــــه السبل التى تجعله يعيش فى رغد، واستفاد العالم أجمع من تلك الحضارة مما دعا الكثيرين إلى قبول دعوات الالتحاق والتبعى ، وقـــد أصـــيبت أجيالنا بانبهار شديد متعدد الأشكال والدرجات، وأعانه على ذلـــك مـــا يعانيه من فراغ سياسى وثقافى متراكم متراكب ، مع شلل فى القـــدرة وخلل فى التفكير أحياناً ، مما يغرى أية قوة طامعة باجتيـــاز حـــدودنا وتدنيس أممنا [2].

---

(١) د. مراد هوفمان، الإسلام كبديل ص ١٩.
(٢) فهمى هويدى ، ضعفنا غير عادى ، الأهرام فى ١٩٩٢/٤/١٤م.

ولا يجحد جاحد فى أن التجاوب الانفعالى مع الحضارة الغربية المادية كان له نفع كبير فى دولنا أدى إلى انقشاع سحابة الجمود والركود، وعرفنا من خلاله ما أسفر عنه العصر الحديث من أنظمة متطورة، وأصبحت الأخلاق الإنسانية موجودة فى أوروبا أكثر منها فى بلاد الإسلام، ولكن إلى هنا ينتهى الحديث عن الضوء المبهر للحضارة الغربية ، فعلى الرغم من أنها قد أبدعت فى مجال الكون المنظور وما تفرع عن ذلك من تقدم فى المعرفة، إلا أنها قد أنزلت القيم من عرشها، مما أدى إلى زعزعة الطباع الفردية وأمسى لأهل الحضارة شذوذات تحط من قدرها ، فخلف الواجهة البراقة تختبئ الثغرات والإغواء الاجتماعى والخلقى ، فهاكم البغاء وتفكك العائلة ونوادى العراة وتدهور أخلاق النساء وأولاد السفاح وظلم الشعوب المستضعفة قد عظم وتفاقم بسبب تباعدهم عن شريعة موسى وعيسى بن مريم .

فهذا الانبهار يجب ألا يخلط فيه الليل بضوء النهار فكل حضارة لها جانب مادى وهو التقدم العلمى وجانب معنوى وهو الأخلاقيات والسلوكيات، فالأول علوا فيه علواً كبيراً، أما الثانى فهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . أعراف ممدوحة وسلوكيات غير محمودة. ويفرض الإنصاف علينا أن نفرق بين المحمود والمذموم من سلوكياتهم، حتى لا يذهب الانبهار بنا مبلغه، وفى الوقت ذاته لا نبخس الناس أشياءهم.

فالمرضى بالحماس الانفعالى يقولون أننا أفضل من الغرب لأنه عارى عن القيم، وهذا قول مردود، فهناك قيم هادئة والتزام كامل لمنهج كامل فى الأخلاق الاجتماعية جعلهم اليوم فى عليين، فهناك إيجابيات تحسب لأهل الغرب بل نحسدهم عليها ولم يشأ المقلدون عندنا أن يغبوا منها ، وها نحن أولاء على آثارها.

أولاً : السلوك الغربى المحمود

هم بالجملة أخلاقهم كديننا وأخلاقنا كدينهم، فكل صغير وكبيــر لأهل الغرب نحمده ولا نجحده ، وتلك باقة من ممدوح ســلوكهم التــى نحسدهم عليها فنحن لا نبخس الناس أشياءهم :

١- شعوب قارئة :

"اقرأ"، وكأنما أنزلت فى بلادهم أول كلمة فى القــرآن الكــريم، فالكتاب عندهم صاحب وأنيس وجليس، والمكتبة تكاد أن تكون جــزءاً من أثاث المنزل الذى نفاخر به. بل هى فى تصميم المنزل قبل البنــاء. والهدية عندهم بالكتاب أمر ذائع وشائع على غرار الحلوى عندنا. ومن ثم فلا عجب أن يكون رصيدهم وزادهم من الثقافــة والعلــوم متخمــاً صعدوا به إلى عالم الكواكب والفضاء والسماوات المفتوحة وعلوا فــى ذلك علواً كبيراً.

٢- علم العلماء :

العلماء هناك يرتفعون إلى عنان السماء على غــرار الفنــانين ولاعبى الكرة عندنا، الأسماع والأبصار تطربها صفوف الثقافة من كل درب، أسمع بهم وأبصر وكأنهم يطبقون من دوننا قول الله تعالى ﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلــة:١١]، أمــا نحن فقد غفلنا عن أوضاع العلماء وقدرهم حتى قنعت أجيالنــا بثقافــة الفيشار.

٣- عدل الحكام :

فى أغلب الشعوب الأوروبية – سيما بلاد الرأســمالية الغربيــة فكأنهم أحفاد عمر بن الخطاب فى هذا العصر – تجد العــدل عنــدهم

شرعة ومنهاجاً ، واحترام الحاكم للمحكوم والتزام المحكوم بحكم القانون عرفاً معروفاً، والمحكومين مكرمين، يسأل الحاكم علا أم دنا عــن أى جرم يرتكب فى حقهم كما كنا نسمع عن الحكام فى صدر الإسلام.

٤- الحفاوة برجال الدين ونسائه

فرجال الدين رفعوهم مكاناً عالياً، لا استهزاء بهم كما يفعل بهم عندنا فى العروض الفنية، فأمامهم يقسم أكابر الحكلم ورؤســاء الــدول اليمين الدستورية التى تؤهلهم لتولى مهام الدولة، وبغير ذلك لا يمارس ولى الأمر سلطته.

وإن تعجب فعجب أن يكون هذا التكريم موصولاً حتى بعــد أن تألبت أوروبا على دينها، حتى صارت الكنيسة الآن مقصــورة علــى العجزة أو كبار السن. ومما يحمد لهم أن الراهبة لا تزال موضوع ثناء وتبجيل، وهى معتصمة بزيها الذى يرتبط بدينها الــدى يضــاهى زى المسلمة، فليس من شأن التقدم العلمى تخلى المرأة عن لباسها، ولم تتهم بالرجعية من كاتب أو فيلسوف شغوف.

٥- الوفاء بالعهد :

إخلاف الوعد لا يقوم عليه كرام الخلق لأنه عمل قبيح ، ومنهج أهل الغرب دائماً الوفاء بالعهد، فالعهد عندهم كان مسئولاً، وكأنهم هــم فى الصدر الأول من الإسلام صادقى الوعد، لا ناكثى العهد كدأب أهل الشرق فى عصرنا.

٦- العمل وإعلاء قيمته :

إتقان العمل دستور ثابت، لم تصلهم بعد آفاتنا من كــلام كثيــر وعمل قليل، الجميع مقبلون على العمل وكأنهم يعلنون وحــدهم قولــه

تعالى : ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥]، فالعمل عندهم قيمة لا تـدانيها قيمة ونحن لا نقدرها حق قدرها.

٧- التخطيط النابه :

يخططون للغد بحسابات دقيقـة ومـن ثـم كانـت الطاقـات والإبداعات، وكأنهم يطبقون حقاً قول ربنا ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

٨- نجاح الإدارة والمحاسبة :

فمنهجهم فى الإدارة لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا، أولاً بأول تعالج أمراض البيروقراطية والمكاتب العصرية إن ظهرت ، فلا تتفشى كمـا تفشت فى بلادنا، ولحق بهذا ركب التقدم المحاسبة عن كـل صـغيرة وكبيرة لكل صغير وكبير، ومن ثم كانت نظمهم متألقة بجدارة.

٩- الليل للمنام والنهار للمعاش

اليوم عندهم هو اليوم الإسلامى يبدأ مع الفجر وينتهى من بعـد صلاة العشاء، فالليل للمنام والنهار للمعاش وكأنهم يطبقون قول ربنـا **﴿ومن آياته مناكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾** [الروم:٢٣].

١٠- الوقت من ذهب :

الوقت عندهم يجلب المال والبهجة والمجد فمن ورائه مغانم كثيرة، ويقول ناصحو الأمة أن الإنسان لم يؤت بعد الهداية إلى الإسلام من نعمة سوى نعمة الوقت فهو سر تقدم الأمم إن أحسن استغلاله، والأوروبيون قاطبة ذلك اليوم ديدنهم رجالهم ونساؤهم، فعلت شعوبهم ودنت شعوبنا.

١١- حدائق ذات بهجة :

حب الطبيعة عندهم دستور غير مقنن، ويتأهبون جميعـاً لأيـام العطلات، فيذهبون إلى حدائق خلابة، حقاً ذات بهجة، يمرحـون فـي الأرض، وحق لهم فقد كدوا وكدحوا وهم جادون أيضاً في الحفاظ عليها لا إتلافها وتدميرها كما يفعل سفهاؤنا من صغارنا وشبابنا بـل وأمـام أهليهم دون تحذير.

١٢- لكل شرعة ومنهاجاً :

سر من أسرار نبوغه منهاج لا يزيغ عنه في غـدوه ورواحـه صباحه ومسائه، بكرة وعشيا، حتى وقت الفراغ يخطط لـه بذكاء لكي يغيروا ما بأنفسهم، وذلك منهاج ديننا ولكـن زاغـت عنـه القلـوب والأبصار فصرنا مع الخوالف.

١٣- الاقتصاد الرشيد :

فالاقتصاد عندهم نصف المعيشة، لا يعرفون السرف أو التلف، فكأنهم سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﷺ **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْـرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾** [الفرقان:٦٧]، وهم جميعـاً رجـالاً ونساءً دأبهم وما أنا من المتكلفين، وعن الحفاوة بالضيف فلا تكلفي يـا عائشة للضيف فتكرهيه.

١٤- مدنية مزدهرة :

قصور مشيدة وعمران متألق ومتأنق وحدائق غناء، وضح فيها علم العلماء، وأماكن ثرية وهنية للخلوة والنزهة، واللعب والمرح البرى ، يعودون بعده أكثر حيوية مما يبعث على الازدهار والابتكار.

١٥- سهولة الأداء ويسر الحياة :

فالمرافق العامة التى تخدم الخاصة والمجموع فى انسياب ، ويسر رائدها حكمة تقول "المعوقات اقتلعوها بالفؤوس".

١٦- استغلال الكون المنظور :

فمشروع النهضة عندهم على قدم وساق، لا تفتر همتهم ولا تذوب عزيمتهم فى النظر فى ملكوت السموات والأرض. فما وجدوا طريقاً إلا طرقوه، ولا دقيقاً إلا دقوه، وفتشوا عن أسراره التى أودعها الله فى الكون، استثماراً أمثل للموارد، أنجب عندهم اقتصاداً متألقاً وعلماً نافعاً ومجداً باسقاً.

١٧- الشورى :

هى دستورهم وشأنهم فهم يحبون الناصحين، وكأنما أنزلت الشورى فى بلادهم ولهم، أما نحن فى عصرنا فأكثرنا للحق كارهون، ما أريكم إلا ما أرى .

١٨- الديموقراطية حقيقية لا ورقية :

أما فن التأييد والمعارضة فقد اتبعوا بإحسان ما لخصه أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- فى كلمتين " إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى " أى محاسبتى كحاكم وتوجيه سلوكى الخاطئ بالنصح الأمين إن كان، فكانت هناك حقاً شورى فلا ينفرد حاكم برأى .

وتجد الديمقراطية عندهم قائمة على أصولها، الفصل بين السلطات ، واحترام الحقوق والحريات والحرمات، فما تجد حاكماً تسول له نفسه الإمارة بالسوء أن يعتدى على ركن من الأركان، فيهدم حضارة باسقة ، أو يشوه تاريخاً ناصعاً، وقد تشدقت بعض نظم الاشتراكية

بالديموقراطية فكانت مجرد قولهم بأفواههم، فانهارت بهم لمـــا ضـــاق الإنسان بالسجان، أما فى بلاد الشرق فصار الباحثون يتســـاءلون هـــل الحرية تراث للغرب وحده ؟

١٩- استقبال المضطهدين والمقهورين :

فكل من أخرجه قومه، يجد فى أرضهم مراغماً كثيــراً وســـعة، فكاكاً من الجبارين فهم يجيرون من استجار بهم.

٢٠- أمة واحدة:

معتدون بقوميّتهم وكأنهم نهلوا من الآية الكريمـــة ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢]، حتى صاروا دولة واحـــدة وعملـــة واحدة مع أن قلوبهم شتى ، زلزلت الحواجز بينهم فأضحوا قوة ضاربة ونحن أحق بها وأهلها.

٢١- الرأى الآخر وأدب الحوار :

البحث عن الحقيقة متعتهم، وهم يؤمنون بأن نصف رأيك عنـــد أخيك، ولذلك لا تضيق صدورهم بالرأى الآخر، بل هم يحثـــون عليـــه فلعل فيه شفاء من علل أو إصلاح لمسار، فقد يجـــدون فيـــه الجـــواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى لعللهم.

٢٢- الأغنياء وفعل الخيرات :

نعم هم أساتذة فى الانتماء، وهم عضد للدولـــة علـــى النمـــاء، فالزائر لأوروبا وأمريكا يذهل عندما يعرف حجم المساعدات والتبرعات فى شتى المجالات سيما إنشاء الجامعات.

أما الموسرون عندنا فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك، سامحهم الله قد تطاولوا فى البنيان، ولكنهم عن فعل الخيرات ساهون، ورغم أن

ثرواتهم من دم الكادحين، واجتمعت الأضداد، فهــم أغنيــاء فــى دول الفقراء.

٢٣- منهج الإسلام بالجملة :

فباختصار شديد تجد عندهم منهج الإسلام حقاً، فالنظافة ناموس الجميع، والأصل سداد الضرائب والتهرب استثناء، لإثــراء الخزانــة العامة بحقوقها. عدم التكلف دأبهم، والبساطة فى الأثاث والمظهر تجدها عندهم، والتجارة تجارة لن تبور، والاقتصاد فى كل الأمور، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم كأثير للثقافة الشاملة.

فكل ما تجده عندنا فى الكتاب مسطوراً من نظــم قيمــة وقــيم وإيجابيات وفضائل واعتداد بكرامة الإنسان وإعطاء كل ذى حق حقــه وسيادة الأخلاق الاجتماعية والثروة العلمية والمنهج التجريبى ، وكــل أولئك هى بضاعتنا ياليتها ترد إلينا. أما نحن فقد فرطنا فى الكتاب، فهل نستحق العتاب أم العقاب، نعم إنها قصة نجاح هناك وتألق وتأنق بفضل التمسك بما جاء به منهج الإسلام ولكن لا يشعرون.

ثانياً : سلوكيات لا مرحباً بها

(مساوئ السلوك الغربى)

أ- حضارة بين السماحة والإباحة :

هل هم يستنكرون الزنا واللواط وكشف العورات ؟ فلا تثريــب عليهم اليوم أن ينتشر خبر فلانة المرموقة التى أنجبت ســفاحاً، وأنهــا قررت أن تنخلع عن زوجها، فالتمتع بالحرية الشخصــية قــد واصــل مسيرته وعطاءه الميمون حتى صار الجنس بضاعة مزجاة، وتجارة لن تبور، أولاد الحرام آلاف مؤلفة.

وهكذا تنتقل حضارة الغرب رويداً رويداً من وادى التقدم العلمى وما جبل عليه الغرب من السماحة التى تخلقها الحضارة إلى رحاب مجتمع جديد سيما فى مجال الأباحية والتى كانت دائماً معول هدم للحضارات [1].

ولا يجحد جاحد هناك معايب السلوك الغربى سيما أصحاب الفكر والقلم، أقلها أنها جرأت الناس على الله فجعلتهم يستبيحون الأعراض، وليس لبلادهم عاصم أو ناصح أمين يحرم عليهم الخبائث، حتى وصل التردى إلى نوادى العراة، فبدت لهم سوءاتهم، ففى مسارات الحضارات هناك خيط رفيع يفصل بين قمة النهضة وبداية الهبوط ، وهو خيط لا تميزه العين فى الوقت المناسب لتداخل عوامل البناء فى عوامل الفناء.

هل يقول قائل من عشاق الغرب أن الأخلاق تتقدم تقدماً متوازياً مع التقدم التكنولوجى .

وجه مضئ ووجه معتم :

حقاً إن الحضارة الغربية قد بلغت أوج مجدها، تقدم فى العلوم والمعارف وابتكارات لا تعد، أراحت البشرية من عناء كبير، ولكن حضارة أحاطت بها خطاياها ، من سلوكيات يمكن أن تدمر كل شئ، ومن هنا كانت الموبقات التى ولدت فى أحضان المعجزات كما ترعرعت فى كنفها الفاشية والشيوعية بأخطارها، والرأسمالية بآلامها والاستعمار بأنيابه وضروسه، فكانت حضارة الاستكبار والنهب والقهر

---

(١) د. حسن الشرقاوى ، المسلمون علماء وحكماء ص ١٢٧.

وامتصاص جهد الغير المستضعفين فى الأرض، نعم لقد صعد الغــرب إلى الفضاء ومشى على سطح القمر ولكن هناك فى الوقت ذاته قطــع الغيار البشرية تجارة لن تبور، وعصابات المافيا التى تفتعــل حــوادث الصدام بعد نتصف الليل ثم تمزق الضحايا الأبرياء إرباً، وتعبأ الأكبـــاد والكلاوى والقلوب فى أكياس من الثلج ثم تشحن بالطائرات لتزرع فى أجساد أخرى ولا يسألون من أين[1].

حقائق مرة يعانى منها الغرب :

الطلاق هو معضلة المجتمع الغربى الأولى ، وأخس ما فيه أنه يؤدى إلى تقسيم مال الرجل عند الطلاق، وهو ما يؤدى به إلى الارتباط بعيداً عن الزواج. ومن إفلاس الأسرة إلى ظهور التفسخ الأخلاقى غداة إطلاق العنان للحريات والملذات بلا ضوابط وهذا ما يتلوه شاهد منهم، فها هو الكاتب الأمريكى الشهير "أندرو شابيروا" يقول فالعائلة التقليدية التى يعمل فيها الأب عائلاً ويسودها الهناء العائلى قد بــدأت تضــمحل حتى توارت بالحجاب سيما فى أمريكا، طلقات الرصاص فــى الليــل البهيم وأحياناً والناس ضحى تروع الآمنين وتصيبهم بالخوف والفــزع والشلل، فالديموقراطية التى تبهر أعين الناس ينتابها من الداخل تسوس فى العظام بعدما فشلت فى إيجاد مجتمع آمن لشعبها، فالجريمة اليــوم تحتل مكان الصدارة مع أنها أغنى وأعتى الدول.

والغربيون اليوم رجالاً كثيراً ونساءً يعانون من فقدان التــوازن النفسى ، فكان القلق والملل والاكتئــاب والشــعور بالغربــة النفســية، بالإضافة إلى ما يشيع فى نوادى الشواذ فى أمريكا وحدها .

---

(١) مصطفى محمود ، دولة الظلم ساعة، الأهرام ١٩٩٢/٩/١٩م

ربع نساء أمريكا يتعرضون للعنف والعنف المثار بل يتعـرض لـه الرجال أيضاً [1].

وانعدام الثقة فى قيم المجتمع الغربى وانعدام التـرابط ظـاهرة يتفاقم خطرها ومجالها سيما بعد أن تولى الدين عندهم إلى الظل، حتـى أن أمريكا صارت تسمى ذات القناعين[2].

نعم هم مغمورون بحضارة زاهرة تحير الألباب ورخاء تهفـوا إليه النفوس، ولكن الانصراف عن الدين قد أصبح من لوازمها، فعلـى الرغم من وجود قطاعات عريضة محافظة، إلا أن القيم الدينية لم تعـد هى الملهم لتصرفات الجماهير، وقد نلتمس الأعذار بسبب التاريخ الغابر للصراع المرير بين العلم والكنيسة فى أوروبا، فضاقوا ذرعـاً بـدينهم ويئسوا منه.

إنها فلسفات الوجودية والعدمية من الأيدولوجيات الهدامة التـى أدت إلى أفول الجانب الروحى ، ومن ثم فلا عجب أن يبسطوا أيـديهم بالسوء إلى الشعوب المستضعفة لنهب خيراتها ونكب اقتصادها وتفتيت قواها.

وفيما يلى تفصيل ما أجملناه، نستعرض قبساً من الشذوذات التى أفرزتها المدنية الغربية :

وقبل استعراضنا لتلك المعايب السلوكية نقول: إن أهل الغـرب ليسوا ملة واحدة، فمنهم أمة مقتصدة وكثير منهم أصحاب سلوك سـوى

(١) الأهرام فى ٢٠٠٠/٧/١٧م

(٢) د. حسان حتحوت، العربى رجب ١٣٩٦هـ ، يوليو سنة ١٩٧٦م.

محمود نتشدق به وكثير منهم أيضاً ساء ما يعملون ، وهناك عقلاء فى الغرب منصفون ينتقدون أنفسهم على ما سنرى فى الفصل الأخير ، كما أن أهْل المعايب السلوكية لهم عذرهم، فالمتهم الحقيقى هو غياب العطش الروحى ، أو الفراغ العقائدى وفى ذلك كتب تملأ مكتبات . وواأسفاه فإن التقليد عندنا غالباً ما يكون لهذه السلبيات وهو ما دفعنا إلى أن نتطــرق إليها قبل أن تتسرب إلينا إن لم تكن قد داهمتنا.

١- التمرد على الفطرة:

فطرة الله التى فطر الناس عليها تميز بين الطيب والخبيث، فإذا انضاف إليها ما أوتى النبيون من ربهم أنتجت سلوكاً سوياً وعواطــف متزنة لا تعرف الجموح ولا الجنوح، فماذا قدمت حضارة الغرب لهــم فى هذا المجال؟.

- الأزياء عندهم تبدلت إلى عرى وإثارة، والرسم تحول إلى عبث لا معقول وفرض أشكال وألوان ، والغناء صار استعراضــاً ورقصــاً وهزاً (وشقلبة) وصراخاً وعويلاً، وموسيقى نحاسية تصك الآذان، كما تحولت السينما إلى جنس وعنف وقصص للجريمة بل وتعليمها، حتــى العلم تحول من مجراه الطبيعى الرائق إلى إنتاج أدوات وقاذفات للقنابل للاتجار أو للسيطرة على الشعوب وقهرها، وباختصار شــديد تبــدلت السلوكيات وعلا فيها الرخيص ورخص الغالى .

٢- المادة تغلب المودة، واللذة والحياة الدنيا أسمى أمانيهم:

حبسوا أنفسهم فى سجن المادة وشردوا عن الصانع وجهلــوا أن الكون لم يخلق عبثا، هل هناك من يحض على طعام المسكين أو إكرام اليتيم ؟

الدنيا عندهم أكبر همهم ومبلغ علمهـم ، وقـوام الفكـر لـدى الغربيين هو المادة، فهى الحاسب الآلى فى تقييم الأفـراد والشـعوب، علمهم بالآخرة محدود، فما الذى أجاء بهم إلى هذه الدروب المظلمة ؟

لقد تسربت المادية إلى الحياة الزوجية والتـى قوامهـا المـودة والرحمة، فأتت بنياتهم من القواعد وغشيهم ما يسمى بالنظام المالى بين الزوجين على غرار الشركات ، فأصبح الزوجان شريكان فى شـركة أكثر من كونهما فى غش الزوجية.

وفى تصوير صادق أمين لما أصبح عليه الأوروبى المادى يقول الأستاذ/ عبد الرحمن الكواكبى فى مؤلفه طبـائع الاسـتبداد: الرجـل الغربى مادى الحياة، قوى النفس، شـديد المعاملـة، حـريص علـى الاستئثار، حريص على الانتقام، لم يبق عنده شئ من المبادئ العاليـة والعواطف الشريفة التى نقلتها لـه مسيحية الشرق، فالجرمـانى مـثلاً جاف الطبع يرى أن العضو الضعيف فى الحياة من البشر يستحق البتر، ويرى كل الفضيلة فى القوة، وكل القوة فى المال، فهو يحب العلم ولكن لأجل المال، ويحب المجد ولكن لأجل المال، واللاتينى منه مطبوع على العجب والطيش ويرى العقل فى الانطلاق، والحياة فى خلـع الحيـاء والشرف فى الزينة واللباس، والعز فى التغلب على الناس.

التفكير الميكيافيللى :

وخلاصته أن الغاية تبرر الوسيلة أياً كانت، أما فى الإسلام فـلا يقبل وصول إلى الحق بطريق الباطل، والحضارة العربية هنا تخـالف المسيحية أو إن شئت فقل هى حضارة المسيخ الدجال لا المسيح بن مريم

وختاماً فقد صار قانون المودة فى القربى مهجوراً وأتت المـادة على المودة. فالأنانية والبخل والتفكك كل أولئك قد صـار عرضـاً أو مرضاً يشيع بينهم، يورث أحسن الصفات التى تباعـد بـين الإنسـان وعشيرته ويقطع أرحامه وذلك من مظاهر الفساد فى الأرض.

٣- الفراغ العقائدى والعطش الروحى :

إن الإيمان هو العاصم من النجاسة الفكرية، والذين ينتسبون إلى المسيح فى الغرب لا يعلمون من تعاليمه إلا ما شوه منها، الدنيا عندهم محور الحياة ، وعديمة الإله، مادام التقدم العلمـى يقـدم لهـم "جنـة المستهلك"، وانحرفت الفردية إلى نرجسية، والأخوة إلى الاجتماع على الحفلات الموسيقية الصاخبة، واستقلال الشخصية إلى فوضى أخلاقيـة والتسامح إلى استواء الخير والشر، والعشق إلـى رياضـة جنسـية ، وبالجملة تأليه العقل [1].

ولله الحكمة، وهو بالغها، فكما حملت الثورة الصناعية بشائرها الأولى فى بذور الثقة المطلقة فى العقل. فإنها جلبت بذور قلق لا حدود لـه جارت على العقل والنفس معاً، فأصبحت حياة أهل الغرب قاطبـة محوطة بالعطش الروحى ، عاجزة عن تقديم جرعات من الإيمان بـالله إلى أهلها لتضمن لـه التوازن النفسى ، فتملأ عليه حياته وتُخفف مـن آلامه وتجلب لـه السعادة، وتلك وظيفة الدين.

لقد غاب الوازع الدينى فى الغرب ونزلت القيم مـن عرشـها، وذاب التكافل الأسرى ، وتغلب الإيثـار وعـم الاكتئـاب، فبمـا إذن تبشرون؟.

---

(١) انظر : عبد الله الشبانة (مرجع سابق).

يشعر الإنسان الغربى اليوم بالجفاف ويعيش على المهدئات رغم التقدم العلمى الهائل، إن طبيعة خلق الإنسان من طين فهو ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٧-٩]، ولذلك فهناك من يصف الحضارة المعاصرة بأنها عرجاء، لأنها أدخلت فى الروع أن الجسد وما يتعلق به من رغبات وشهوات.جديرة بالاعتبار، أما الجانب الروحى أو الدينى فهو نوع من الخيالات والغيبيات التى لا تليق حتى بالمناقشات لبعدها عن الحقائق العلمية[1].

دور العبادة قباب زاهية و"ثريات" مشعة وزخارف لا حصر لها، ذلك منهم ولا عجب، فهم ينظرون إليها على أنها متاحف لا أكثر، لقد ولوها أظهرهم كأماكن عبادة وأشاحوا وجوههم عنها كدور صلاة، لكنهم أقبلوا عليها كمبان جميلة فيها الكثير من تحف المعمار ، وجمال الذوق الهندسى ، وروعة التصميم، لقد أجاد فيها كل صانع صنعته من بناء وكهربائى ومزخرف؛ فيأتون ليشهدوا جمال الصنعة لا أكثر ولا أقل[2].

٤- ديانات مزيفة ترتع تمجد العقل وحده:

نعم تظهر رؤى جديدة عندهم تتخبط فى الظلام، أفكار كذابة جذابة تمجد القتل الرحيم مثلاً للمريض عقلياً أو نفسياً ، كما تشيع اللواط لأنه يضمن عدم الإنجاب، وتروج لموانع الحمل خلاصاً من عواقب الفواحش وافحش الموبقات[3].

---

(١) المسلمون د. محمد المهدى العدد ٣٨٦.
(٢) عبد الله الشبانة ، المرجع السابق.
(٣) القتل الرحيم : المسلمون العدد ٦٥١ـ ٢٥ يوليو ١٩٩٧م

كما تجد تعقيم المراهقين وصغار السن لمنحهم الحرية الجنسية، وبالجملة سلوكيات من الطين مطلية بالذهب وهلم جرا.

وفى روسيا فى أعقاب اندحار الشيوعية ظهرت أديـان جديـدة تتحدى القيم المألوفة، فكان اغتصاب الأطفال ، وتدفق المبشرون من كل فج عميق مستغلين موجة الانفتاح أمام كل من هب ودب. حتى صـار يتعذر على دوائر الشرطة الوصـول إلـى المغـارات السـرية لهـذه الجماعات، لأن ضحاياهم لا يأتون إلى الشرطة من فورهم فور الوقوع فى مخالبهم.

ولقد أدت قفزات العلوم التطبيقية إلى تعظيم بالغ للعقل وإكباره. وإعراض عن كل ما عداه مما جرد الدين من سلطانه التقليدى مع أنـه مصدر السعادة لمن أراد حياة طيبة هانئة.

هل نرضخ لعقل الشاب أم عقل الشيخ، هل ننزل علـى عقـل الرجل أم عقل المرأة، هل نحبذ عقل المثقف أم أنصـاف المتعلمـين ، عقل المدنى أمن الرجل العسكرى ، عقل السياسـى المنـاور أم عقـل المثقف المهذب، عقل يتحرى المصلحة الشخصية أم يتبغى المصـلحة العامة، ومهما كان العقل رشيداً فإنه لن يملأ الفراغ العقائدى الذى خيم عليهم وسول لهم الكثير من تبريرات حتى للانتحار ، فاجتمعت هنـاك المعجْزات مع الموبقات فى سوق الإنجازات ، ومن ثـم كانـت تلـك السلوكيات التى لا مرحباً.

٥- مجافاة الإنسانية ، والثقافة القيمية أحياناً:

إن فى أمريكا نعيماً وملكاً كبيراً، والمدنية تحير الألباب ولكن لم أر الإنسان بقيمه وشيمه، التى تفرقه عن العوالم الأخرى .

الديموقراطية نظام محمود للحكم علا شأنهم فيها، ولكن كان فى معيتها ومعينها استئجار الأرحام وطلبات للشراء وبيع البويضات من نساء ذوات مواصفات معينة وأسعار مغرية، هذا عالم أسكتلندى يعلن عن استنساخ نعجة عن نعجة أخرى وإمكانية تطبيق ذلك على البشر، وهاكم امرأة ولدت حفيدها من بويضة من ابنتها العقيم وضعت أمها الولود، فعرضت الصحف للمولود بعد سنوات ثلاث من إنجاب الجدة لحفيدها[1].

مشاعر الأمومة صارت تتضارب والأطفال لا يعرفون لمن يكون الانتماء والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل:٧٨].

أى استخدام شيطانى للتقدم العلمى ؟، فليس بالعلم وحده يحيا الإنسان، تلك الأبحاث العلمية الهائلة العاملة فى مجال الوراثة والتى تواصل سيرها الحثيث فى إتلاف الجنس البشرى ، عن طريق وضع نقطة من قرد فى رحم امرأة من المعوزين ليروا عاقبة أمرهم، إنه العلم الذى يستعدى أبناء الإنسانية على بعضهم، نعوذ بالله من علم لا ينفع .

٦- حضارة تتاجر بالسلاح من أجل حصاد الأرواح :

فلقد حققت حضارة الغرب فى سنيها الأخيرة طفرة هائلة فى المعجزات، ولكن هل يصحبه تقدم نظير فى مجالات القيم، إن الاختراعات الحديثة قدمت رصيداً هائلاً لخدمة الإنسان على كوكب الأرض ولكن بصحبة ذخيرة فتاكة تفنى شعوباً بأسرها، الحروب

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٩٠/١٠/٢٦م

الجرثومية والميكروبية والنفايات الذرية التى تدمر كل شئ فى طريقها، ثقافة الإبادة الجماعية ما سبقكم بها أحد من العالمين.

وهنا يطل علينا الكاتب الغربى المشهور (جود) قائلاً "لقد وهبنا من العلم قوى لم يكن يحلم بها أجدادنا السابقون الأولون، ولكننا نستخدمها بعقول الأطفال أو المتوحشين، ولا يسد الثغرة إلا القيم الأخلاقية وأولاها العقيدة الدينية، وحينئذ تلتئم الثغرة بين العلم والأخلاق".

٧- التفكك الأسرى وانعدام الترابط :

إذا بلغ الأطفال منهم الحلم والفتاة سن البلوغ، فلا جناح عليها أن يتفرقا عن الأبوين، حيث الفلسفات الحديثة والثقافة العصرية تملى عليها، فلتذهب السلطة الأبوية أدراج الرياح وتتحلل الروابط العائلية المبنية على علاقة هشه، وهكذا نقضت الأسرة غزلها من بعد قوة أنكاساً، وقد لا يلتئم شمل الأسرة إلا لماماً فى المناسبات، والأعياد فهل نقلدهم فى شئ من ذلك؟.

تقدم علم الاجتماع فى الغرب تقدماً هائلاً كما يقول علماؤنا، فهل تقدمت أسرة الغرب؟ وهل الحياة الزوجية هناك فى مجدها وهنائها، أم هناك تصدع فى بنيانها بسبب التفكك الأسرى ؟ وانهماك المرأة المسكينة فى الحياة العملية، وما قد ينشأ عنها من علاقات جانبية عاطفية خارج أسوار الحياة الزوجية .

وأولو القربى بعضهم أولى بعض، فهل تفلح نظريات علم الاجتماع الغربى الحديث فى إيصال تيار المودة إليهم أم هيهات هيهات لما يوعدون؟!.

إن الترابط الأسرى هو من أسس التوازن النفسى ، فـدعاء الأم لأبنائها أغنى وأقنى من كنوز قارون، وأقرب نفعاً للأسرة من كل نفـع مادي ، فأين الهناء العائلى فى المجتمع الأمريكى أو الأوروبى .

فالمجتمعات الأوروبية قد غدت لا تعبأ كيف يعامل الولد أباه أو الزوجة زوجها طالما. أن ذلك لا يؤدى إلى اضطراب فى المجتمـع أو ثورة على النظام ولا يعرقل سير المدنية، فـلا ضـير إذن أن تنقلـب النواميس الاجتماعية الأصيلة على أعقابها، أو أن يكون هناك قطيعة من ولد أو جفاء من زوج أو تجاهل لقرابة، وليت الأمر اقتصر على ذلـك بل إن بعض الأوروبيين قد أصبح يجد إيناسه فى العيش مع الكـلاب، بينما لا تجذبهم متعة المودة فى القربى .

وقد أدى الحرمان من دفء الأسرة – وفقـاً لإحصـاءات إدارة الصحة الفيدرالية الأمريكية – إلى إن هناك ما يفوق المليون فتى وفتاة ١٥-١٩ سنة، يعيشون منغمسين فى مجتمعـات الرذيلـة والجريمـة، ضحايا أسر وبيوت دمرها التفكك الأسرى وحوادث الطـلاق والقمـار والمجلات الخليعة التى تقص الجريمة وتعرض أشكال العنف وانحـلال الأسرة وتضعضع الحياء.

فلم تعد هناك أسرة بالمعنى المفهوم بقدر ما بقـى نـوع مـن الارتباط المعرض للانفصام فى أية لحظة بين رجل وامرأة [1].

ولم تقدم الحضارة المتألقة حداً للتناقضات الموجودة بين شرائح كثيرة من أبنائها، بل زادت مساحة الصراع وتفـاقم الاكتئـاب وزادت نسبة الانتحار، ورغم الرفاهية والترف المقيم لا يزال الغربـى يحلـم بالتوازن النفسى ، والذى أصبح كسراب بقيعة.

---

(١) عبد الله الشبانه المرجع السابق، ص ١٦٤.

٨- **الانفصال الجسمانى أدهى وأمر :**

فكم تعانى المرأة فى الغرب من أوضاع مؤلمـة لعـدم إباحـة الطلاق حيث يفارق الزوجين بعضهما إلى أجل مسمى أو غير مسـمى يصلٍ إلى عدة سنين وهو أمر يجافى الفطرة ويفسد المرأة ويجرها إلى أوضاع متردية فى ديار التقدم، وهو ما حدا بالنساء فـى أيرلنـدا فـى الثمانينات إلى ربط أنفسهن فى سلاسل من حديد فى بوابات البرلمـان أملاً فى صدور تشريع جديد يخلصهن من زواج فاشل، أو زوج بغيض بإباحة أبغض الحلال، حتى لا تظل فى عصمة أشباه الرجـال تمسـكه على هون، ومهما كانت كهانة الأباء والقساوسة فإنها لا تطفئ لوعتها، وصدق الله العظيم : ﴿**فتذروها كالمعلقة**﴾ [النسـاء:١٢٩]، كـم تتمتـع المسلمة بأمان الشريعة الغراء فتحيا آمنة ومطمئنة يأتيها رزقها رغـدا، فهناك حكم من أهله وحكم من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما، وإذا لم تفلح المساعى الحميدة، فإن يتفرقا يغنى الله كلاً من سعته.

ب- قبس من أخلاقيات المدنية المعاصرة:

وتتمثل فيما يلـى

١- **نشر الجوع :**

قبائل فى أفريقيا وأوروبا يأتيها الموت من كـل مكـان بسـبب مخاطر الجوع المحدقة بهم هم وأنعامهم. فمجموع ما تنفق أوروبا سنويا على الحيوانات الأليفة يفوق ميزانية دول كثيرة فى العالم الثالث. إعدام ملايين الأطنان من الحبوب والفواكه والخضروات للحفاظ على أسعارها عن التدنى ، ناهيك عن إدمان المشروبات الكحولية والتـدخين، ومـا

يلقونه من أطعمة ومخلفات تكلف أموالاً لحرقها والتخلص منها، ملكوا زمامها بغير ضابط أخلاقى ولا إطار شرعى قدمها لهم الاحتلال والاستحلال. إن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض وقدّر فيها أقواتها **﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾** [فصلت:١٠].

٢- حضارة تكره التدين، (والمطاردة الجماعية لأوضاع المسلمين):

نعم إذا كان عندنا فى العصر الأخير فى بلاد المسلمين تدين يكره الحضارة وهم من يسمون (المتطرفين)، فإن الغرب بدوره صار يكره التدين، فالإنسان فى المجتمع الغربى فقد علاقته بالدين، وإذا كان هناك دين فهو متباعد عن شئون الحياة فقد ظهرت العلمانية بأدرانها.

والحضارة الغربية الحديثة رؤية مادية بحتة وليست مسيحية وهى نقطة قوتها وضعفها، المسيحية لا تشكل عندهم سوى بعض الرموز والديباجات فقط.

ناهيك عن الحروب التى تدور فى أفريقيا أو تدار لمصلحة الغرب وحده، فإن دم المسلم اليوم قد أضحى أرخص من دم الدجاجة، فالدولة الإسلامية اليوم كلها فى مرمى نيران الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، وهو ما لم يعرف التاريخ له مثيلاً، ليتحولوا إلى قناصين للشعوب الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م سفهاً بغير علم، انصياعا لسلالة القردة والخنازير ودأبهم فى إيقاد نار الحروب، والمواجهات الساخنة والمطاردة السافرة لكل من ينتسب إلى التيار الثقافى الإسلامى الرامى إلى إحياء الأمة وبعث نهضتها ومجدها.

وهذا كاتب أمريكى من أكابر مجرميها يطالـــب بهـــدم الكعبـــة المشرفة[1]، وذلك غداة تدمير مركز التجارة العـــالمى فـــى نيويـــورك وضرب البنتاجون فى سبتمبر ٢٠٠١م، مع أنهم لم يعثروا على دليـــل واحد يوجه إلى مسلم أو مسلمة، والأقليات المسلمة كم تكتوى بالنار فى بلاد الفرنجة مع أن رايات الحرية لا تزال خفاقة هناك ، وفى عاصمة النور حيث مبادئ الحرية والإخاء والمساواة، قامت الدنيا هناك ولم تقعد بسبب فتاتين مسلمتين ارتديتا غطاء للرأس مع رداء لا يكشـــف عـــن الساقين سيما فى أوقات الصقيع، فهبت الصحافة المبجلـــة الموصـــوفة بالديموقراطية وطائفة من الحكام أصروا واستكبروا اســـتكباراً، ولـــولا القضاء الفرنسى المبجل الذى أيدهما بنصره. لا بل إن هذا يحدث داخل الديار الإسلامية، فقد فصلت مدرسة فرنسية تعمل فى الإسكندرية تلميذة مسلمة لأنها جاءت مرتدية الحجاب (شامبليون) بينما سمحت للتلميـــذات بارتداء البنطلونات القصيرة وصبغ شعورهم، وأباحت للمدرسين الرجال بوضع أقراط فى آذانهم بدعوى الحرية الشخصية، وبعد كل هذا نكسوا على رءوسهم وأصدروا قانوناً فى فرنسا بلد الحرية والإخاء والمساواة يحرم ارتداء الفتيات فى المدارس لغطاء الرأس.

وأخيراً فإن المخطط المريكى الغربـــى يســـعى إلـــى توظيـــف الجماعات الدينية ضد الحكومات الوطنية ثم ضرب الاثنين معـــاً فـــى مرحلة لاحقة، مع التربص لتفتيت العالم الإسلامى وكما يقولون، مـــن يدرى هل يكون رئيس الولايات المتحدة خليفة يوماً على المسلمين فـــى الأرض، وهناك محاولات جادة للتمييز العنصرى وكراهيـــة للجاليـــات

---

(١) جريدة الأسبوع المصرية ٢٠٠١/١٠/١م.

الإسلامية فى عديد من الدول الأوروبية إعمالاً لمذهب "الإسـلاموفوبيا" وهو معاداة الإسلام والمسلمين، ناهيك عن الفضيحة الأنجلو أمريكيـة والتى تحولت إلى حلف استعمارى لسرقة ثروات الشعوب العربية. وهو استعمار يضع الماكياج على وجهه ويبتكـر موضـات جديـدة للقتـل والسرقة الحضارية وما حدث فى العراق فى عام ٢٠٠٣م بعـد طـرد الطاغية صدام شيطان العرب [1] ليس منا ببعيد.

وأخيراً هذه شركة صـهيونية بإيطاليـا تنـتج ورق التواليـت وتصدره للعالم يحمل اسم الجلالة ، واسم رسول الله ﷺ، محاولة قـذرة ممجوجة تستهدف تدنيس الأسماء المقدسة فى دورة المياه – وقد كشف أبناء الجالية الإسلامية تلك اللعبة الحقيرة ناهيك عن تحوير رموز برج الجدى والعذراء لتصبح الله ومحمد .

اسألوا التاريخ وقلبوا جنباته هل حدثت فيه ضربات موجعـة أو قاضية مثلما حدث لمسلمى البوسنة فـى يوغوسـلافيا وكوسـوفا فـى التسعينات من تضافر الغرب مع الصرب ضد قلة مستضعفة، فكـالوهم من ألوان العذاب حتى أعطوا الكلاب حـق هتـك عـرض البنـات ، وشردوهم وهم ألوف فى ديارهم بدعوى التطهير العرقى وما تلا ذلـك من اغتصاب للفتيات فى معسكرات الاعتقال، بهـدف اقـتلاع جـذور الإسلام من آخر معاقله فى ديار الحضارة الغربية[2].

نعم هم يد على من سواهم، ومن سواهم غير جماعة المسلمين، سيما بعد فناء الماركسية وتشييع الاشتراكية إلى مثواها الأخيـر، فقـد أصبح الإسلام لهم عدواً وحزناً .

---

(١) د. مصطفى محمود، الأهرام ، ٢٦/٤/٢٠٠٣م.
(٢) د. أحمد كمال أبو المجد (حتى لا يتحول الإسلام إلى مشكلة أمنية)، العربى أبريل ١٩٩٢م

٣- وأين النظافة الداخلية ؟

فالفتى الغربى لامع الشعر والنعل، مظهره متألق ومتأنق ولكــن هل يعرف الاستنجاء أو الطهارة من الخبث أو الاغتسال من الجنابة.

هم جميعاً أمة واحدة، لا يعرفون الطهارة من الحدث الأكبــر أو الأصغر، مع ما فى الطهارة من فوائد جمــة طبيــة، والإفــلات مــن الميكروبات والفيروسات ، فهم يكتفون بأوراق التواليــت فــى دورات المياه.

ومهما تطهر المحدث المتغوط بأوراق التواليت، فإنه لن ينجــو من بقايا وأدران، تظل عالقة فى مواضع النجاسة، ولا يزيلها إلا المــاء الطهور وتلك سنة غائبة، لذلك يحسد المسلمون على نعمة الوضوء وإن كانوا عنها غافلين، وكم كانت معاناتنا فى دورات المياه حين كنــا فــى دراسة فى أوروبا بسبب غياب المياه من دورات المياه.

٤- الإيناس مع الكلاب:

غداة التفكك الأسرى والانفصال الجسمانى الذى يقطع أوصــال المجتمع الغربى صارت الحفاوة بالغة بالقطط والكلاب، ونالت حقوقــاً أكثر من حقوق الإنسان. ناهيك عن أضرار تلــك الحيوانــات وهــى بالقناطير المقنطرة، وأقلها انتقال عدوى الفيروسات التى تحملها والتــى تفتك بالإنسان أو تضره ضرراً متفاقماً... ولكن تلــك هــى أوضــاع الحضارة الغربية والتى نحن على آثارها مقتدون.

٥- **المروءة فى المغارب :**

وأنت راكب فى إحدى المواصلات العامة تــرى جهــرة لصــاً فاجراً يهاجم امرأة ويفتح حقيبتها ويسلب نقودها على أعين الناس، فهل يتطوع لنجدتها أحد من الركاب ؟ لا يحدث ذلك إلا نادراً ، فالشــهامة تمر بمرحلة الغروب وكم يتحسر الإنسان حينئذ على ما يرى ؟.

وأحياناً صديق وصديقه يتناولان العشاء سوياً أو يجلســان فــى إحدى المقاهى وعند الانصراف يدفع كلاً منهما ثمن طعامه وشــرابه، وقد تسرب هذا العرف عندنا سيما من عاش فــى الولايــات المتحــدة الأمريكية نعم فللضيف كرامة، ولكن لهم عذرهم فلم يمر عليهم حــاتم الطائى يوماً.

٦- **وما قدروا المرأة حق قدرها :**

النظرة الدونية للمرأة

فالمرأة عند فلاسفة الحضارة الغربية هى أصل الخطيئة، فهــى التى أخرجت أدم من الجنة، وهى اليوم تمارس أعمالاً تحط من قــدرها وتمتهن أنوثتها ، فهى عاملة فى البارات والحانات والظلمــات، وبعــد زواجها ينادى عليها باسم زوجها وتصبح عائلتهــا نســياً منســياً، وإن شاءت لها الأقدار أن ترمل أو تطلق يصبح لها اسم جديد من زوجهــا الجديد، وهكذا يصبح اسمها فى الحضارة الغربية دولة بــين عــائلات الأزواج.

ومن مظاهر الجور أنها تحرم من ميراث زوجها حــين تفــتح الوصية فيذهب الميراث إلى غانية زانية كانت على علاقة غير شريفة بالفقيد، وهو ما حدا بفريق من عقلاء الغرب أن يطالب بتطبيق شريعة العزيز الحكيم.

ومن الأوضاع المؤلمة وبترخيص من الدولة تجارة تجرى على نطاق واسع فى أوروبا هى تجارة النساء، وغالبية أصحاب الملاهى هم أنفسهم المديرون لهذه التجارة، حيث يجـذبون الفتيـات مـن بلادهـم الأفريقية والآسيوية الفقيرة بعقود عمل لسنتين غالباً، بينما لا يسـتطعن فى الواقع الحصول على إذن عمل إلا لمدة أشهر بسيطة، ولكن الجـزء الأكبر من أرباحهم يأتى عن طريق بيعهن إلى دول أخرى بصفة (فرق فنية) وبينما تنتظر النساء نقلهن، يبقين محبوسـات ومجبـرات علـى ممارسة الدعارة ، ويعشن بشكل مهين وبرواتب زهيدة من مؤسسـات الجنس التى تتفنن فى عرضهن فى الفترينات، وحبسهن فى أقفاص ومن تأبى تلفق لها جريمة سرقة أو تزوير أو تهرب خالية الوفاض.

ولقد وجدت جثث بعضهن هناك تحت الجسور المظلمـة، وقـد حاولت المؤسسات الرسمية محاربة هذه التجارة الوقحة ولكن يبدو أنها عاجزة أمام المافيا الرهيبة التى توسعت لتشمل التجارة المعاكسة عبـر ترحيل الأوروبيات إلى الدول الآسيوية من خلال ما يسـمى بالسـياحة الجنسية، وقد وصلت الوقاحة إلى الإغراء بعمل سحوبات ترويجية يفوز فيها الرجل بامرأة إضافية[1].

٧ - اقتلاع الحواجز بين الحلال والحرام :

نعم تعرف فى وجوههم نضرة النعيم، وبلادهم كلهـا خيـرات حسان، ولديهم باقة من السلوكيات المبهرة نحـن مطـالبون باقتـدائها واقتفاء أثرها، ولكن الواقع يشهد كثيراً من مظاهر التفسخ الأخلاقـى ،

---

(١) عبد الهادى صالح، الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٣/٣١م، مستقاة من كتاب تجارة النساء فى أوروبا، كريس ذى سنتوب، مترجم.

وليس بضارهم شيئاً أن تكون بعض المنكرات على قارعـــة الطريــق، وتدهور أخلاق النساء بل الصبيان، فالعازل الواقى من الحمـــل يــوزع على أولاد المدارس منذ الحادية عشر، لاستخدامه فى اللقــاء الجنســى المرتقب، ورجال الدين لا يملكون إلا الامتعاض أمــام هــذا الإجــراء والاجتراء والافتراء على الناموس الأخلاقى ، وبالجملة فقــد زلزلــت الحواجز بين الحلال والحرام، وصارت للمنكرات نواد ورواد، وبالجملة نقضوا غزلهم وأصبحت المعجزات تجتمع مع الموبقات، وظهر الخلــل بادياً جلياً بين التقدم والسلوك، وذلك من النذر الأولى لخراب الحضارة الغربية ومن ذلك :

١ – البغاء مهنة حرة:

الساحة الأوروبية بطولها وعرضها يموج فيها دعاة يروجــون لتجارة الجنس، بل وصل الأمر إلى حد الأطفال واغتصابهم ثم الفتــك بهم، وقتلهم كما يحدث فى بلجيكا مثلاً ، وتصـــاعدت نســبة الانتحــار الفردى والجماعى كمنهج أمجد فى ملتهم.

وأخيراً شهادة علمية هى الأول من نوعها تمنح للإثارة الجنسية وأفاق عالم العرى ، بدون ملابس أو ملابس مثيرة ترسم البسمة علــى الوجوه. ابتداء من الرقص المثير الخليع حتى فنون التسوق الجنســى ، تتوج شهادة البكالوريوس فى فنون الإثارة الجنسية، وقد يصل الأمر إلى حد إجراء عمليات تكبير أو تصغير أحجام حساسة فى أجسامهن [١].

فتيات على قارعة الطريق أو فى بيوت معدة تلوح لك بالفتنــة وتغريك بارتكاب الزنا، فتيات كبغايا اليهود لا ترد يد لامس لها.

---

(١) جريدة النبأ المصرية فى ٢٠٠٣/٣/٢٣م.

والمجتمع الأمريكى لم يعد يعبس فى وجوه العاهرات، والأطفال المشوهين يجوبون الشوارع ذهاباً وجيئة وغالبيتهم قد أصابهم من سفاح الحرية الجنسية الغربية شيئاً[1].

نعم الفاحشة يأتينها بترخيص من الدولة حتى أصبح البغاء مهنة حرة تمول الخزانة الغامة، بيوت مفروشة ومحلات مخصوصة، ونساء من كل جنس حسناوات وجميلات علــى قارعـــة الطريــق، أو هــن عارضات لأنفسهن وحسنهن أمام بيوتهن فى العواصم الغربية المتمدينة، ليصبح البغاء هناك تجارة لن تبور، وأصحابها فى عداد الممولين.

ففى الولايات المتحدة وحدها يعيش على أرضها ٩ ملايين مــن أبناء الزناه، ويجأر الاقتصاد البريطانى أو يئن – ودول الغرب قاطبة – من الإعانات المالية الباهظة التى يمول بها العاهرات بسبب كفالة الدول لأبناء الزانيات طالما لم يعرف الفاعل، سيما وأن ولد السفاح يولد بعــد معاشرة العاهرة لعدد كبير من الفساق والأصدقاء الذين مــردوا علــى الزنا، ومن الطريف فى هذا الصدد ما نشرته مجلة القبس الكويتية مــن أن مومسا دينامركية أرادت أن تقلل من كلفة عميلة جراحيــة أجرتهــا لتزيد من حجم صدرها لمزيد من الإغراء والإغواء فأضــافتها علــى حساب تكاليف المهنة لتخصم من الضرائب التى تفرض عليها (ضريبة المهن الحرة)، ولكن مصلحة الضرائب رفضت هذا الخصــم فتظلمــت أمام لجنة الطعن فحكم لصالحها تأسيساً على أن الرغبة فى الحصــول على صدر أكبر أكثر إغوائاً يمكــن أن يعتبــر نشــاط مهنــى ، وأن الاستثمارات المخصصة لتحسين آليات العمل لابــد وأن تعفــى مــن الخصم[2].

---

(١) مصطفى محمود الأهرام ١٩٩٣/٩/١١م
(٢) مجلة القبس ٢٠٠١/١/١٦م.

نعم البغاء فى كل عصر ومصر، وطلاب المتعـة لهـم دروب مخصوصة ولكن إسراراً لا جهاراً وفى جنح الليل وليس فـى وضـح النهار.

أين تعاليم عيسى بن مريم رسول الله سيما بعد تقلص السـلطة الأبوية، وتفشى اتخاذ الأخدان وذيوع الانفصال الجسمانى ، وكثر تهديد السالكين فى ضرب الفضيلة، وتحريضهم على الرذيلة إن أردن تحصناً، وأذكر أننى حين كنت مبعوثاً فى أوروبا كان يحز فى نفسى كثيـراً أن أرى سيدات يقعدن بكل مرصد وقد تجاوزن خريـف العمـر تواجـه الصقيع لاستقبال طلاب المتعة الرخيصة، يقولون هلم إلينا فنحن ضحايا الحضارة الغربية فى شقها المأزوم.

إن المرأة فى مجتمعات المسلمين لها ألـف عاصـم وعاصـم، يصون عفافها حتى وإن لم يكن لها ولياً مرشداً، فالمسلمون هم حـراس القيم بعضهم أولياء بعض، ولقد كان من حسنات التشريع فى مصر أن ألغى مواخير الدعارة فى وقت مبكر ، والتى كانت قد صدرت إليها فى أيام نحسات من احتلال الإنجليز.

٢- الزواج التجريبى وحمل المراهقات:

ماذا آل إليه حال الروسيات بعد ٧٠ عاماً من الإلحاد الماركسى ، وضع الأطفال فى صناديق القمامة لا خشية العار، ولكن ما ورثته من قيم الإلحاد.

إحصائيات دقيقة، مدهشة ومذهلة فى أمريكا وحدها، أكثر مـن مليون فتاة دون التاسعة عشر تحمل كل عام سفاحاً من أترابهم ولداتهم

ليصبحوا على أعتاب مشاكل قميئة لا تنفك عنهن، فالحرية الجنسية مفتحة أبوابها تحت شعارات مزخرفة، حتى الكنيسة الغربية فى إنجلترا ترددت ثم أباحت الزواج التجريبى أمام الشباب، حيث يقترن الفتى بفتاته ليعاشرها معاشرة الأزواج بلا عقد زواج، حتى إذا نجحت التجربة تلتها عقدة النكاح بعد سنين عدداً ، وكم تقاسى المراهقات من ذلك بل قد تدفع عمرها ثمناً لتلك العلاقة المشينة.

هل تعلم أن ثلث الأطفال المولودين فى إنجلترا وويلز فى عام ١٩٩٥م غير شرعيين؟، ولدوا خارج عش الزوجية، هل يناسب هذا بلد هى تصدر الثقافة، ولغتها اليوم لها الصدارة على لغات العالمين؟(١).

إن عدد الفتيات المراهقات الحوامل بين الأمريكيات غير المتزوجات ظاهرة تستشرى فى المجتمع، فى معظم شرائحه، بعد أن كانت حكراً على غير المتعلمات (٢).

٣- اتخاذ الأخدان :

حيث يجتمع رجل وامرأة تحت سقف واحد، يعاشرها معاشرة جنسية بلا زواج، بلا ميثاق غليظ يحل الفروج ويعطى الحقوق ويفرض الواجبات، وفى ظل هذه العلاقة الآثمة، قد ينتج أولاد ينسبون إلى الأم وحدها، فصاحبها ليس زوجاً لها بل مجرد خليل التقى بخليله، وهكذا وتذهب حقوقها فى مهب الريح. ولقد باركت محكمة النقض الفرنسية هذه العلاقة الآثمة وأضفت عليها سياجاً من الشرعية.

---

(١) المسلمون العدد ٥٩٥، ٢٨ يونيو ١٩٩٦م
(٢) مصطفى محمود الأهرام ١٩٩٣/٩/١١م.

ووأسفاه فإن هذا السلوك الهابط يأتيه بعض أبنائنا فى الخـــارج تقليداً للغرب، واستغلالاً للأوضاع الباطلة، وكم تجر عليهم من أوجـــاع تقض مضجعهم وقد تحطم مستقبلهم بعد ذلك، يبـــارك المجتمـــع أولاد السفاح ويحرمهم من نعمة الأب والوالد والوراثة، فيخرجون إلى الحياة فى أخس الأوضاع الأسرية ومن ثم يضمرون العداوة للمجتمع.

٤- حق الإجهاض للبغى :

الانطلاق المحموم وراء الشهوات البهيمية، فأخذ كل من الرجل والمرأة يعب منها عبا؛ فامتلأت المحاض، بمئـــات مـــن الأولاد غيـــر الشرعيين، وانتشرت عمليات الإجهاض السرى والعلنى ، وبدأ عقلاؤهم يتساءلون إلى أين نحن ذاهبون؟.

المجتمع الغربى أباح الزنا ثم فشل فى التعامل مع ثمرته أو قل قطوفه الدانية أولاد السفاح، ومن ثم كانت رذيلة الإجهاض [1].

لقد كان مما أنعم به الرئيس الأمريكى بيل كلينتون على شـــعبه غداة فوزه فى انتخابات الرئاسة أن سن قانوناً لإباحة الإجهـــاض لمـــن تشاء، وكان ذلك بناءً على موعدة وعدها إياهم أثناء حملته الانتخابية ، وكان صادق الوعد ، إلا أن عقلاء الغرب قد عضوا عليه الأنامل مـــن الغيظ كما امتعضت دولة الفاتيكان ولكن عبثاً.

كان الإجهاض فى أوروبا منذ عهد ليس ببعيد إجراء طبى يجرم فاعله لأنه اعتداء على حياة آدمى ولكن السنين الأخيـــرة مـــن القـــرن العشرين شهدت موجات متتالية تدعو للتمرد على كل ما هو موجـــود، ولو كان هو الميراث الأخلاقى ، وتمخضت الفلسفات الهادرة عن فـــتح

---

(١) عبد الله الشبانه ، مرجع سابق ص ١٦٤ وما بعدها.

أسواق جديدة لبيع أجنة مجهضة، لاستخدامها فى أمور كيماوية وطبية، فكان الإجهاض الذى سول لهم وأملي لهم!!.

الإجهاض هو أيسر سبيل للخلاص من أسوأ سبيل ، ويشجع الحرام وطلاب الفواحش وهو معبر للتحلل والإباحية، ويأتى بالأمراض الوبائية العصرية كالإيدز، فالإجهاض اللأخلاقى يدمر المراهقات ناهيك عن الساقطات، ومن أوخم أثاره التى بدأت تطفو على السطح وتنذر بالحظر، أن حدث الخلل فى الهرم السكانى ؛ إذ فاقت حالات الإجهاض حالات المواليد.

٥- فى الحفلات تبادل الزوجات:

فى الحفلات والمناسبات يتم تبادل الأصدقاء للزوجات وينتحى كل صديق بزوجة صديقه ليشربا النخب سوياً أو تجالسه كيفما شاء يتبادلا القبلات، ذلك من أعراف الأجانب ليعبر كل صديق عن مشاعر الود لزوجة صديقه.

لقد كان مما ذكره **ابن بطوطة** الرحالة الإسلامى المشهور أن الإنسان الغربى سائر فى الطريق مع امرأته فيقابله صديق لها فيأخذ بالحديث معها، فإذا طال الوقت تركها الزوج مع صديقها ومشى . ويعلق الرحالة المشهور قائلاً متحسراً: أين ذهبت أخلاق القوم، وإلى مدى ضعفت الغيرة أو ذبلت؟.

وآخر صيحات التردى الخلقى فى بلد كإيطاليا هو الإعلان رسمياً عن تشكيل نقابة لتبادل الزوجات، والمسجلين فيها اليوم بالآلاف المؤلفة(١). وفى نهاية الحفلات والمناسبات يتأبط الرجل زوجة صحبه

(١) مجلة المجتمع الكويتى ، الوجه الآخر للحضارة الغربية ١٩٩٦/١/٢٥م

ليلتقطا صورة تذكارية سوياً تعبر عن حسن المودة والإخاء، وفى حفلات الزفاف يمسك والد الزوج بيد والدة الزوجة والعكس بالعكس، كما يراقص الجميع بعضهم بعضا، فيتأبط الرجل امرأة من المحارم أو غير المحارم ولا تثريب عليهم من دين أو مذهب، وبين الفنية والفنية يتم تبادل القبلات، وإلا عد من الخوالف. نعم فى شريعة الأجانب كما فى شريعتنا لا يجمع بين الأختين، ولكنهم يختانون أنفسهم، فللزوج بدلاً من أن يراقص زوجته يراقص أختها ولساعات طوال حتى الصباح ، ولا ندرى ماذا يفعل بها أو تفعل به حين تشتد الدفوف وتتلاصق الأبدان وتنتصر مكائد الشيطان.

ومن المعروف عرفاً هناك، أن يقبل الرجل زوجة صديقة وللأخير نفس الحق كما فى الزيارات العائلية.

٦- تضعضع الحياء :

يضاجع الزوج زوجته على أريكة فى أوضاع مخلة لا مانع أن يشهدها المقربون الطوافون عليهم ، وليذهب الحياء أدراج الرياح . ولتهنأ الحضارة الغربية بدفن القيم وليشهد الولد ما يفعل الوالد بأمه دون خجل، ناهيك عن مظاهر الحب المتبادل التى تتم على قارعة الطريق جهرة أو فى المواصلات العامة أو فى المطاعم .

٧- تعدد الخليلات :

زوجة ثانية لا مرحباً بها، ولكن تزوج بواحدة وصاحب من شئت منهن، تلك مكرمة الحضارة الغربية أسدتها إلى أهلها ، فعندهم زانية أولى من زوجة ثانية، وهكذا يختانون أنفسهم، ويرفضون تعدد الزوجات ومرحباً بتعدد الخليلات.

ولا يخفى على فطنة القارئ أن تعدد الخليلات يدفع الزوجة إلى الانتقام من زوجها والذى فقد عفته، كما تراود المرأة نفسها أن تفقد عفافها بدورها، عملاً بمبدأ تكافؤ السيئات.

وإن تعجب فعجب قولهم أن الإسلام يجور على الزوجة الأولى إن تعددت الزوجات ، وتناسوا أن الزوجة هى التى تدفع زوجها فى أحيان كثيرة إلى الزواج بأخرى كما لو كانت مريضة أو عقيمة، وكم فى نظام تعدد الزوجات من فضائل ومكارم، أقلها وقاية للمجتمع من شرور تعدد الخليلات وأثام الساقطات، ثم هو يبيح لأهل اليسار أن يتزوجوا بما طاب لهم من النساء فى الحدود المشروعة دون سلوك ضروب الفسق، كما أنه نظام فيه وفاء للزوجة الأولى التى قد تصاب بمرض يثبط الحياة الزوجية، ويحول دون أولاد الحرام ويحمى المرأة من التدهور الأخلاقى .

ومن المفارقات الغريبة لو أن مسلماً ذهب إلى أمريكا مثلاً ومعه زوجتيه، فلن يؤذن له بالدخول، لأنه يخالف النظام العام هناك، ولكن المسلم يستطيع الاحتيال بأن تكون إحداهن زوجته والأخرى يزعم أنها خليلته، حينئذ تفتح له الأبواب.

٨- يأتون فى ناديهم المنكر :

نعم يأتون الرجال شهوة ويقطعون السبيل، قد نجد هذا فى دول كبيرة، ولكنه ذاع وشاع فى الغرب حتى أصبح عرفاً مألوفاً، حتى أن بعض المنظمات الغربية غير الحكومية خيبت الآمال حين أدلت بدلولها فى مؤتمر بكين المشهور بنظريتها المشئومة التى ترفض فيه تقسيم

البشر إلى ذكر وأنثى ، ومن ثم فمرحباً بالسحاق واللواط مواقعة الأنثى بالأنثى والذكر يأتى الذكر.

نعم الشواذ منبثون فى مكان ولكنهم فى كهوف ومغارات يأتون فيها المنكر وليس بقانون من البرلمان وحقاً قول ربنا ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٦].

ولكن هل يعقل أن تستضيف بلاد الشموخ الحضارى والتقدم العلمى أكابر مجرمى الجنسية المثلية، وهل يعقل أن يستقر فى وجدان الكنيسة الإنجليزية إنه ليس ما يمنع أن يكون الشخص مسيحياً وشاذاً جنسياً فى الوقت ذاته، بل ألغت الحظر على كهنتها وروادها [(١)].

لقد اندثر قوم لوط مع القرى التى أتفكت بأهلها ودخلوا مع الداخلين فى مزبلة التاريخ ، فهل يعود الشواذ إلى تاريخ البشرية، ويكونو بمفازة من العقاب بقانون يصدر من نواب الأمة فى البرلمان الغربى .

إن جريمة أتيان الذكور فعل شنيع وخسيس لا يجرى حتى فى عالم الحيوان، فلا ينزو الذكر على ذكر مثله، فإذا هو شائع فى ديار التقدم العلمى ليصبح جسم الإنسان مرتعاً للجراثيم الفتاكة الغازية وليأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، أى عار على رجال الدين فى صوامعهم حين تبارك الكنيسة فى إنجلترا إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وكذلك الصبيان ، وينعقد البرلمان بمجلسيه اللوردات العمومية ولا يجدون فى صدورهم حرجاً مما قضت به الكنيسة هناك فى التآمر على قوانين السماء، فإن بقايا الوحى عندهم ما جاء فى سفر اللاويين إذا

(١) مجلة الإرشاد اليمنية رمضان ١٤٠٧هـ ص٤٠.

اجتمع رجل مع ذكر جماع امرأة فقد فعل كلاهما رجساً، إنهما يقتلان.
لقد كان من مآثر المحكمة الدستورية الألمانية إباء زواج الشواذ، وقد بدأت بتوجيه القضية بتوجيه شابين إلى محكمة الأحوال الشخصية للتصديق على زواجهما من بعض، فأبت دعواهما لما فيها من فسوق ، والطريف أن المجرمين قد طعنوا على الحكم أمام المحكمة العليا فأبت بدورها إلا أن تعرف المعروف وتنكر المنكر.

لقد استصدروا قانوناً فى الولايات المتحدة الأمريكية يرحب بالشواذ حين ينخرطون فى الجيش بدعوى أنهم كما يسمون أنفسهم المرحون ، وكان إصداره صدمة لكبار المسئولين وأولى النهى الذين ذهبت تحذيراتهم أدراج الرياح، بسبب تخوفهم من التأثير على معنويات الجنود، فضلاً عن التأثير فى درجة الانضباط وانتشار الإيدز بين الصفوف، وهو ما قد يدفع بالكثيرين إلى الخروج من الجيش. وفى إيطاليا أنشئت رابطة الشذوذ الكبرى ، وقد أصبحت التكنولوجيا تخدمهم الآن عن طريق الهرمونات التى تجعل من صورهم وأشكالهم أشكال النساء.

ورغم الأمطار والصقيع فى برلين فى ألمانيا يحتفل الشواذ سنوياً بشذوذهم فيجولون في الشوارع الرئيسية مئات الآلاف منهم رجالاً كثيراً ونساءً وقد بهروا أعين الناس، بعضهم بالملابس الداخلية فقط ويسيرون لمسافة تزيد على خمس كيلو مترات للتعبير عن أنفسهم وابتهاجاً بمسلكهم ومنهم من يتبوأ أعلى المناصب ولا غضاضة. لا يتناهون عن منكر فعلوه، وأصبح لا أدب يفيد ولا أديب [1].

---

(١) السياسة الكويتية فى ٢٠٠١/٦/٢٥م.

٩- نوادى العراة تلطخ جبين الديموقراطية الغربية

هل الديموقراطية تعنى التحرر من كـل قيـد؟ نعـم واصـل الليبراليون سعيهم الحثيث للتحرر من كل قيد، فكشـفوا عـن أنيـابهم واجتمعوا فى ناديهم يموج بعضهم فى بعض رجالاً ونساءً، وقد بدت لهم سوءاتهم، فى سلوكهم قمة السعادة وعنواناً للرقى ، وأما الحيـاء فقـد شيعوه إلى مثواه الأخير، وقد صار لهذه الأنديـة بطاقـات للعضـوية والعضوية الفخرية يجتمعون بها بترخيص من الحكومة.

نعم قد تكون الغرائز كامنة ولكن الإثارة متأججة نارها، ومـن الطريف أننا حين كنا فى بعثة فى أوروبا وجاءت بنا سيارة ذات يـوم إلى سور لنادى العراة فاندفع أحد منا يحمل آلة تصـوير يـود التقـاط صوراً لهم ، فأجابه الحارس أن يخلع ملابسه ابتداء ليسمح له بالدخول، وحينئذ يتجول كزميل زائر، ولا نعرف استثناء فى هذا اللهـم إلا مـا نشرته الصحف من أنه فى منطقة موسكو عند نهر يقـال لـه نهـر الموسكونا حيث يكون مكنة راكبى سفن التريض أن يشاهدوا العراة من الجنسين دون ساتر فما قولكم دام فضلكم أيها المتيمون بالليبرالية عندنا.

نأسف كثيراً لأن علماء البيئة الغربية يقولون أن الخجل والحياء صفتان من صفات العالم الثالث ، ويرد عليهم بأنه ليس "من الهمجيـة" فى الدول الراقية أن يشيع بينهم العرى ولو كان فى ناد محاط بسياج.

فما هو رأى المولعين بالتقاليد دون تفريق بين الغث والثمـين ، ولو كان الباطل الزهوق. نعم إن أمتنا هى سيدة الأمم فى مجال الرشـد الأخلاقى مهما ران عليها من تخلف مادى أو تكنولوجى إلى حين .

١٠- حقوق الإنسان : من الاحتلال إلى الاستحلال

مما يحمد لألمانيا أنها تكاد أن تكون الدولة الغربية التى لم تحتل بلداً عربياً. والآن حين يقتل العشرات من العرب أو العجم فلا تثريب عليهم اليوم، أما حين تحدث الجناية على غربى أو يهودى فهنا يكون الافتئات على حقوق الإنسان، أن تدفن أوروبا نفاياتها فى أراضى العالم الثالث فهذه من حقوق الإنسان، فحقوق الإنسان تستخدم بمعايير مزدوجة، تجعل الحقوق هى حقوق الغربى وحده، أليست هذه قسمة ضيزى . أى قسمة جائرة.

فأبناء الحضارة الغربية يهتمون بتأمين مصالحهم على حساب المستضعفين من الشعوب الذين تنهب ثرواتهم فيرتد أصحابها إلى حظيرة الفقراء فلا يجدون ما ينفقون ، ومن ثم فقد أصبح استنزاف الدول النامية بطرق شتى هى من حقوق الإنسان الغربى .

هل أفقر الإسلام بلداً فتحها ، لقد جعل أزلة أهلها أعزة، والنداءات التى توجه للمستضعفين فى الأرض تعدهم وتمنيهم، ولكن هيهات لما يوعدون، فالإنسان فى بلاد الديموقراطية الغربية هو إنسانهم وحدهم.

إن العالم الذى صدر فيه الإعلان العالمى لحقوق الإنسان اغتيلت فيه حقوق شعب بأسره شعب فلسطين العربى المسلم.

الفرع الثالث
أسباب مما عملت أيدينا

أولاً : دعاة التغريب وأدعياء التنوير

- نخبة تحمل لواء التبعية فى العالم العربى :

عن الإسلام هم لا يطيقون سمعاً، وهم متفقون فيما بينهم على توزيع الأدوار لهدم الثوابت فى الدول الإسلامية، كل منهم لآياتنا عنيداً، وليس عندهم رهبة من لقاء ربهم ، بل هم فى مرية من لقائه، يريدون تحويل كلام الله إلى وجهة نظر، ولا يهمهم أن يبدل دينهم، أو إذا نوقش الجهبذ منهم كان صدره ضيقاً حرجاً مع كونه يدعى إلى الإسلام.

هنيئاً للغرب بأزيالهم وسماسرتهم فى الشرق الذين أغنوهم التآمر المباشر، ثلة من أصحاب القلم أمنهم ديننا من خوف فترعرعوا فى ربوعه، فإذا هم يتبعون غير سبيل المؤمنين، لا يفرقون بين منهج السماء وأفكار البشر، بين الدين والفكر الإنسانى ، فيهجمون على الدين باسم حرية الفكر، ويحدوهم حب الظهور فى كثير من الأمور ، ينتصرون لكل سلوك وافد كفصل الدين عن الحياة ، صنفت عقولهم فى مصانع الغرب ومن ورائهم سماعون لهم يسمون أنفسهم بأن المبدعون بأنهم همهم تقليد الأجانب دون تمييز بين الإيجابيات والسلبيات، فهو شرف لا يدانيه شرف، ودعواهم الإبداع، ليس فى محراب التقدم العلمى وإنما السخرية من أوضاعنا وقيمنا، وإذا انكشفت عوراتهم أعلنوا التوبة والعودة، وهم جميعاً كما يقول المولى عز وجل[1] : **﴿إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾** [غافر: ٥٦]، ولتعرفنهم فى لحن القول فماذا قدموا

(١) مصطفى صبرى ، قولى فى المرأة ص ٧٥.

لأممنا، كل ما قدموه أن يظل الغرب هو القبلة، فتتأبد للشــرق تبعيتــه للغرب، وهم منبثون فى أروقة الحكم وأزقة السياسة وردهات الإدارات الحكومية، يحسبون كل صيحة عليهم، ويشغلون مواقع مهمة فى صناعة القرار، وهم على نوعين، نوع غم عليه أمره فانحاز سفهاً بغير علــم، ولكن يمكن أن يثوب إلى دينه إن صادف ناصحاً أميناً، ونوع آخر أشبه بالبلاء فى بلاد العرب لا ينفعهم إن أردت أن تنصـــح لهــم، تعــرفهم بسيماهم، فهم مفتونون بالثقافة الأجنبية التى اترفوا فيها وأقصتهم عــن ثقافة أوطانهم، يحدوهم خلع أستار الحياء وتناول أوضاع النساء وعمائم العلماء، والتهكم بطريقتهم المثلى ، يحبون الكر على موضوعات حسمها ديننا منذ أربعة عشر قرن من الزمان، كزى المرأة المسلمة ويبغونهــا عوجا، وهم فى شغل فاكهون بموضوع حقوق المرأة من التحرير إلـــى التحريض.

إن المجتمع العربى أوقع نفسه فى شراك نصبها لـــه الآخـــرون بوعى ، ونصبها لنفسه بغير وعى ، ووقع بسبب ذلك أسيراً لتناقضات، التناقض بين الدين والعلم، التناقض بين العروبة والإسلام، التناقض بين الحاضر والماضى ، التناقض بين الأصالة والمعاصــرة، بــل وصــل التناقض إلى أن الأمة أصبحت مولعة بالبحث عما يفرقها أكثــر ممــا يجمعها.

الحاملون لثقافة حائرة أو منفصلة :

أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها ثقافة غير مطابقة لواقع المجتمع العربى ، فمنطقها، وتعبيرها وذوقها مختلف عما تعــود عليــه أبنــاء المجتمع العربى .

وبالجملة فلقد أنتج الغزو الثقافى كُتّاباً رصيدهم متضخم من الفراغ العقائدى ، والتمرد على الفطرة ، وصار بعضهم لبعض ظهيراً، ولم نرصد لهم أى إبداع حقيقى جنته الأمة، ولازلنا فى قوائم المخلفين فى أعين الأمم الراقية على رغم براعتنا فى كل الفنون العصرية، إنما السلوك الغربى عندهم محمود مهما علاه السوس، كُتّاب لهم كتب أكثر مما لهم قراء.

- مؤتمر للمثقفين العرب يدعو للتخلى عن الثقافة الإسلامية والتحلى بالثقافة الغربية :

نعم طلاب التغريب فى شغل فاكهون – جاهزون تحت ستار ما يسمى "بتجديد الخطاب الديني" – على إعلان الحرب على دين الله ومنهجه وحضارته وتاريخه، فكان من أبرز النقاط التى توصل إليها يومئذ حضرات المثقفين العرب فى ناديهم:

- إلغاء النص على أن الإسلام دين الدولة.
- تفكيك المؤسسات الدينية وتبديلها بمؤسسات أهلية لها حق الفتوى فى الحلال والحرام.
- زحزحة تفاسير الجهابذة ونوابغ الإسلام.
- إلغاء التعليم الدينى لتحرير الوعى الإسلامى من الحلال والحرام لتحل علينا بركات حضارة الإباحة.
- وصم كنوزنا الفقهية بأنها من فقه القرون الوسطى .
- التنصل من كل ما قاله صحابة رسول الله ﷺ.
- نفى الأحاديث والسنة والفقه.

- وقف العمل بالمعاجم اللغوية القديمة، وتقديم لغة جديدة للانطلاق بها نحو النص القرآنى .
- وباختصار فهم يصموننا باللاهوت الإسلامى ، تلك دعواهم.

وبالجملة الإعجاز عندهم ما لا يعرفه النبى ﷺ ، والإنجاز عندهم هو النيل من تراثنا وتشويه قيمنا أو انتقاد تاريخنا، أمنوا بدعوى أنهم رسل للحرية المعاصرة التى تستبيح فى الأديان، وعلى سبيل المثال فقد أبان العقاد – رحمه الله – حقيقة المذاهب البراقة التى انخدع بها نفر من المصريين وغير المصريين، وتشيعوا لها فى زمان كان التشييع لواحد من هذه المذاهب دليلاً على الرقى والتحضر، وبلغ الانبهار بها حداً كان فيه "أبناء الذوات" هم دعاة الشيوعية مثلاً ، وقال العقاد فى إيجاز أن الاشتراكية العلمية المزعومة ليست من العلم فى شئ وأفاض فى ذلك حتى أتى بنيانهم من القواعد[1].

إن اعتقدو هؤلاء أن باعة الحضارة فى الغرب نيتهم إثراء واقعنا فهم واهمون.

والعجيب أن أدعياء التنوير الداعين لاقتباس سلوك الغرب جملة وتفصيلاً لا يرتحلون إلى قيم الغرب المعوجة فيأبى كبيرهم أو صغيرهم أن تقبل امرأته رجل آخر ولا يرضى أن يحرم من ميراث أبيه إن كان ذا مال على غرار ما هو فى الغرب حين تفتح الوصية، فإذا بالتركة تذهب إلى كلب من الكلاب أو عشيقة كان المورث على علاقة معها.

---

(١) مستشار د. محمد عبد البديع الأهرام ١٩٩٧/٦/٢٧م

ومن المعلوم أن الإسلام لا يضيق ذرعاً بمخالفيه بل يفتح الباب على مصراعيه للرأى الآخر بل يحض عليه فتلك حقاً حرية الفكر، ولكن لا لحرية الكفر.

فإذا شئنا القول فإن التنوير مبدأ إسلامى عريض وليس هو بمدلول غربى على ما يتوهم الواهمون فاستغلوا كلمة التنوير للتهجم على الإسلام حتى صار تنويرهم مؤلماً لما يؤدى إليه من الانسلاخ على القيم، وظهور جيل الشتات الفكرى بدعوى ملء الفراغ ببدائل أجنبية.

كل منهم يدعى إلى الإسلام ومعهم نفر قليل من أهل الكتاب يظاهرونهم، وطيلة سفرهم الطويل لم يقدموا لأمتنا أى تنوير جاد اللهم إلا محاولة اختراق نسيج القيم، غافلين عن أسباب النهضة الحقه، وكم فشلت مشروعات التنوير التى أغرونا بها، فمنهج التغريب لم يورثنا إلا إرباكنا فكان نصيبهم هو العداء اللاشعورى لأبناء الأمة بسبب التعتيم على ثقافتنا الراقية والتى اتبعها الغرب بإحسان يوم كان فى مرحلة النقل وحضارتهم فى مرحلة التلقيح.

إن الاندفاع نحو الغرب دون تفرقة بين التقدم العلمى والمساوئ، وهو أمر يصيبنا بالمعرة، وهم يبحثون ولو تحت الثرى عن مزالق لنا، ويوادون من حاد الله ورسوله، وما أشبه اليوم بالبارحة فأمثالهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا هم المرجفون فى المدينة، ينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر **﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** [التوبة:٧٤]، وكما يقول أمير الشعرء أحمد شوقى :

يا معشر الكتاب أين بلاءكم　　　أين البيان وصائب الأفكار

ثانياً : تجار الثقافة الهابطة [1]

ومن الأمور التى غيرت مجال الثقافة فى البيئة الإسلامية وحطت من أقدارنا أن موجات متباينة من الهزات الاجتماعية قد دخلت أجواء بلادنا وأوقعت الثقافة بين أيدى ثلة من المتاجرين بها وهم لا يمتون إلى الثقافة بصلة، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه أمام الرتابة والفجاجة والسطحية الشديدة، وغلقت الأبواب فى وجه الإنتاج الرفيع والمتميز.

ولقد قام المتاجرون بالثقافة بالترويج لفيض من الأعمال الأدبية والفنية بالغة الهبوط، هدفها السيئ أن تقتل وقت الجيل وأملها المنشود أن تسدل الستار على العقول، لا تحرك خيالاً ولا تثير فكراً أو حساً، فهى لا تثير سوى ما تحمله من الغبار، تهتم بنشر قضايا العار، وباختصار شديد فهى نتاج تعس بقدمه محرمون من الثقافة ويستخدمون فى عرضه وتقديمه – مع الأسف البالغ – أرفع أدوات الثقافة وأكثرها فاعلية وتأثيراً وتشويقاً.

ثالثاً – مرضى الشعور بالدونية:

فى الحقبة الأخيرة طغت علينا ثقافة مضمونها أننا لا نصلح لشئ، وإذا شئنا التقدم فالغرب مولانا وعنده مفاتيح العطاء، وتسرب إلينا شعور القابلية للاختراق ، ولذلك يقول مالك بن نبى أن أهل الثقافة التعيسة يغشى أهلها دائماً الإحساس بالدونية.

---

(1) د. أحمد كمال أبو المجد، خمسة معوقات تهدد باغتيال المستقبل العربى ، مقال بمجلة العربى يناير ١٩٨٣م.

فالشعور بالدونية هو عرض لمرض نفسى ينتاب الأمـم، هـو الهزيمة النفسية، ويفتك بالأفراد فيصيب الشخصية بالهزال والمجتمـع بالاضمحلال فيجرهم إلى ساحة التقليد بدافع الإعجاب والانبهار للغير، شاءوا أو لم يشاءوا بسبب ضعف الاعتداد بالذات أمام المؤثرات الوافدة، وإن بدأ ذلك على غير قصد من المقلدين، لأن المؤثرات الوافدة تتميـز بالقوة والإشعاع وقوة الدفع والقدرة على التأثير، ويصبح المقلد فريسـة لذلك، وينحصر دوره فى الاستقبال كطـرف بعيـد متـأثر، وقنـوات الاتصال النفسية تربط بين قطبى المحاكاة وتقرب البعيـد لهمـا لأنهـا ترتكز على الرضا والاستحسان، لأن الشعور بالدونية يفقـد المهـزوم ضرورة التفرقة بين ما هو إيجابى بنّاء وما هو سلبى هـدّام فيـنغمس فى التقـليد.

ثغرة الاختراق :

نعم هناك قوى جذب مركزية تنبع من صميم المجتمع العربـى وواقعه، ملوحة للعرب أن هناك تعطشاً ثقافياً وفراغاً قيمياً ورغبة ملحة فى أى جديد ولو غير مفيد، وبغض النظر عن تلاؤمه مع القيم السائدة فى المجتمع، ومن هنا كانت ثغرة الاختراق للشرق الإسلامى ، فعمـل الغرب على تشجيع الاقتلاع الثقافى بفرض الثقافة واللغات الغربية مـن ناحية، وبتشجيع التفكير السلفى الغيبى من ناحية أخرى ، وقد نشأ عـن هذه السياسة ثنائية هائلة ضمن البلد الواحد بين فكر ليبرالـى أوروبـى وفكر سلفى يغرق فى متاهات الماضى [1].

(١) محمد صالح العجيلى ، مقاله سالف الذكر.

وقد استحوذ تقليد الغرب على شرائح كبيرة وقطاعات عريضة من جماهير أمتنا، فضعفوا واستكانوا أمام الإعصار الغربى ، وأحياناً من غير قصد منهم فتجاهلوا أعرافنا الطيبة ، فإذا قصت بنت على نحو معين قصت بناتها مثلها على هذا النحو لا جمالاً، وإنما على سبيل التقليد والإعجاب صماً وعمياناً، تجد المرأة العربية حين تزمع السفر إلى الخارج تتخلى عما كانت تتحلى به من الزى الإسلامى فتخلع رداءها وهى فى الطائرة لتكون نموذجاً للتحضر – فتسفر عن وجهها وتكشف ساقيها وتخدع نفسها بمواكبة العصر.

وهكذا انطلق أهل الشرق مفتونين معجبين بكل ما حملته السفن من أوروبا ومنها الثقافة التى بها محاصيل الرؤوس وعبَّ أهل الشرق منها عباً، بحكم أنها الحضارة الجديدة التى ولابد أن تكون خير حضارة فدخل إلى أجوافهم ما كان منها طلعه هضيم كما أن منها ما كان ذا غصه فاخترق الذات الإسلامية واحترقت معه الأحاسيس، لأنه نتاج ثقافة مشوهة فى السلوك خلت من محاسن الأديان وطيب الأعراف، وهنا يقول العلامة الدكتور أحمد زكى الذى كان رئيساً لتحرير مجلة العربى بعضاً من الكلم الطيب عن الأخلاق والقيم والعادات وأثرها فى حياة الناس وسلوكياتهم ومدى إقبالهم على تقليد الغرب أو الإعراض عنه.

والظاهر أن هذه سمة الإنسان فى كل الدهور والأزمان، وكأن به الطوفان من الغرب قوياً فضعفت جسور أهل الشرق عن حبسه ووقفه فراح يحطمها. وقوم كرام من أهل الشرق قاموا ليوقفوا هذا الطوفان عن علم، وآخرين قاموا لوقفه عن جهل، وألغى أهل الجهل

جهود أهل العلم فظل الطوفان يمتد ويغمر ولا يبالى [1]. وقد غمر الطوفان أهل الشرق فيما غمر قيماً شرقية هى فى الحياة غالية وأخلاقاً وسلوكيات نعمنا بها دهراً طويلاً، ركنا إليها واعتمدنا عليها فكانت لنا زاداً ومعيناً نبعها فياض نلنا منها راحة البال وصفاء النفس ونبل الفكرة وطيب المآل. ولكن الشعور بالدونية داء وبيل ألمَّ بنا.

لقد كانت مؤامرة محبوكة لتخريج أجيال مسلمة وعربية ولكنها ذليلة، ترى أن العلوم التى نتعلمها وافدة من الغرب، بينما هى فى الأساس من عمل الأجداد المسلمين الأولين الذين وضعوا أسس المنهج التجريبى العلمى ثم أهدوه إلى الغرب الذى لا يعترف بالجميل.

وهكذا كانت هزيمتنا فى إحساسنا مصدرها نكران الأمة لذاتها، وضعف ثقتها فى تاريخها وغفلتها عن ذاتها ومجدها، فراح – حتى – المثقفون منا يلتمسون سلوكياتهم من غيرنا دون تمييز بين صالح وطالح.

وحتى المناهج التربوية أصيبت بدورها بالشعور بالدونية بما تحويه من التسليم للعالم الغربى بالقيادة منذ فجر التاريخ، وهو ما يكون عند أجيالنا لا شعورياً رغبة ولو دفينة فى الانتماء إلى هذا العالم المتقدم، غافلين عن أن الفضل كل الفضل فى تقدم هذا العالم يعود للحضارة الإسلامية فى انتشال أوروبا من عصور الظلمات التى سادتها فى العصور الوسطى وأخرجتها إلى نور المعرفة واليقين [2].

---

(١) د. أحمد زكى ، الأخلاق والقيم والعادات فى حياة الناس ، مجلة العربى ، نوفمبر ١٩٧٢م.

(٢) د. أحمد شلبى ، مناهج التاريخ والحضارة الإسلامية بها خلط وأخطاء، مقال للأهرام فى ١٩٩٣/٣/٢٠م

فنحن نقلد الغرب اليوم فـــى تقــديم الزهــور الطبيعيـــة عبـــر المناسبات، نقلد فى الشكل دون المضمون، لأن عشق الزهور عندنا لـــم يتغلغل فى دمائنا ذلك المغزى الجميل لتبادل الورود والمعانى الرقيقـــة البالغة العذوبة، وإدخال البهجة فلا يزال الأمر تقليداً دون نظرة إلى شئ من جمال الطبيعة وتبادل البهجة.

وقد يرى البعض أن الاتجاه نحو الغرب ليس حالة مرضية وهو رأى صائب إذا كان الاتجاه المذكور صوب التكنولوجيا والعلوم الحديثة، أما أن يصحب الاتجاه نحو الغرب الذوبان فى غيرنا وفقــدان هويتنــا، فذلك هو المرض الذى يحولنا إلى أمه معقدة.

إن الحضارة الإسلامية سادت الدنيا وعمرت ألف ســنة بينمــا حضارة الغرب لم تتجاوز خمسة قرون، فالمسلمون كانوا سادة الدنيا ولم يكونوا مجموعة من الدراويش كما يحلو للبعض أن يتهم، أحسنوا فهــم دينهم وعرضوه عرضاً جيداً فكانت لهم الصدارة والحضارة ففتحت لهم الأبواب وأقاموا دولة غطــت مشــارق الأرض ومغاربهــا وأزالــت إمبراطوريات القياصرة والأكاسرة، ولا تزال أسوار الدولة البيزنطيــة فى حوزة الدول الإسلامية شاهدة عليهم.

رابعاً : التقليد كمرض طفولى :

فلقد حذر الفلاسفة المسلمون من مغبة الوقــوع فــى المــرض الطفولى المتمثل فى محاكاة الغرب بحسبان العواقب الوخيمــة، لأنــه يستحيل محاكاة حضارة فى مظاهرها الخارجيــة دون الوقــوع تحــت سطوة الروح التى أنتجتها هذه الحضارة ، وروحها يتمثل فى التركيــز

على الذات والتعمد إلى فرض رؤيتها للتاريخ وللعالم علـــى الآخـــرين، ومن ثم فإن استيعاب هذه الروح يغرس فى شـــبابنا المســـلم شـــعوراً بالدونية يؤدى بهم إلى رفض ثقافتنا الإسلامية والهرولة وراء المحاكاة والتقليد والتبعية وضياع الهوية.

خامساً : فقراؤنا فى الثقافة الإسلامية واختلال المنظومة الفكرية:

فى إنجلترا يمنح أمين المكتبة لقب اللورد تشريفاً وتعظيماً، ومن هنا كانت الشهرة الفائقة للمتحف البريطانى فى لندن أو المكتبة الأهليـــة فى باريس، أما عندنا فأمين المكتبة موظف ضعيف أو عامل أرشيف أو خازن للكتب حتى أن أعداءنا صاروا يقولون إن القراءة هـــى العـــدو الأكبر للعرب .

نعم بيوتنا غاصة بالأجهزة الكهربائية فى هذا العصر، وأمة اقرأ لا تكاد تقرأ، أبناؤنا يموجون فى بحر من الهشاشة الفكرية لم يـــدركوا بعد حقيقة الانتماء للدين، وسلوكه الوضاء ونشأوا فى فتـــرة عصـــيبة تميزت بظهور أزمات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهو مـــا ولد لديهم إحباطاً كبيراً فكانت ضحالة الفكر والأفق المحـــدود، ورغـــم توفر الشهادات العلمية العليا ، وهو ما يؤدى إلى زعزعة الثقة والقـــيم فلا يبق أمام الشباب سوى التشبث الواهى والإقبال على القشـــور دون اللباب .

لقد تراجع الكتاب وتقلص دور الولى المرشـــد ففـــتح الطريـــق للفضائيات لتصبح أداة التوجيه للشباب، فصار لديهم الاهتمـــام الزائـــد بتفاصيل حياة نجوم الفن ومشاهير الرياضيين، فتوارى المد الثقافى فى

بناء الشعوب. وشبوا منذ نعومة أظافرهم لا يعرفون عن الإسلام مجده فهم يجهلون تراث أجدادهم وأمجادهم والقــرون الأولــى ، وامتلكــتهم أراجيف صدقوها وأكاذيب توهموها، حتى صاروا غرباء فى أوطــانهم ينأون عن دينهم [1].

إن الثقافة البناءة هى زاد الشعوب المعطاءة ، ولــذلك يقــال أن البيت الفقير هو البيت الخاوى من الثقافة ولو كان قصراً مشيداً، وممــا نقل إلينا من الحكمة أن من يحرق الكتب يحرق الشعوب، واليوم هنــاك مرض ينتشر كالفيروس هو تسطيح كل عميق وتهمــيش كــل لامــع وتسخيف كل جاد فى ثقافتنا وذلك كله يجرى فى القرية والكونية وسط صراع حضارى غير متكافئ[2].

نعم حدث اختراق للمجتمع الإسلامى على أيدى خفيــة أجنبيــة، ولكن أعان على ذلك أن بيوتنا عورة وخاوية من الثقافة الدينية البناءة، وطغت على أسماعهم برامج التسالى والحكاوى ، ولو كانت الشــعوب تتقدم عن طريق هذه البرامج لسبقنا العالم ولصرنا من أربــى الأمــم ، ولكنها برامج لا تبدى ولا تعيد فهى أشبه بثقافة الفيشار. ولهــذا تــدنت ثقافة الأسرة إلى أن صارت ثقافة سطحية، الهــرج يغشــاها والمــرح والرقص والتهريج.

ودور الأب عندنا أخذ فى الضآلة والضحالة مع أنه قــد أُهِّــلَ ليكون ولياً مرشداً، إذ خلت بيوتنا من كتاب نفــيس أو جلــيس صــالح يعمره.

(١) حسن الشرقاوى ، المسلمون علماء وحكماء ص ٢٦٦ وما بعدها.
(٢) المسلمون العدد ٥٩١

إن ما يدفع بناتنا إلى التبرج هو الفقر المدقع فى الثقافة الدينية ، فيضيق صدرها بسلوك دينها، أما الشباب فغالباً ما يكونوا ألفوا آبـــائهم فارغين فسرعان ما تسارع إليهم تقاليد المنصرين ينبهرون بها، وهكذا يلتقى الفقر فى الثقافة الإسلامية مع الترف الممقوت، فتضـــعف لـــديهم حاسة الحفاظ على القيم، وتنتابهم بلادة الحس.

فهذه أسرة مولعة تحتفل بحفاوة بالغة برأس الســـنة الميلاديـــة ، وذلك شباب يأتى وفى حضرة والديه بسلوكيات وافدة تتجافى وديننـــا، وآخر يلطخ جدران بيته بصور الفنانين ونجوم الغناء والكرة العـــالميين فهم المثل الأعلى ، وتلك فتاة تتحدث فى الهاتف مع من؟! وتجد الأبوين شاردين ، وشباب غريب الملبس والحركات ، ملابس غريبة وسراويل ضيقة، وملامح الغربة شأنهم ودأبهم، من يجلى الذهب مما علق به من القدر؟.

هل خليق بأبناء أمتنا فى أن يكونوا مع الخوالف، من الشـــعوب العارية عن الحضارة وأن يكون زادهم العتامة الثقافية فى أمور ديـــنهم ونتحول إلى أمه تقاد إلى الاسترقاق العصرى .

كم عندنا من فقراء الثقافة لهم دوى شـــديد فـــى دور الإعـــلام ينظرون إلى الله بتهكم شديد، يريدون نقلنا إلى أوروبا أو نقل أوروبـــا إلينا، ومن هؤلاء المقلدين نحذر وإذا كان غيرنا قد تمرد على ما لديـــه من وحى فهو وشأنه، ومن نسى الأصول غابت عنه الفروع[1].

---

(١) الغزالى ، الحق المر، المسلمون العدد ٤٠٠

صدأ الحاسة الإسلامية :

يحز فى النفس كثيراً أن نرى الكثير وقد أصـيب بـوهن فـى الشعور الدينى كمن يجاهر بالإفطار فى رمضان بلا عذر شرعى ، ولقد كان من نتائج الخواء الثقافى أن شرائح كثيرة من المثقفين وأصـحاب المناصب قد وقعوا فى التية وأصابهم الوهن فى الدين فصاروا ضـعافاً فى العقيدة، وبالجملة صاروا فى شغل فاكهون دائماً بأخبار غير ديـنهم وإخوانهم فى بقاع العالم، ينخدع بهم زمرة الفقراء مثلهم فـى الثقافـة الإسلامية يحسبونهم على شئ.

ومن فئات ضعاف الحاسة الإسلامية المكذبون أولى النعمة والأثريـاء الجدد، نعم المترفون الناعمون هم الذين أنزلـوا ربـوة الإسـلام مـن عليائها، لقد وصلنا إلى العز ومازالت أقدامنا فى الوحل. فكانت لـدينا ثروة من غلمان أشأم لأن الترف قد أصبح عاهة لدينا. وصار التمـرد على قيمنا مألوفاً ومعروفاً من المكذبين أولى النعمة، نعم الغنـى أمـر محمود وممدوح وديننا يحض عليه حضاً ، ولكن حين يتحول إلى ترف يضحى من عوامل الهدم، نتيجة التقمص والتقليد فى السـيئات، وهـو مسلك كثير من أبناء النخبة الاجتماعية التى آفـاء الله عليهـا بـالثراء والنعمة.

إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا ربوة الإسلام من عليائها، وقد أسقطت الخلافة الإسلام من قبل قصور الترف، إن فنون اللـذة لا تزدهر إلا مع الضياع الدينى ، والمشاهد أن جماهير غفيرة من الأغنياء أبطرهم الترف وضعفت عند شبابهم روح الرجولة حتى ألهاهم التكـاثر فى التمرد على القيم والتنكر لأعرافنا الطيبة بـل ومحاولـة هـدمها،

فأهمتهم تسريحة الشعر، أو الولع بثياب الأجانب، وبالجملة زلزلة الحواجز بين الحلال والحرام والمكروه، فغاية الغايات عندهم هو المرح وإسعاد النفس وركوب موكب اللذات من خلال مفهوم ترسمة فلسفة الإباحية التى ورثتها الحضارة الغربية من اليونانية وأضافت إليها، وفى النهاية يصير الأمر كما لو كان عصر المثقف العربى قد ولى مدبراً، وجاءنا عصر جديد هو عصر التسطيح الذى تحركه الغرائز وعوامل التدليل ومساوئ الرفاه والسلوكيات الوافدة.

ولا يقتصر خطر المترفين، الذين اجتمع لديهم الترف مع فقر الثقافة الإسلامية فى الإقبال على البدع الغربية بل هم يقولون لإخوانهم هلم إلينا، بحكم أنهم ظاهرين فى الأرض وموضع إكبار وإعجاب، ومن ثم تنقلب والشرائح الاجتماعية الأخرى تبعاً لهم **﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾** [الأحزاب:٦٧]. والغريب أن كثيراً من هؤلاء المترفين كان عائلاً فأغناه الله من فضله.

إن الترف الممقوت يزلزل الكيان الإيمانى فهو كسوس ينخر فى عظام الفضيلة، وصدق الله العظيم: **﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾** [الفرقان:١٨]، فظهرت طبقات تبحث عن الوجاهة الاجتماعية بالانخلاع من الأعراف والقيم الإسلامية والتمسك بأهداب الغرب، سيما وأنهم أكثر استعداداً لتقبل الأفكار الوافدة.

ولا تزال تطلع على أحوالهم التى تتجافى عن المألوف والمعروف، فهذا شاب يتأبط فتاة مسلمة على قارعة الطريق، وهذا فوج مقتحم من الشباب – لا مرحباً بهم – بصحبة جمع من المراهقات، ولا رابطة بينهم سوى المرح فى الأرض بغير الحق بدعوى الصداقة

البريئة يتلوها بعد ذلك مرذول الخلق، وكم يسخرون من الشرفاء الذين لا يملكون إلا جهدهم، مع أن كثيراً منهم ظهروا على السطح فى غفلـــة من رقابة الحكم، منتهزين طفرات السوق وانقلاب الأوضاع وســـهولة التهرب من الضرائب.

ومما يزيد الطين بله أن الدهماء تقاد ولا تقود وعواطفها مشاعة لمن يستدرجها ومن ثم يسارعون بدورهم فى التقليد.

لقد أثرى البترول جيوبنا حتى التخمة فسارعنا إلى بدع التقــدم الاستهلاكى حتى صرنا أساتذة فى هذا الدرب والضرب، ولم يصـــحب ذلك تقدم نظير فى المعارف، فضرب الخواء الثقـــافى علينـــا خيامـــه وأطنابه، وزاد منه تهافت المترفين على استلهام سموم البث الفضـــائى فى عصر السماوات المفتوحة للعيش أطول فترة فى أحضان السلوكيات الماجنة التى تساند القيم السائدة.

معاذ الله أن ينطبق علينا قول ربنا ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّــرُوا بِــهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَــةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام:٤٤].

إن الفاتحين لبلادنا والذين طاب لهم المقام فى أرضنا لم يرضوا ليوم واحد التزين بأزيائنا أو التسمى بأسمائنا أو انتهاج طرازنـــا فـــى الحياة رغم بقاء الكثيرين منهم طوال حياته بيننا، أما المتفرنجون منا فما ادخروا جهداً فى تقليد الأجانب فى كل صغير وكبير، حتى فى عـــادتهم فى القيام والقعود والتحية والترحاب.

بادع التغريب فى العالم العربى والإسلامى :

كم من الموتى يحكمون ويتحكمون فى الأحياء هذا ما حدث فى تركيا، بلاد كلها فيها خيرات حسان وجنات معروشات، وهـى كثيـرة الخيرات وشعوبها تحب الإسلام ديناً، ولكنها مقهورة ابتداءً من عصـر أتاتورك حيث أحال حلوها مراً ، وأدخلها فى عالم الاغتراب بـدعوى الحضارة.

لقد تولى الحكم غدراً على أحكام الإسلام، فأعلن رسمياً إلغـاء الخلافة الإسلامية وبعثرت الدول الإسلامية إلى أقاليم شـتى ، تنفيـذاً لمخطط تفكيك العرب وتشتيت القوى هدفه فى النهاية أن يتسنى لليهود الاستيلاء على فلسطين المسلمة، وتبوأ الدعوة إلى فصل الـدين عـن الدولة أسوة بالغرب، كمؤامرة خبيثة لإخراج تركيا من رابطـة العـالم الإسلامى ليربطها بالمجتمع الغربى ، استهزأ بالتقاليد الإسلامية وجلب أعرافاً غريبة وعمد إلى التحريض جهاراً وإسراراً على كل مـا هـو إسلامى ، ففى عام ١٩٢٥م ألغى التزين بالأزياء العربيـة الإسـلامية ونص فى القانون الصادر فى هذا الشأن على تعميم الـزى الغربـى ، ووجوب لبس القبعات على الرؤوس وصدرت قرارات تفصيلية تعرف الأزياء المعروفة فى الغرب وتحض المرأة على السفور ولتكشف عـن ساقيها ويتدلى شعرها على كتفيها على غرار المرأة الأوروبية!!.

وبلغ الحقد والاضطهاد أقصى درجاته حيث حظروا على الشعب التركى أن يحى بعضه بعضاً بتحية الإسلام، أما التحية الجديدة إمـا أن تكون بهز الرأس أو الاكتفاء برفع القبعة.

كما ألغى التدريس الدينى من المساجد تماماً، ذلك التدريس الذى كان واسع الانتشار فى تركيا وأصبحت مناهج التربية توجه التـرك – بزعمه – أن الثقافة الإسلامية فى مقدمة أسباب التأخير والجمود.

فضلاً عن إقصاء التقويم الهجرى الإسلامى واستعاضـوا عنـه بالتقويم الغربى المسيحى فى ١٩٢٥/١/٢٦م.

وجُعلت العطلة الأسبوعية يوم الأحد، ومنع عرض أى صـور تقليدية عن الكعبة المشرفة والمدينة المنورة كما منع بيعهـا وطبعهـا وترويجها وتداولها.

وكانت الطامة الكبرى كتابة التركية بالحروف اللاتينية. فبعد أن كانت تكتب باللغة العربية فكان من اليسير على التركى أن يقرأ القرآن لأن الحروف العربية والتركية واحدة، أما الآن فهى تكتـب باللاتينيـة ومن ثم انفصلت التركية عن اللغة العربية وقطع معبر الثقافة الإسلامية.

وبالجملة أصبحت تركيا لا صلة للدين بأمور الدولـة وأصـبح الشعب التركى مقطوعاً عن تاريخه، وثقافته وفكره، موثـوق الحبـال ومشدوداً بعجلة المجتمع الغربى الصليبى من كل الوجـوه، ليلـة رأس السنة الغربية أصبح يحتفى بها في المدن الكبرى وكأنها عيد للمسلمين ، بالجملة فقد غشى المسلمين هناك ما غشيهم.

ورغم كل ألوان التغريب على مدى أكثر من سبعين عاماً فـإن الجمر الإسلامى لا يزال مشتعلاً فى تركيا، ويرى المراقبون المتفائلون أن كل ما يغطيه من الخارج هو مجرد رماد يتطاير مـع أول انفجـار لبالونة العلمانية المزهوة.

سادساً : المعونات طريق التغريب : ·

نعم كم من محنة جاءت فى منحة

يحذرنا عقلاء الأمة من الأخطار المحدقة الناتجة عن إغرائنا بالمعونات الأجنبية، فهى لا تقدم ابتغاء وجه ربك، ولكن لأوليات تهدف إلى التغريب أو الاختراق ، فالمنعم المتفضل منهم لابد أن يكون له مطالب أو غايات ستظل الهدف الأول له لتحقيق أحلامه، أقلها أنه يربط اقتصاد الدول التى مدت يديها إليه بعجلة اقتصاده، وبالتالى الترويج لنمط من الاستهلاك مختلف عن السائد فى الواقع الاجتماعى .

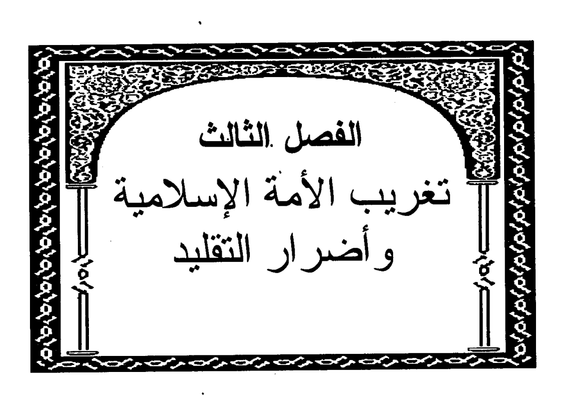
وباختصار يهيئ المناخ لإيجاد نموذج اجتماعى وحضارى مغاير يؤدى فى النهاية إلى تغيب قيم الرضا والقناعة والإيثار، ناهيك عن تهميش المقومات الأساسية للمجتمع المسلم بالذات، كالدين والأسرة بل واعتبارها من معوقات التنمية. وهكذا نجحت - مثلاً - الولايات المتحدة الأمريكية فى غزو عالمنا دون جيوش حتى تمكنت من وراثة نفوذ الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية فى أرجاء المعمورة [1] وذاع وشاع بين شبابنا استهلاك الخبز والهامبورجر وهو ما يكاد يشيع فى الأمة كلها.

فما هو طوق النجاة من طوفان التقمص؟.

والآن إذا كنا قد وقفنا على بعض مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب والأسباب التى دفعت لذلك، فما هى الأضرار التى نجمت عن ذلك التقليد، ذلك ما نضعه على بساط البحث فى الفصل التالى فإليه نصير.

---

(١) فهمى هويدى ، دفاع عن اليد العليا ، الأهرام ٢١/١/١٩٩٧م.



الفصل الثالث

تغريب الأمة الإسلامية وأضرار التقليد

الفصل الثالث
تغريب الأمة الإسلامية
وأضرار التقليد

تمهيد :

انتشر الإسلام فى نصف خريطة العالم الإسلامى بالسلوكيات فهل يغتال اليوم بها، باستدراج أمتنا لتغيير نمط سلوكها وفق النموذج الغربى، وهنا يكون التقليد جريمة نكراء فى حق أمتنا سيما وأنه لا ينصب على محاسن الغرب، وحينئذ نكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فهل نتحول إلى ذيل يجر فى حين إننا أمة نعتها القرآن الكريم بالخيرية على العالمين ما التزمت أخلاق سيد المرسلين.

إن التشبه بالأجانب وتقليدهم فى غير محمود سلوكهم يصيبنا فى مقتل، حتى أن البعض يقول أننا على أعتاب قرن يسمى قرن تغريب الأمة، وهو أخطر مظاهر الهزيمة لكونها إلغاء للشخصية حين ننخرط فى طوابير الإمعات، وهيهات هيهات.

لقد خلف التقليد أمراضاً وأعراضاً كان شرها مستطيراً على الواقع الإسلامى، فهى تؤذن بخراب الهوية الإسلامية، وتخلق أجيالاً مأزومة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيتحول العرب إلى جزيرة للغرب، ولتحيا الأمة الإسلامية بعد ذلك فى بحر من (الاستسهال) الدينى أو القطيعة مع الدين الناجم عن مسلسل التغريب، وما يفضى إليه كل أولئك.

وموكب التقليد يتبختر اليوم فى كـل دولـة إسـلامية، ولـه جمهور واتباع وسماسرة، وأخشى ما نخشاه أن يستفحل التقليد فيصـبح كالسوس الذى ينخر فى العظام، أو يصل السكين إلى العظم كما حـدث فى تركيا أو فى قطع متجاورات من بلاد الشمال الأفريقى . وفيما يلـى تفصيل المجمل، فنستعرض بعض الأخطار والأضرار التى تنجم عـن التقليد:

الفرع الأول : تحريف الواقع الإسلامى وفق النموذج الغربى .

الفرع الثانى : النيل من الخصوصية الحضارية.

الفرع الثالث : الخطر على الذاتية الإسلامية.

الفرع الرابع : جـزاء التقليـد المـرذول .

الفرع الأول

تحريف الواقع الإسلامي وفق النموذج الغربي

(الهزيمة السلوكية)

إن مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب إذا تفشت في بلد أو مجتمع عربي فإنها تلحق بنا ضرراً بالغاً، إذ تقدم صورة مائعة عن المجتمع الإسلامي بسبب انسلاخة عن أعرافه ودخوله في أعراف ملل أخرى وهاكم بعض مظاهر الهزيمة:

أولاً : المناخ الأوروبي في البيت العربي [1] :

أهلاً يا أونكل، وأهلاً يا تنت ..

فحين تطأ قدماك البيت تستقبلك سيدة البيت أولاً بابتسامة لطيفة تحييك بما لم يحيك به الله، وقد تطبع قبلة على الوجه، وقد تؤثرك بكلمات عن الود من ثقافتها الأجنبية، تحدثك وتؤنسك، والحائط خلفها مشغول بلوحات بها مناظر أوروبية أو خليعة أحياناً أو لوحات تاريخية منقطعة الصلة بنا، ولا أثر لأثر إسلامي بالصالون الذي يستقبل الضيوف وهو نمط مستورد، والأولاد ينادون أمهاتهم وآبائهم وأقربائهم بمصطلحات أوروبية إنجليزية وأحياناً فرنسية، وإذا دعيت لتناول الطعام فلتجلس على المائدة وتستخدم الأشواك والملاعق والسكاكين بقدر معلوم وإلا أدرجت في قوائم المخلفين.

والأتيكيت عندهم فن وحضارة في استقبال الضيوف وآداب الزيارة وتقديم الزهور حتى في طريقة تقديم الشاي للضيف، وكيفية

---

(١) اللواء الإسلامي في ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ/ ١٠/٩/١٩٩٢م.

القيام والقعود واستقبال النساء والرجال والصبيان، فكل صغير وكبير في التقليد عندهم محمود، ولا ضير من ذلك طالما التزمنا بأعرافنا الطيبة التى تواكب ديننا، أما أن تتحول سلوكياتنا فى بلدنا إلى محاكاة وخروج على قواعد الشرع فذلك إيذاء لواقع المسلمين، ولا تزال تطلع على كثير من التقاليد الغربية عندهم، فعندهم تخليط الرجال بالنساء يموج بعضهم فى بعض سيما فى الحفلات، مع ما يصحب ذلك من تبرج وزينة من أناس يدعون إلى الإسلام، والتحدث بكلمات أجنبية، وتقديم السيدات على الرجال فى أمور غير مستحبة.

لا يعرف أحدهم شيئاً عن التاريخ الهجرى فهو نوع من الرجعية وتلك بداية التبعية، وهكذا ينشغل أبناؤنا وأهلونا بتقدم مزعوم لا يسمن ولا يغنى ولا يجدى فى مهام اللحاق بركب الحضارة.

وهذه الفتاة أسمها سالى وتلك نانسى أو إنجى ورولا، والجميع مدعون هذه الليلة إلى حفلة تنكرية تظل ذكراها على مدى العام، والفتيات تهدى صديقها فى يوم عيده دمية صغيرة أو كبيرة قد تكون دباً أو غيره، وهناك الاستعداد لاحتفال بالكريسماس سواء كانت الترتيبات للحفل داخل البيت أو خارجه وهلم جرا، والفتاة قد تستقبل صديقها فى حجرتها والفتى كذلك يستقبل صديقته على الأقل فى بيته، وهذا هو العسل المصفى من السلوك الغربى المبهر.

وتلك "لارا" ستذهب هذا المساء مع ابن تنت وجماعة من أصحابه ليشاهدوا فيلماً حصد كل جوائز الأوسكار ويتحدث عن الخيانة الزوجية أو (الخيابة) الزوجية، أما شقيقها فسيذهب إلى مطار العاصمة ليستقبل صديقة له قادمة من إنجلترا كان يراسلها عبر الإنترنت، وسيقوم الاثنين بتمضية وقت ممتع فى أرجاء المعمورة فى بلاد الاقتصاد الفقير.

أما نانسى فقد ذهبت للكوافير لتستبدل تسريحة الأسد بتسـريحة الولد، أما دادى فهو فى شغل شاغل اليوم للبحـث عـن إكسسـوارات مناسبة لكلبه الأنيق لعله يفوز فى الغد فـى مسـابقة أجمـل الكـلاب، وسيذهب به هذا المساء إلى الطبيب المعالج نظراً لظهور ملامح إكتئاب نفسى عليه !!.

أما بودى فعنده مكتبة فيها كتب قيمة ليس فيها شئ من تفسـير القرآن الكريم أو فقه السنة وإنما قطوف مما لذ وطاب عن الغرب وأهله سيما الكاسيتات.

أما تانت لوسى فستدعوهم قريباً عندها فى سهرة عائلية للاحتفال بعيد الربيع فى حفل ديكولتيه، وسيفعل الديسكو بهم ما يفعل فـى تلـك الليلة المرتقبة شباباً ونساءً ورجالاً، وهنيئاً لشبابنا المبروك بما عـوده أبوه.

وهذه الكلبة "لايكا" تغدو وتروح وكأنها صاحبة السيادة والسلطان فى المنزل وهى فى نعيم مقيم، وهى تلازمهم فى السيارة إذا تجولوا بها ولو أغاظت الفقراء والمساكين.

وهؤلاء وهؤلاء مدعوون من أسرة صديقة حميمة للذهاب إلـى إحدى الشواطئ للاستجمام والاستحمام فى عطلـة الويـك إنـد وأخـذ حمامات شمس جماعية بملابس البحر، وإقامة حفل راقص على البلاج.

وربما يعقب ذلك حفل زفاف للكلاب كما أفادت آخـر الأخبـار الواردة من اليابان[1].

(١) الأهرام فى ٢٠٠٤/٧/٢م.

أما الجد أو الجدة الذين أسسوا البيت فلا تستبعد أن يكون أحدهما أو كلاهما قد زجوا به فى دار المسنين، وبالجملة يشيع فى البيت العربى مناخ أوروبى يظن الواهمون أنه أقصر طريق للتقدم، مع أنـــه كتقليـــد الطاووس علاوة على فقدان الهوية، وياليتَ البيت العربى يقلد الأوروبى فى محاسنه كأن تكون المكتبة جزءاً من أثاث المنزل وفيها كتب قيمة أو نقلد فى محراب الاقتصاد كعدم التكلف فى المظهر أو استهلاك الطعـــام بموازين صحية.

وكذلك فى الفنادق :

هى قطعة من أوربا تماماً، ويخيل إليك أنك فـــى بلـــد غربـــى، والفنادق عندنا تملأ العواصم، وإذا رأيت ثم رأيت فهى تعـــج بمظـــاهر التغريب تعلوها وتكسوها حتى فى الاستقبال الذى يخاطبك فى الاتصال التليفونى ابتداء بلغة أجنبية، أمـــا اللســـانُ العربـــى فشـــأنه الامتهـــان والدونية!!.

صالات أعدت للمراقص وموسيقى وحفلات صاخبة تماما على النمط الغربى وكان النمط العربى أحق بها وأهلهـــا، والعـــاملات فـــى الفنادق غاديات رائحات كاسيات عاريات متبرجات بزينـــة، لا يمـــت مظهرهن إلى ديانتهن، والطامة الكبرى فى دورات المياه فقد صـــممت تماما على النحو الغربى الذى لا يعرف الطهارة من النجاســـة[1] فـــإذا أردت أن تتطهر فليكنْ بالورق وإلى هذا الحد يصل النفاق الاجتمـــاعى فتبلى محاسننا.

---

(١) د. محمد المسير، الفنادق السياحية، اللواء الإسلامى العدد ٤٤.

ثانيا : تبدل القيم أو أمركتها واحتلال منظومة القيم :

أعاصير ثقافية ضارية بلا أصول عقائدية من أصلاب الوثنية والإغريقية نتلقفها، شرائح المهزومين والمأزومين عندنا يولد عندنا تناقضا بين أحكام الدين وواقع المسلمين، حتى نصبح غرباء في أوطاننا، يشيع صورة أقرب إلى أن الانحلال الغربى الذى يوهن العزائم ويبلد القلوب فتأتى الضربة فلا تجد فى الجسم مناعة تقاوم، فإذا بنا ذات يوم وقد خسرنا الدين والدنيا معا وخسرنا أمتنا[١].

تتعطل منظومة الأخلاق التى عرفناها من خلال ما أوتى النبيون من ربهم، ورسولنا الكريم ﷺ فصل لنا مكارم الأخلاق التى ترفرف على مجتمعات المسلمين، وقد ورد عن السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ أن مكارم الأخلاق عشرة قد تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه، وقد تكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أحب ورأسهن الحياء[٢].

أما الحياء الذى يتصف به كريم الطبع فهو شعور النفس بانقباض فطرى من السيئة والمعصية . ومن كان على هذه الصفة نجده لا ينأى عن القبائح فحسب، بل لا يصر على رؤيتها فى غيره . كما تتولد عنده الحاسة الخلقية والغيرة الإيمانية، وذلك هو أقصر طريق للحفاظ على صحة الأمم النفسية والخلقية والاجتماعية .

أما فى شريعة الأجانب فلا غضاضة أن يأتى الإنسان فعلا يجرح الحياء ويخزيه، ومن ثم فلا عجب أن ترى رجلا يقبل زوجته

---

(١) مصطفى محمود، مقال بالأهرام ١٩٩٢/٥/٢

(٢) وهى : صدق الحديث، مداراة الناس، وصلة الرحم، حفظ الأمانة، التذمم للجار، إعطاء السائل، المكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، الوفاء بالعهد، ورأسهن الحياء.

أمام الآخرين ولفترة طويلة وهذه حسناء تتعلق بفتى فى مركبات النقل العام أو الطرقات والمنتديات، وفتى يداعب فتاة فى أماكن حساسة من جسمها على أعين الناس، والقبلات المتبادلة بين الرجال والنساء عرف معروف، وتبادل للزوجات والأزواج فى المراقص مألوف، وصور فاضحة فى الإعلام بكل جراءة، والتماثيل فى الميادين تجسد العورات للجنسين، أمور كلها لا يرى الغربيون فيها من حرج .

والفيلم الأمريكى يقدم لك حسناء فى أوضاع مخلة أو مخجلة مع صديق لها على أريكة وأمام غلامها المراهق أو كريمتها من آخر

تضعضعت قيمة الأخلاق فى نفوس الكثير من المسلمين "مثلما تضعضعت عند كثير من الغربيين فقد فصلوا مجالات حياتهم هناك عن الأخلاق، فصلوا السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والأسرية بما فى ذلك الجنس نفسه" فلم يعد لشئ من ذلك كله علاقة بالأخلاق[1] .

إن انهيار منظومة القيم المتوارثة تحت ركام القيم الوافدة هو أمر تسود له الوجوه لأنها من مجتمعات تختلف عنا بالكلية، لأنها تخلت عن المودة إلى المادة ودخلت فى رحاب الإباحة باسم السماحة، ولأن منظومتنا الخلقية فريدة فى قيمتها وتفصيلاتها، فأهم مصدر للسعادة والهناء هو انسجام واقع المرء مع معتقداته، حيث يشعر بارتياح وبهجة كلما تخطى عقبة من العقبات التى تحول بينه وبين قيمه العليا، فالسعادة لا تكون إلا فى جو يسوده الأخلاق، وتعلو فيه إشراقات الروح[2]:

ودعاة الاقتباس المبهورين بكل ما أنتجه غربهم يودون لأعرافنا أن تتوارى إلى الظل عشية الاستسهال الدينى المحمول إلينا برا وجوا

---

(١) مجلة المنار، من الوطن الكويتية ١٩٩٨/١٠/١١ العدد ٨١٣٨ الأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/٢٩ ٢٥٨٤ لسنة ٣٧

(٢) عبد الله الشبانه، (مرجع سابق).

والذى لا يمت فى سلبياته إلى الطبع المهذب، وإنما للجذور الصليبية الغربية الممزوجة بالوثنية واللادينية.

وتلكم مباراة بين بعض القنوات الفضائية والعربية يشهدها سكان المعمورة قاصيهم ودانيهم لإمتاع المشاهدين ببرامج الإفلاس الفكرى، بعرض المفاتن التى تناقض مع ما أوتى النبيون من ربهم، حتى أن بعض المجلات أسمته (سباق التشلح) وليسَ التسلح، فليس هو سباق محمود فى الثقافة الترفيهية وإنما هو سباق فى عرض الحسناوات والفتيات الجميلات بلباس يجعلهن أشبه بالعراة ناهيك عن عروض الرقص وأجمل المراهقات، ودعواهم هو الانفتاح الفكرى والحرية والتقليد للغرب المتقدم [1].

كم تجر علينا التقاليد الوافدة استعمارا اجتماعيا عجز عنه الاستعمار العسكرى، فتتخبط الأمة المسلمة مع تبدل القيم التى تبدأ من تعلم الطفل لما يقال بالثقافة الجنسية، فإذا ما حدث استلطاف بين الجنسين فى الرحلات كان هذا معاكسة بريئة وليس عشقا أو غراما إن لم يجر إلى الزواج القسرى لإسدال الستار على الفحشاء[2].

وهذه سلوكيات لا مرحبا من تلك الحفلات التى تنقلها إلينا الكاميرا فى المنازل وسط مقاعد المتفرجين وهو الرقص الخليع والهزيل والذى تنعكس إثارته السلبية على جماهير الشعب [3].

وهذه رسالة بعثت بها الدكتورة/ آمنة نصير الأستاذة بجامعة الأزهر إلى جريدة الأهرام قالت فيها: دار حيث بينى وبين إحدى بناتى

---

(١) محمد عبد الرؤوف زياك، مفكر سورى.
(٢) سالم البهنساوى، الأنباء الكويتية ٩٨/٥/٢٨
(٣) الأهرام المصرية فى ١٩٩٩/٨/١١ص٣١

ونحن نشاهد إحدى أغنيات الفيديو كليب، وهى سيدة ناضجة ومتزوجة وتعيش فى إحدى الدول الأوروبية، إلا أنها تعجبت مما يدور فى مشاهد الأغنية العربية ومما يقال من كلمات ليس لها أى رابطة مما يحدث ويدور من رقص وإيقاع كأنهم مجموعة أفاعى تتلوى دون معنى أو فن يرتفع بالذوق أو مشاهدة تمتع العين، وتذهب الكلّ والملَلَ عن النفس التى يطالب الإنسان بالترويح عنها، ولكن أى ترويح فيما نشاهده ونراه من أمثال هذه الأغنيات التى تخلو من أى تقدم مما عرفناه ونعرفه فى ثقافتنا الفنية وجمالها من كلمات راقية ترتفع بالذوق وألحان جميلة تنتعش بها النفس، وعبق جميل يملأ الفؤاد ويزيد البهجة فى حياة الأسرة، ثم حدِّث ولا حرج عن مظهر الفرق التى تصور أغنيات هذا الفيديو كليب فى بلاد بعيدة، أو قريبة تتحدث عن مصادرها بكل فخر وتقدير واعتزاز !! وكأننا جلبنا للمشاهدين ما يستحق الحمد والشكر والتقدير العظيم.

ملابس هؤلاء المصاحبين لأغنية الفيديو كليب، ونعم أقول ملابس من المجاز بل أنها فى الحقيقة قطع قماش متناثرة على جسد الفتيات، تكشف أكثر مما تستر، مع هذا الأداء الأفعوانى وهذه الموسيقى المصاحبة الخالية من أى إمتاع لأذن .

صدقنى عزيزى القارئ لست من أهل التطرف ولا التزمت ولا الحرمان من التمتع بالحياة، ولكنى أخاف على قيمنا الجميلة التى تحمى بناتنا وشبابنا من هذا الإسفاف والانحدار فى الذوق، وأقول يا سادة يجب أن ندرك أن لكل شعب ثقافته وتقاليده وعقيدته، وخصوصيته، وأن هذا التقليد الأعمى يفسد الذوق العام والخاص لأولادنا وبناتنا، وأنه مسخ

لهويتنا بغية أن يفسدنا فى مظهرنا وثقافتنا وتقاليدنا وميراثنا الفنى والحضارى ودعونا من فلسفة تقليد (الغراب للطاووس) ولنبقى ونحرص على ريشنا الجميل قبل أن يقع ولا نستطيع أن نزرع بدلاً منه، فالشرق شرق والغرب غرب .

ثالثاً : التناقض بين مبادئ الدين وواقع المرأة المسلمة :

كم يتحسر المسلم الغيور على ما آل المرأة العصرية عندنا، فقد غلبت عليها شقوتها على يد نخبة من أساتذة التحريض والتلقين ومن ورائهم سماسرة التغريب، يدعمون الإباحية والتحلل وترويج الأزياء الغربية وأساليب التعرى، الأدب المكشوف وكيفية إخراج المسلمة من بيتها على غير سنة نبيها، وهو ما أصاب امرأتنا بأوضاع نفسية مقلقة ويهدد فتاتنا الملتزمة ويغويها بالسفور وكشف المستور .

فتلكم الكاسيات العاريات، تلبس الثوب الضيق الذى يبدى تقاطيع جسمها، أسفلة ضيق لا تكاد المرأة تمشى فيه، ومما يزيد فتنة وضع فتحات جانبية تظهر ساقيها وجزء من فخذيها [1].

كثير من الأخوات المسلمات يرضعن أولادهن بحضور الرجال الأجانب وتكشف ثديها وترضع طفلها بدون حياء، وربما كان زوجها جالساً.

وهاكم امرأة تتصدر الشاشة الفضائية تتحدث عن الإسلام مع أنها تتنكر لزيه، وإذا سألها سائل على التليفون الساخن،لماذا أنتى

---

(١) انظر اللباس والزينة، تأليف سمير عبد العزيز ص٣٦.

حاسرة الرأس أجابت بإجابات ماكرة بعيدة عما وجه إليها، وهناك كتب تحمل عنوانا إسلاميا وهى تضرب الإسلام فى مقتل، مؤلفوهـا أشـبه بالمنافقين فى صدر الإسلام، ومع ذلك فهى تنطلى على البسـطاء فـى الثقافة، ومن أراد أن يشاهد المذيعات الفاتنات وهن يظهـرن بملابـس أشبه ما تكون بقمصان النوم فعلية بقنوات فضائية عربية متألقة، ألقـت وتخلت عن مظاهر الاحتشام من أن ملاكها يدعون إلى الإسلام، وما هو أدهى وأمر تطرح موضوعات للنقاش كلها تـروج للإباحيـة كالعـادة السرية والعجز الجنسى ليلة الزفاف بدعوى الوعى فى أمـور فطريـة يتساوى فيها الإنسان والحيوان، والنتيجة هى الويل للأجيال .

وفى المناسبات الاجتماعية وفى الفنادق الفخمة تلـبس النسـاء أفخر الثياب، ولكنها القصيرة والمكشوفة والفاضـحة رغـم اخـتلاف الأعمار والأجساد وهو ما يؤذن بمرض التوحد مع الغرب .

ومن دواعى الأسى والشجن أن تجد نساء محجبـات وبنـاتهن بجوارهن بالملابس الضيقة أو الكاشفة وفى سن حرجـة، وكـم تلقـى عروس اليوم المسلمة من العنت والحرج حيث تتحول للبحث عن فستان للزفاف ساتر للعورات فلا تجده إلا عارى الأكمام، مع أنه مما عملـت أيدينا !!.

ولا غضاضة اليوم أن تجد الصور العارية فى كليات جامعيـة باسم الفنون، يتدرب عليها الطلاب من أجل مستقبل أكثر تألقاً [1].

ومفهوم الحب بين الفتى والفتاة على الطريقة الغربيـة كارثـة أخلاقية تضرب قيمنا عن يمـين وشـمال، وإذا طوفـت بالمنتجعـات

---

(١) مجلة النور .د.محمد رأفت عثمان العدد ٦٥٤

السياحية فى الشتاء والصيف فى كثير من الدول الإسلامية يخيل إليـك أن المسلمين قد تركوا بلادهم للأجانب، وبالرغم أن عمار هذه الأماكن كلهم أبناء العرب، ويا حسرة على العباد الذين تخلـوا عـن قـوميتهم ويساومون على هويتهم بثمن بخس .

وهاكم امرأة مسلمة فى بيتها، تروح وتغدو بملابس النوم، وتجد أخريات يبدين زينتهن بلا حدود أو قيود سيما أمام المـراهقين الـذين صاروا يطلعون على عورات النساء .

وإذا طرقت مجتمعات المترفين فى منتدياتهم تجد التغريب قـد أحاط بهم سلوكيات تنحو نحو تحقيق الميول الجسدية التى قد يقوده بعد إلى منافذ غير شرعية، كل أولئك نتاج المسلسلات التى تنكـب علـى موضوعات الخيانة الزوجية والمطاردات الجنسية والمراهقات الصبيانية والانتهازات المادية وكله انعكاس ثقافات سطحية سانجة[1] هل تحريف أم تجريف للقيم الإسلامية، وحدث عن الأسلوب السافر فى التهكم على رجال الدين بل والملائكة إسرار وجهارا ولا حرج !!.

وها هى البنوك المنبثة فى بلادنا العربية الإسلامية تكيد للفتيات المرتديات للزى الإسلامى فلا تقبلهن للعمل لديها وهو أمر تسـود لـه الوجوه، وهاكم اقرءوا ما طالعتنا به الصحف والمجلات عن مأساة أول طيارة تعمل بكفاءة فى شركة طيران عربية، أرتدت الـزى الإسـلامى ففصلوها، بعد أن بلغت عدد ساعات الطيران ١٩٠٠ ساعة إلى مختلف دول العالم، أعرضت عن عروض انهالت عليهـا للتمثيـل والأغـراء والإغواء، وهنا أفتى مفتى مصر المسلمة بأنه ليس من حـق صـاحب

---

(١) د. يسرى عبد المحسن الأهرام السم فى العسل ٢٠٠١/١٢/١٢م.

العمل فصل المرأة بسبب ارتداء الحجاب الذى يعد فريضة علـى كـل مسلمة لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[1].

إن المحاسن عندنا بحور بلا شطآن، واقع زاخر وفاخر وأهـل الغرب لا يزالون يحسدوننا عليها بعد أن تـوارت عنـدهم وصـارت بضاعة مزجاة. إن أعرافنا كلها عذب فرات، وما يخالفها ملح أجاج فهل من غيور فخور بدينة يعيد إلى أعرافنا وجهها الوضاء.

الاختلاط الضار :

الاختلاط العائلى لـه إيجابياته وكذلك سلبياته، فمنه الممـدوح ومنه المذموم، وكمبدأ ولا غضاضة أن تتزاور الأسرة المسـلمة فـذلك مدعاة للترابط والقوة والألفة ولكن بشرط التزام العرف الإسلامى، أمـا أن تجلس النساء مع الرجال تكشف كل امرأة عن ساقيها للنـاظرين أو جزء من صدرها أو ظهرها أو ذراعيها، وثم يسود جـو مـن الهـرج والمرج حتى ساعات متأخرة من الليل، وأحاديـث وديـة وضـحكات وقفشات ومزاح مكشوف منتهاه أن يهدد الهناء العائلى لكلا الأسـرتين، وليس هذا مما يجرى فى صالون البيت المسلم حيث المصحف فى كـل الأركان، ورغم أن الرجل الشرقى غيور على دينه وزوجته على خلاف الغربى الذى تضعف عنده الغيرة الجنسية كإحدى خصائص وخسـائس لحم الخنزير الذى يلتهمه كلما تتوق شهيته .

لقد أثبتت الدراسات أن حالات الاغتصاب داخل دائرة المعارف الأسرية أكثر شيوعا من الحالات التى تتعرض فيها المرأة للاغتصـاب

(1) مجلة لها العدد ٨٠ فى ١٤٢٣/١/٢٠هـ .

لأن الذئب يستخدم مركز القوة فى فرض سيطرة على المرأة، ولـذلك يحذر علماء الطب النفسى فى المجتمعات التى يكثر فيها الاختلاط مـن الرجل الذى تشعر المرأة بأنة يعتدى علـى خصوصـيـاتها أو يحـاول التقرب منها.

الرحلات الجامعية وما يكتنفها :

الحياة فى رحاب الجامعة هى لتعلم العلم، أم لـتعلم الـرقص؟ المراهقون والمراهقات أصبحوا أولياء بعض يخرجـون للتنـزه فـى رحلات جماعية جامعية بل أحيانا فى معسـكرات شـتوية أو صـيفية بدعوى بناء الشخصية والتدريب على الاستقلالية، حيث يمرح البنين مع البنات فى رحلات خلوية لا ندرى ماذا يفعل ببعضهم البعض مهما كان الرقيب مترقبا، إن الإسعاد الحقيقى للفتى والفتاة هو الذى يكـون فـى حدود المتاح والمباح من شرع الله، وليست السعادة التـى قـد تجلـب ضرارا بالفتاة أو الفتى وتسبب جروحا لا تلتئم على مر الزمان، ولـن ينفعهم يومئذ دعاوى الداعين لثقافة الانحلال، وهاكم شهادة من الـذين جربوا الاختلاط .

والزواج العرفى السارى : هو النجم الطارق- يطرق الأبـواب ليؤذن لـه، وقد ذاع وشاع سيما بين طلاب وطالبات الجامعات لإضفاء الشرعية الكاذبة على حب المراهقين والمراهقات إنصـياعاً للنمـوذج العربي- وسرعان ما تبدأ – رحلة الانتقام من الزوج السـارق للفتـاة بدون مأذون وشهود وولى أمر ومن غير شبكة ولا مهر . وأصـبحت هناك ورقة مطبوعة يشهد عليها اثنان غير مؤهلين . ويجد الأهل فجأة وبغته ابنتهم البكر الرشيد زوجة وتبدأ رحلة البحث عن المتاعب وعـن

مخرج من هذه الفضيحة الطارئة التى جلبتها لنا السلوكيات الأجنبية الوفية !! [١] .

السكرتيرة الحسناء لدى المدير المتأنق :

الجمال والدلع والمواهب الخاصة جداً أهم شروط الفوز بالوظيفة ولذلك فهى مهنة سيئة السمعة، وهى جزء من ثقافة فاسدة، وأزمة مجتمع تنتشر فيه الأفكار والاتجاهات اللادينية [٢].

فى مكتب الرئيس تلبس أفخر الثياب وأحلى العطور، تتزين بزينة الكواكب تقلد الأجنبيات، فتختلى بالرئيس مع تبال المودة والإخاء المزعوم، ناسية كل عرف إسلامى، تخضع بالقول أحيانا، وتارة تجذب، وحين يعود المدير إلى منزله فكم هى عبارات الود والحنان الدافقة التى رانت على مسامعه، نعم هناك رؤساء ملتزمون ولكن آخرون دون ذلك . إن السكرتيرة أنثى بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يتعلق بها قلب الرجل وتشتهيها النفس، إذا هى أخلت بكرامتها وخضعت بالقول وأثارت الغرائز [٣]، فعلى سبيل المثال: فى كندا أدانت محكمة حقوق الإنسان فى كيبيك مدير إحدى المدارس بمنتريال وحكمت عليه بدفع تعويض كبير لفتاتين مارس مدير المدرسة عليهما تأثيرا كبيرا، وكانت إحداهما سكرتيرة خاصة له، دأب على مغازلتها بكلمات تفوح منها رائحة العدوان الجنسى وتفصح عن تربص الإيقاع بها، مما سبب للضحية قدرا من الإهانة والقلق والشعور بالعدوان [٤] .

---

(١) النبأ الكويتية فى ٢٠٠٣/٦/١ .
(٢) د. أحمد النكلاوى، مجلة الخميس ٢٠٠٤/٤/٨م.
(٣) محمود عمارة، اللواء الإسلامى فى ربيع الثانى ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٥/١٠/١٠م .
(٤) الأهرام فى ١٩٩٢/٤/١٢م

إن مناخ العمل فى الإسلام لــه روح وريحان، ومكان العمل هو جنة نعيم، وحقل إنتاج، والشباب المسلم ألوف مؤلفة تتململ من البطالة ولكنه التقليد.

رابعاً : تهميش الدين فى ديار المسلمين :

هل يصبح الدين مجرد حصة أو حصتين تملى على التلاميذ فى ختام اليوم الدراسى وهم يتثاءبون وعلامات الإجهاد بادية علــيهم مــن عناء اليوم المشحون ؟ ناهيك عن أنها دراسة تــتم دون معايشـــة بــين التلميذ والأستاذ، ولقد صار الدين فى إعلامنا مجرد فقرة أو برنامج أو عمود يكتب من قبيل تشكيل الوجه وتنويع المواد وسد الذرائع [١].

هل يتضاءل دور الإسلام على غرار الأديان الأرضــية التــى أفلست فى اجتذاب الشباب مواجهة المادية المتأججة التى أشــربوا فــى قلوبهم، وتصب فى عروقهم وتصيبهم بفقدان التوازن النفسى، بل وصل الأمر إلى ظهور ديانات جديدة تشايعهم فى اتباع أهوائهم، أمــا دعــاة التغريب فقد حصرت صدورهم أن يلقى الدين الإسلامى على مســامع الدارسين، مع أن سلسلة الإسلام لو انقطعت فى أى بلد عربى عــام أو بعض عام، لما وصل حاكم مسئول أو قائد أو قاضــى فــى أى دولــة إسلامية إلى منصبة أو منصته.

فكم من قيادى أو حاكم تربع علــى العــرش مــدين للمســيرة الإسلامية المتدفقة، تلك المسيرة التى حافظت على السلطة حتى وصلت إليه، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

---

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٩٨٩/١٠/٢٩

ولكن دعاة التنوير والتبوير والإبداع لا يكفون عن الدعوة إلـــى تجفيف الروافد أو إبعاد الدين عن مواطن كثيرة فى التربية والثقافيـــة، بدعوى مسايرة علوم الحقائق المجردة، مع أن التربية الإســلامية هـــى التى تحض على التطـــور العلمـــى، وكـــل رواد الفيزيـــاء والكيميـــاء والرياضيات وغيرهم من نوابغ العلماء المسلمين الذين علمـــوا العـــالم، وعنهم حملت الحضارة الغربية، وواصلت عطائها[1].

إن الدين فى بلاد المسلمين هو أثمن ما يملكون، كالجواد الأصيل الذى لا يزال إلى اليوم عدة المتسابقين شريف الأصل والآباء .

إن سادتنا وكبراءنا لو شبوا يسمعون كلام الله فى بيوتهم وتنعموا بثقافة دينهم لما صدر قانون فى أى بلد إسلامى يبيح الخنا أو يقنن الزنا، ولما انكمش دور المسلمين أو شاع بينهم الاستهتار الـــدينى . إن ديننـــا يقدم للبشرية حياة طيبة خالية من البؤس النفسى أو التـــردى الخلقـــى، يهدى إلى الرشد ومن ثم كان تاريخه حافلا بالقيم والشيم التى تبدد كـــل أمراض النفس.

إن لكل أمة أعرافها، ففى أفلام اليابانيون تجد التحفظ بادياً، فلا ترى فيها القبلات التى منتهاها غرف النوم، فهل نضع اليابان فى قفص الاتهام بتهمة الرجعية والخضوع لاستبداد الإسلاميين؟!.

التشدق بالمجتمع المدنى الواعد [2]

عقلية قاصرة تسعى لهدم الأسرة – من ورائهـــا دعـــاة التقليـــد الأعمى لكل ما هو غربى، يعملون جهد إيمانهم لإفساد الحياة الزوجيـــة

---

(١) الأهرام فى ١٩٩١/٨/٢م

(٢) اللواء الإسلامى ٢٠٠٣/٦/٢٦م

وشيوع الطلاق بدعوى الإصلاح، منح نصف ثروة الـزوج للزوجـة المطلقة. وهى فكرة تنقل من المجتمع الأمريكى أو الغربـى دون فهـم أصول العلاقة الزوجية فى ظل الإسلام، كفل للمرأة كامل حقوقها بمـا لم تصل إليه الشرائع الغربية، فالمرأة عند الطلاق تحصل على الصداق كاملاً إلى جانب حق النفقة وأجر الحضانة وأجر المسـكن إن كانـت حاضنة، والزواج المدنى يؤدى إلى ظلم الزوج وإثـراء الزوجـة بـلا سبب، لأن الرجل هو الذى يسعى إلى الكسب والمعاناة فى كبد . كما أن من موبقاتها طلب الطلاق وهجر الأسرة سيما عند ضعاف النفوس، مع أن المرأة فى الإسلام حظيت بحقوق لم تحظ بها امرأة الغرب، فلها ذمة مالية مستقلة وهى حرة فى التصرف فى مالها كيفما شـاءت، بخـلاف التشريعات الغربية التى يكون فيها المال مشتركاً بينها وبين الرجل ولا يحق لها التصرف فى مالها إلا بموافقة الزوج.

خامساً : القوانين الغربية تصدم الأحاسيس الإسلامية :

فلقد انخرطت فى التشريعات العربية الإسلامية ثلة من القوانين الغربية التى تمس الأخلاق والقيم، تصدم الأحاسيس والشـعور، فمـن يضبط زوجته مع عشيقها فى وضع مشين فيمعن فى قتلهما، فجزاءه أن يكون من المسجونين ملازماً للعتاة والمجرمين.

والناموس الغربى "تزوج بواحدة وصاحب مـن شـئت مـنهن" فالزوجة الثانية محرمة ومجرمة، وهذا ما حل ببعض بلادنـا المسـلمة كتركيا، نعم تعدد الخليلات والصديقات أما تعدد الزوجات فلا مرحبـاً به!! والزوج التركى إذا اتهم بتعدد الزوجات يدرأ عنه العذاب إذا قرر

أن الزوجة الثانية عشيقة لـــه!!، وحينئذ فلا تثريب عليه، ولكن يظـــل العنت يلاحقه بالنسبة للأولاد من تلك الزوجة، وأحياناً يلحقوهم بالزوجة الأولى التى لا يعترف القانون إلا بها وليذوقوا وبال أمرهم!!.

لقد عميت عليهم حكمة الحكيم العليم فى تشريع تعدد الزوجات، أقلها التنفيس الوجدانى المشروع عن الرغبات الجامحة فى إطار مـــن الفضيلة والقيم، فتتعالى المجتمعات عن الموبقات التى هى آذان بخراب الحضارات.

ودول إسلامية ساوت بين الجنسين فـــى موضـــوع الطـــلاق، فصرفت النظر عمن يكون بيده عقدة النكاح، وبعضها فعل كـــذلك فـــى الميراث، مع أن تقدير العزيز الحكيم فى توزيع الأنصبة مسطور فـــى كتب تملأ المكتبات.

كم كان الاقتباس التشريعى فى مواطن كثيرة موجعـــاً وأليمـــاً، وطال عليه العهد حتى صار ضيفاً ثقيلاً ولا مرحباً به عنـــد أصـــحاب الفطرة السليمة والذوق الرفيع.

نعم سيظل غريباً على مجتمعات المسلمين، تلك القوانين التـــى تجعل الزناة فى الغرفات آمنين، والمفروض أن يشهد عذابها طائفة من المؤمنين، ألوف مؤلفة من الضحايا الأبرياء سيما المراهقـــات دفعـــوا الثمن باهظاً بسبب تفاهة العقاب المنقول إلينا من بلاد الحرية والإباحية.

فالتشريعات المقتبسة عن الغرب تفرض عقوبات تافهـــة علـــى الموبقات، كانتهاك المحارم واغتصاب الإناث، أو تسقط بالكلية حدود الله فى مجالات كالسرقة وشرب الخمر، ومن ثم تشجع عقوبة السرقة على

السرقة وتعلم فنونها على يد أكابر مجرميها القـابعين وراء القضـبان، ناهيك عن انتشار الأمراض بين أصحاب السجن، كما يصبح المجـرم عبئاً اقتصادياً على المجتمع، وكم يود كثير من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة أن تقطع أيديهم، ليخرج إلى سعة الحياة بدلاً من ضـيق غياهب السجون.

نمط الجريمة الغربية يحل قريباً من دارنا :

الجريمة الغربية ما سمعنا بها فى آبائنا الأولين ولكنها طرقـت أبوابنا، فهاكم أبناء مردة يضربون آباءهم وأمهاتهم أو يسفهون آراءهم، وهناك من يقتلون ذوى القربى طمعاً فى الثروة، وجرائم شائكة تهيم فى أوطاننا، مسلسلات الشر المحمولة إلينا تقص علينا أوجه العنف الثاقب، ومن ثم تكاثر عندنا حملة المطواة والسكين، يجترأون على القوانين.

جرائم التردى الخلقى والانغماس المبكر فى نـوادى المنكـر، اغتصاب النساء من قبل الشباب ويبدأ التحقيق ولا ينتهـى فـلا يعـود الشرف إذا ذهب، وتبريرات جريمة الزنا، والإيماء للفتيات المراهقـات بالزواج بعيداً عن عقدة السلطة الأبوية، وهذا حادث ينشر فى الصحف عن فلاحة تخون زوجها بإتيان الفاحشة مع حبيب لها، وكانت الفلاحـة فى الماضى هى مجمع القيم، ومحط الأنظار فـى التحلـى بـالأخلاق والتخلى عن المنكر يتصدر كل أولئك إباء العار، فكانت تفضل المـوت على ألا تتهم فى شرفها وعرضها، وهذا ناظر مدرسة معقـود عليـه الأمل فى إحياء جيل جديد، يضبط متاجراً فى المخدرات والمحرمـات، أو موظفاً فى أوكار الملذات، وتزداد الإحصائيات يوماً بعد يوم، وهـذا دأب المجتمع الغربى، الذى نولى وجوهنا شطره، ولا ندرى ما يخبئـه

الغد للآمنين من ويلات المجرمين مع أن شريعتنا فيها الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى .

كالعيس فى البيداء يقتلها الظمأ　　والماء فوق ظهورها محمول

إن اللصوص عندنا اليوم تسرق لتحتسى الخمر أو تتغول فى المنكر، لا من أجل لقمة العيش ولكن من أجل أن يسمن الكلاب.

لقد قلدنا أوروبا فى كل شئ، وما دامت نسبة الإجرام هناك صاعدة، فلتكن عندنا بدورها كذلك.

نعم الشرطة بالمرصاد تتعقب اللصوص دون هوادة، ولكن إن تمكنت منهم فهم يحاكمون وفقاً للنموذج الغربى فينزلون ضيوفاً على الدولة من مال المواطنين، وربما أخلى سبيلهم قبل الأوان فى أحد أعياد النصر – ويومئذ يفرج المبطلون.

ودعاة فصل الدين يتطاولون فى البنيان :

هم اليوم أكثر نفيراً، وتلك هى الطامة الكبرى، فلم يحدث فى الإسلام فجوة بين الدين من ناحية والعلم من ناحية أخرى كما حدث فى أوروبا، بل ديننا هو العلم يحض عليه ويكفينا فى هذا آية، أول كلمة بدأ بها القرآن الكريم وهى قوله تعالى "**اقرأ**".

فأقسى ما يؤلم المسلم فى بلاده أن تنحى الدولة الإسلامية دينها عن أوضاع مجتمعها واستبداله بحلول من صنع عقول بشرية : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه:١٢٤]، فلم يقل أحد أن الدين ورجال الدين قد أساءوا، فهم جند مجندون لإعلاء كلمة الله، يعملون فى إطار ذلك الدين القيم بلا كهنوت أو غرض، ومع ذلك يتسرب إلينا ذلك العفن الوارد من الغرب مبدعة العلمانية أو اللادينية،

وكان لنشأتها فى أوروبا مبررها، أما عندنا أولى الميادين التى داهمها الترغيب وأستحوذ عليها كما أسلفنا مجالات الفكر والثقافة والتعليم، فأضحى ذلك الميدان أسيراً للثقافة الغربية بل وعلى يد نخبة من أبنائنا الذين أشربوا فى قلوبهم حب الغرب، وأصبح كل همهم هو النقل والاقتباس متناسين اختلافات البيئات وتميز الإسلام بشريعة خاصة ذات ينابيع عذبه، فالتبعية الثقافية للغرب مبثوثة فى كثير من المناهج الدراسية التى تدرس فى العالم الإسلامى، ويتكون من مجموعها مركب فكرى وعقائدى يخالف روح الإسلام[1] أثر على السلوك، بل أثرى السلوك المخالف،، دون أن تكون الدراسة متبوعة بالنظرة الإسلامية الرشيدة التى تميز بين الطيب والخبيث[2].

ودعاة الفقه التقدمى : وهؤلاء لم يقرأ أحد منهم كتاباً فى الفقه والحديث، فكيف يجتهد لنا من يحكم فى شرعنا من لا يفهمه، يا للعجب إذا اتخذ الناس رؤساً جهالاً، ولماذا تقليد الغرب فى قضايا يشكو هو منه أو يتجرع غصصها.

سادساً : لغة البيان تنتقض من أطرافها وتشكو جحود أهلها:
(حروب الهوية)

"**سوبر ماركت**" ومعناها (محل بقالة)، "**كتشن ماشين**" ومعناها (ماكينة مطبخ)، "**روستورانت**" ومعناه (مطعم)، "**الفلترة**" ومعناها (التصفية) "**التشييك**" ومعناها (التفتيش والمراجعة)، "**التفنيش**" ومعناها

---

(١) وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ترجمة د. محمد حب الله، ص ١٢١
(٢) د. أكرم العمرى، مهام أساسية أمام الجامعات الإسلامية، مجلة الأمة ١٤٠٣هـ.

(إنهاء الخدمة)، "**الفنشنج**" ومعناها (التشطيب)، "**تست**" ومعناها (اختبار)، ولا تنسى أن هذا "أونكل" وهذه "تانت"، نصر سنتر، مول وهلم جرا[1].

وفى أعياد الميلاد التى تقام للصغار لا بل حتى للكبار المتصابين يقال لهم "هابى بيرث تو يو" ومعناها عيد سعيد، وهاكم بعض المذيعين يستخدمون مصطلحات أجنبية ناهيك عن الأخطاء النحوية التى تتألم لها لغتنا الجميلة، وأصحاب الوجاهة وغير الوجاهة يطبعون كروتهم بالإنجليزية وحدها وكأنهم يودعون العربية التى نشأوا عليها وترعرعوا فى ظلها.

لغتنا الجميلة بين اللغات هى حسناء الحسناوات وأغنى الأغنياء، فهل تتحول فى دارها إلى حسناء عند أعمى أو إلى ضرة للغات الأجنبية، إنها اللغة التى يكتب بها أو يتكلم بها ٢٠٠ مليون عربى ويهفو إليها ألوف الملايين من المسلمين الذين يتقنون جزءاً منها لأداء نسكهم، وهى ليست حاضراً فحسب، بل هى تراث ضخم فخم فى العلوم والفنون، وكانت لغة عالمية فى الماضى بالمعنى الدقيق.

فى فرنسا هل تعثر على فرنسى يتكلم الإنجليزية مهما أجادها، وكذلك دأب الإنجليز مع الفرنسيين، وهذا ما دعا شاعر النيل عندنا أن ييئس لما تتعرض له لغتنا من جحود من أهلها وانتقاص من أطرافها فقال :

---

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٩٩٩/٩/٢١م

أيهجرنى قومى عفا الله عنهمو إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الأفرانج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى سبيل فرات
فجاء كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

ندوات ومؤتمرات حول أزمة لغتنا وتأثير ذلك على الشخصية والهوية والقومية(1).

إن دراسة الطب عندنا صارت بالإنجليزية، هل يعكس هذا عجزاً فى لغتنا، أم انهزاماً ثقافياً وجحوداً من جانب علماء الطب مع كونهم مهرة فى فنهم وفهمهم، وما كان ينبغى لهم بدورهم أن يفترسهم الأسر الثقافى، فالقانون من قبل كان يدرس فى بلادنا بالفرنسية ولكن أساتذته كان سعيهم مشكوراً حتى صارت دراسته بالعربية، وبالعربية الفصحى، لأن المصطلح الأجنبى فى علم من علوم يظل من معوقات الفهم عند الطلاب ومتابعة الأستاذ على الوجه المأمول .

من أروع ما نشرته جريدة الأهرام مقالاً للأستاذ فريد تدرس بتاريخ ١٩٩٨/٩/٦ بعنوان مدارس لغات تجريبية، أم مدارس ضرب للهوية، وضرب لنا مثلاً بحفيده التلميذ بالصف الثالث الابتدائى بإحدى مدارس اللغات، حين ذهبا سوياً لشراء بعض الأدوات المدرسية من إحدى المكتبات، وبعد أن وقع اختياره على ما وقع، طلب البائع منه – مداعباً له – أن يجمع ثمنها بعد أن سجلها له على ورقة صغيرة، فرد عليه الصبى بأن يعيد كتابتها له باللغة الإنجليزية حتى يمكنه جمعها، لعدم استطاعته أن يجمعها بالعربية، التى اختارها رب العباد كما يقول صاحب المقال – لغة القرآن الكريم تشريفاً للعرب وتكليفاً وتعظيماً !!.

---

(1) الأهرام فى ٢٠٠٠/١١/١٧م، مقال غربة اللغة العربية.

هذا ما سجله المثقف العربى المصرى المذكور مع أنه من غير المسلمين.

والمصاعد الكهربائية فى المنازل والمكاتب مرقمة باللغة الأجنبية، مع أنها مصنوعة بأيدى عرب فى بلاد العرب، ومن الطريف أنه زارنى ذات مرة شيخ من قراء القرآن الكريم وعندما استقبلته وجدته متعباً ومنهكاً من طلوع السلم فسألته لماذا لم تصعد فى المصعد قال دخلته فوجدت الأرقام فيه والبيانات الأخرى باللغة الأجنبية فآثرت السلامة. وفى المطاعم العربية اليوم إذا دخل العميل سألوه: هل تريد الطعام وفقاً لنظام الكارت أو المينى، وعندهم "تشيكن" ومعناها دجاج صغير وستيك وروستو، وفيليه، مع أن كل هذه المصطلحات لها بالعربية مقابل أخّاذ، ولكن المحاكاة بدورها مرض أخّاذ. وبالأمس كما أسلفنا حاولت ثلة من المتفرنجين أن يستبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية كما فعل أتاتورك فى تركيا بدعوى اللحاق بركب النهضة فى الغرب، وماذا جنت تركيا بعد ذلك من تغيير حروفها، هل دخلت مع الداخلين فى رحاب الخالدين أم خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف.

وبالنسبة للمسلمين العجم فقد حدث اغتيال للحرف العربى الذى تكتب به لغتهم وتضييق الخناق عليه ومحاصرته لثنى المسلمين هناك عن استعمال الحرف العربى، وتحويل كتابتهم إلى الحرف اللاتينى إمعاناً فى عزلة ثقافية على العربية كما حدث فى تركيا وماليزيا وفى غرب أفريقيا عند مجيء الأوروبيين إليها حيث المكاتبات بينهم وبين السلاطين المحليين تتم باللغة العربية، وبعد أن استتب الأمر لهم فرضوا

لغاتهم خاصة الفرنسية على المنطقة، ثم استشرت الحملة لنقص استخدام الحرف العربى فى اللغات المحلية.

أول طريق لفناء الأمة هو فساد لسانها والتهـوين مـن لغتهـا، والغرب فى جملته قد اعتز بلغته على تعددها فسـادوا وعـزوا، فهـل تتحول لغتنا إلى حسناء عند أعمى.

كثيرة هى الخدع الثقافية التى استسلمنا لهـا ثـم انتبهنـا إلـى مخاطرها، لكن الخدعة الكبرى التى تؤرقنا تلك التى توهمنـا بأهميـة التدريس فى جامعاتنا باللغة الإنجليزية، حتى يكتمل مسلسـل التشـوه الثقافى لأنبغ نخبنا[1].

العربى هل يضطر لحمل القاموس الأجنبى :

فى بلاد الخليج العربى على رحابتها واتساع رقعتها لا تنفعـك اللغة العربية فى عملية الاتصال لكثرة الوافدين إليها والذين يتحـدثون باللغة الأجنبية (الإنجليزية) فنشروها ونشروها، ولم يكلفوا أنفسهم عنـاء تعلم العربية فى دارها، وفى بعض دول الخليج لافتات علـى الطـرق العامة باللغة الأجنبية وحدها، كخفف السرعة مثلاً، وما علـى البـدوى هناك إلا تعلم تلك اللغة الوافدة شاء أم أبى، وكذلك يحدث فى المحلات التجارية.

نعم وقع المحظور، فالمفردات الأجنبية تتسلل إلى اللسان العربى مع أن الحاجة لا تبدو ماسة إليها، فهى كلمات عادية ولكنـه الشـعور بالدونية والانبهار بالغرب.

---

(١) فهمى هويدى الأهرام فى ١٩٩٩/٩/١٤م

أخشى ما نخشاه أن يجئ اليوم الذى يحمل المثقف العربى معـــه كتاباً يقرأه وهو القاموس الأجنبى، فقائمة الطعام اليوم فى كـــل فنـــدق ومطعم باللغة الأجنبية، وهذا أخطر مائة مرة من قصة الشعر الأمريكية التى يتزين بها الشباب المفتون، فقصة الشعر قد تتغير من عام إلى عام وقد تزول ولا تعود، لكن أن تخترق اللغة الأجنبية الجزيرة العربية مثلاً فتنحى جانباً من لغتنا الركن الأعظم فى هويتنا فهنا مكمن الخطورة، ولا ينبغى حينئذ أن نشعر بالرعب أو الخوف من قصة الشـــعر ونتغاضـــى ببرود لافت عن التغييب الثقافى الذى يوشك أن يطمس هوية تلك الأمة المجيدة (١).

جريدة الأهرام القاهرية، مختار الصحاح لكل سائق(٢)

لافتات المرور التى تكتب فى الشوارع لتهدى السائقين الحيارى، تحمل عبارات أجنبية توقع الحيرة بين السائقين، أى طريق يسلكوه وأى توجيه يتبعوه ومن ذلك "المتجه إلى شارع .. يتم الدوران من اليوترن.." وتابع ذلك " تعليق من تلك الجريدة المتألقة بأن كل سائق لابد أن يحمل معه القاموس العربى المحيط "مختار الصـــحاح" نظـــراً لأن اللافتـــات المرورية جمعت بين اللغتين العربية والإنجليزية، وتحولت إلى طلاسم أمام الغالبية العظمى من السائقين سيما وأنصاف المتعلمين.

---

(١) مجلة كل الأسرة ٢٠٠٣/٤/٩م.
(٢) الأهرام القاهرية يوم ٢٩ يوليو، و ٦ أغسطس ٢٠٠٣م

سابعاً : أضرار متفرقة :

البالية الروسى ينقض غزل العرب:

المسلمون لهم أعراف وقيم نابعة من دينهم ومجتمعهم فهل تماس العورات بين فتى وفتاة باسم الإبداع والذى قدمه الروس للعالم أجمع كهدية له، شاهدا على الفكر اللادينى، هل نحن أهله؟ هل يليق بأبناء خير أمه أن يدخلوا فى سرادق الفن الذى يهزأ بالقيم.

كم من فتى مفتون أو فتاة، بذلك الفن الطارق الذى غاب عنا منذ آلاف السنين فاكتشفه الروس وأشياعهم، رقص من نوع حركات وتمايلات إلى احتضان وتبادل ومساس للعورات جهاراً بين فتى وفتاة لتشهده الفتاة العربية والفتى العربى ويصفقون له بحرارة بالغة.

هل هذا الفن المقتحم جزء من المشروع الحضارى الذى تنتظره شعوبنا المتعطشة إلى النهضة الحقة بعد غياب طويل عن ساحة الصراع الحضارى ؟! كم من بلد إسلامى تروج لهذا الفن الطارق الذى تمخضت عنه بلاد الصقيع ؟.

إن الباليه الروسى الذى كسب الشهرة ونال درجة الأستاذية يعكس صورة المجتمع الذى شب فيه وترعرع، والذى أدى إلى الإلحاد وطرد الإيمان والفضائل، هل يرضى المسيح عيسى بن مريم وأتباعه هذا التطرف اللادينى المدعوم باسم الفن؟! وهل يشجع الرهبان فى صوامعهم تلك التيارات الهادمة للأعراف الدينية الماسة بالعورات؟ أم هو فن مقتحم لا مرحباً به عندهم بدورهم؟

لم يتغافل المسئولون فى البلاد الإسلامية وهم من سدنه الثقافة عن ضرورات الواقع الإسلامى والذين ترعرعوا فى ظلاله، فنعموا

بالسكينة والرقى والتوازن النفسى، فهل الباليه هو الدواء الشافى لمشكلاتها وأمراضها سيما بلاد الاقتصاد الفقير التى تتلقى الإعانات من كل محسن؟! هل يتضمن ذلك الرقص وثبة فى الصراع الحضارى الحقيقى الدائرة رحاه دون توقف؟!

إن الدولة التى ابتدعت هذا الفن قد أفل نجمها، وهذا يكفيها.

علاقات الجوار تضعف أو تنهار :

فى الغرب كل تولى بركنه بعدما غلبت المادة على المودة، لأن الديموقراطية التى يتشدقون بها لا شأن لها بقواعد الأخلاق أو حسن الجوار، وأجهد رجال الدين أنفسهم هناك بلا طائل، ولم يبق لهم من عملاء إلا من أصابه الكبر، وذاع تقطيع الأرحام فبلغت المودة الشيخوخة وأحيلت إلى التقاعد مبكراً، أما نحن فلا يزال الغرب يحسدنا على ما نملك من ترابط ومودة وأخاء ونسيج اجتماعى متماسك، فهل نفرط فى مكنوناتنا تلك، كما فرطنا فى الكتاب من قبل؟!.

اليوم تفوح رائحة الجثة فى بناية عربية ولا يدرى الجار بموت جاره الجنب!، أى تصدع فى نسيج المجتمع وعلاقاته الاجتماعية، حائط الجوار يريد أن ينقض بسبب سوءات الاغتراب الذى أصاب الكثير من مثقفينا ومترفينا الذين يظنون أن فى التباعد عصرية وتقدم.

لقد غفل كل هؤلاء الفقراء فى الثقافة الإسلامية أن المودة فى القربى هى من أسباب السعادة لأن كل شئ تقسمه على اثنين ينقص إلا السعادة، فالترابط الأسرى والعائلى الذى يحض عليه ديننا هو مظهر للقوة الدافعة فى المجتمع كما يقرر علماء النفس والاجتماع، والروح المشرقة تنبعث من التعاون والتواد، وحينئذ يغدو المجتمع فى بحر من الهناء العائلى والاجتماعى .

إن الباحث والفاحص لأمراض واقعنا يلمح من رقيب أو من بعيد تصدعات هائلة فى محيط الجيرة لدى المثقفين أو المترفين، وزاد الطين بلة أن امرأتنا اليوم قد أصبحت مثقلة فى حملها بعد أن خرجت إلى العمل، ومن هنا تعثرت الأسرة فى الوفاء بما عليها من عهود اجتماعية أو دينية .

إن الجار الجنب والجار ذى القربى هو أخ لم تلده أمك تستصرخه فينصرك، فهو أقرب من القريب، فهل نركض خلف اللاهثين وراء النموذج الغربى لتكون الجيرة قد اقترب أجلها أو انفصمت عراها.

ولادة التطرف الدينى :

التطرف الفكرى عبء على الواقع الإسلامى يدفع إليه فى المقام الأول حماس الشباب مع نصف العلم بالدين، ناهيك عن أسباب أخرى، وفى هذا العصر ظهرت فئات كثيرة ضالة فى دينها ومتطرفة فى عنادها، بل وتبجحها فى إثارة مشاعر إخوانهم المسلمين والاستهزاء بهم، كالاستهزاء برجال الدين على الشاشة الصغيرة والكبيرة وبكل القيم الإسلامية التى أصبحت تكون أعراف ديننا، كما هى متطرفة فى نهب ثروات الشعب واستنزاف قوته، وتوجه ضرباتها الموجعة والمؤلمة فى محياه ومعاشه، أليس ذلك هو التدين المنقوص حقاً فى عصرنا ؟!

أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأحلى القدود والخدود يفرض كل أولئك على شباب أبله عاطل وبائس ومحبط وعاجز عن الزواج وعاجز عن الحياة فمعناه إشعال الحريق فى جوف هذا الشاب وتفجير فتيل الحرمان، وهنا يقول أصحاب الفكر وأرباب القلم أن التطرف اللادينى

يولد التطرف الديني، والتطرف الأول مبعثه تقليد الأجانب في سيماهم الخلقية ومن هنا تكون انفجارات أصولية إسلامية[1].

إن العوج يبدأ فكرياً لينتهي باسطاً ذراعية على الحياة العربية والإسلامية وأولى عواقبه لدى هؤلاء المتطرفين هو اعتزال المجتمع ومخاصمة الدنيا.

ثامناً : من تحرير المرأة إلى تحريض المرأة :

كانت هي البداية والنهاية في اختراق المجتمع الإسلامي، والشغل الشاغل للمبدعين وأهل التنوير، يضعون السم في أكواب العسل، لأن تحرر المرأة يفسد حتى المرأة الصالحة كما يقول مثل روسي، ولكنهم جعلوه موضوع العصر وشعاراً تتلقفه المرأة ليعشش في ذهنها تحريرها من كل قيد.

وإن تعجب فعجب أن ينادي الغرب بحرية المرأة، ثم يلزمها بأن تتجرد من اسم عائلتها وتنسب لزوجها، فأي تحرير وأي عبودية تلك.

والآن تستدرج المرأة من التحرير إلى التحريض، تحريضها على نفسها وزوجها وأولادها، وإذا كان القرآن قد سمى المرأة صاحبة، فهل يجوز أن تنقلب الصاحبة على صاحبها ؟ هل يجتمع الهناء العائلي مع وخز الإبر من جانبها ؟ فتلك هي الفوضى السلوكية التي ألجأت الكثير من نساء الغرب إلى العيش مع الكلاب، والانفصال الجسماني أو التفكك الأسري فبم إذن تبشرون.

العلاقة الزوجية هي علاقة حميمة، ومن أصدق من الله قيلا ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]، ومع ذلك صيحات تتعالى

---

(١) فهمي هويدي الأهرام في ٢٠٠٢/١/١م.

وندوات تعقد لتهب المرأة إلى إثبات ذاتها حتى تكون بمفازة من شباك زوجها تلك دعواهم.

وكم تعانى المرأة غداة ينفك عنها زوجها، فحينئذ توجه سهامها إلى نحرها.

ولا ضير فى اقتباس تجارب الآخرين طالما أنهـا لا تصـطدم بالدين، إما أن تكون وافدة من بلاد هجرت دينها فهنا مكمـن الخطـر، لأنها حلول أجنبية لمشاكل وطنية، فإذا تفاقم الوضع ألحقنا بالإسلام التهم وهو قد نحى جانباً ومبكراً عن الساحة، وهاكم صوراً مـن تحـريض المرأة [1].

دعاوى المرأة الجديدة :

نالت المرأة في الإسلام أعلى مراتب الكرامة"، فهى الأم الـرؤم صاحبة المقام الأسمى، والزوجة المصونة المدللة لدى زوجها والمليكة فى بيتها، وهى الابنة الكريمة، وهى الأخت التى ترغد فى كنف أبويها أو إخوتها.

أما المرأة الغربية فنحن مدعون للإشفاق عليها بعد ما صرح لها لتكون سلعة تعرض نفسها بدراهم معدودة، ومع ذلك فالإعلام الغربـى يجعل منها نموذجاً للتقدم وعلامة على الحرية والكرامة، فـى مقابـل المرأة المسلمة المظلومة أو المقهورة كما يدعي المبطلون، ومـن هنـا تنطلق الدعاوى الجديدة.

---

(١) أنيس منصور الأهرام فى ٢٠٠٠/٦/٢م، ومن الطريف هنا ما يقال أن الرجل السعيد هو الذى انشغلت زوجته بتحرير المرأة.

وبادئ ذى بدء كل قضايا المرأة عندنا قضايا بلا متقاضين، وأزمات بلا مأزومين، دخلت أجواءنا على حين غفلة من أهلها، وأصبح يروج لها على يد مدعى الإبداع.

أ- القوامة المفترى عليها، تجاهل الفروق الفردية :

شعور فطرى لدى المرأة بأن هناك من هو مسئول عنها، ولذلك كانت شريعة العزيز الحكيم لتحقق لها هذا الأمل، فهناك فروق فردية بين الرجل والمرأة، فليس الذكر كالأنثى، من قال أن اللبؤة تريد أن تتحول إلى أسد، فأحلامها فى إسعاد أسرتها، وكل ما تريده من زوجها الكلمة الطيبة وأن تكون فى قلبه وعقله[1]، ومع ذلك يصر أدعياء التنوير على قسمة القوامة بين الزوجين ولو حدث خلل فى بنيان المجتمعات، ناسين أن القوامة للرجل منذ أقدم العصور، بما فضل الله به بعضهم على بعض، فالرجل مكلف بالإنفاق عليها أما المرأة فهى تكمله بما يلائم فطرتها، فمهمتها الإعداد والتربية دون الإنفاق على نفسها أو غيرها، وهذا لا يعنى أنها تابعه له وإن كانت فالحكمة تقول كونى له أمة يكن لك عبداً [2].

إن القوامة فى مفهومها السائغ فى الشريعة الإسلامية ليست تصريحاً للزوج باستعلاء أو تسلط، ولا ينبغى الخلط بين ما يأتيه بعض المسلمين من تناقض بين مبادئ الإسلام وواقع المسلمين.

أما القول بأن المرأة قد أصبحت شريكة مع الرجل فى الإنفاق على البيت فيكون لها الشركة فى القوامة، فهو مردود لأن الرياسة لا

---

(١) ملحق الإيمان، الأنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٤/٣٠
(٢) إسماعيل الفخرانى الأهرام فى ٢٠٠٢/٢/١١م

تكون إلا لربان واحد فى السفينة، ومهما جاهدت المرأة العصرية جهاداً كبيراً، وصدرت لها قرارات ومراسيم، فلا تزال المرأة عندنا تحت الرجل الذى يحكم سيطرته عليها، ومهما ادعت التحرر والاستقلالية فإن "سى السيد" لا يزال يأسرها لأنه الوحيد القادر على إرضاء أنوثتها[1]، وتوفير الأمن والأمان لها، وقل صدق الله :﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ..** ﴾ [النساء:٣٤]، ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾ [الروم:٢١].

ب- التسوية فى الميراث:

مساواة الرجل بالأنثى فى الميراث، عناداً لقوله تعالى : ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء:١١]، والداعين إلى ذلك لم يستوعبوا تنزيل العزيز الحكيم، فمفاضلة الذكر على الأنثى عندما يكون الذكر مسئولاً عن الأنثى التى أخذ ضعفها، فهو يأخذ الضعف لينفقه عليها فيما بعد.

أما الميراث إذا كان من جهة الأم فإنه يتساوى فيه الذكر والأنثى، ومن ناحية أخرى فإن الأنثى لا تكون مغبونة أبداً، فالإسلام أعفاها من الإنفاق على أقربائها إذا لم تكن ذات مال بخلاف الرجل، فهو مكلف بالإنفاق على من تجب عليه نفقته من الأولاد، ما دام قادراً على العمل فى حين أنها غير مكلفة بالإنفاق على نفسها ولو من مالها بل ولو كانت ثرية، فنفقتها على زوجها ولو كان معثراً.

إن نظام المواريث فى الإسلام أعدل نظام عرفه العالم قديمه وحديثه، ولكن ماذا تقول لفقرائنا فى الثقافة الإسلامية ؟.

---

(١) مجلة زهرة الخليج فى ١٢/٤/٢٠٠٣م.

جـ- إلغاء عدتها واستبدالها بالكشف الطبى :

والعدة فى الفقه الإسلامى ثلاثة قروء ليثبت براءة الرحم من الحمل، وقد ثبت طبياً وعلمياً أن الكشف الطبى لا يظهر ذلك أحياناً إلا عند نهاية فترة العدة، التى حددها خالق الإنسان بثلاثة قروء، لأن المرأة قد تحيض وتكون حاملاً ولا يظهر حملها إلا عند نهاية العدة المقررة شرعاً، وحتى اللائى يئسن من المحيض فقد تحمل مثلما حملت السيدة سارة بسيدنا إسحاق عليه السلام، ولذا جعل الله عدتهن بثلاثة أشهر، وهو أعلم بما سيصل إليه العلم فى أى عصر يقول تعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ**﴾ [الطلاق:١]، ناهيك عن أن هناك أمور نفسية ينبغى إعمالها وهو أنه ليس من المقبول والمعقول نفسياً أن تطلق المرأة أو يتوفى زوجها ثم تتزوج فى اليوم التالى، لأن من مشروعية العدة إعطاء الزوج فرصة الرجوع إلى مطلقته فى الزواج الرجعى بل دون كلفه، وفى حالة وفاة الزوج تعتبر العدة مواساة لأهل الزوج ووفاءً للزوج.

ولكن المؤتمر النسائى الذى عقد أخيراً فى الجزائر تحت رعاية المجلس الأعلى للإغاثة، قد أصدر توصياته الميمونة والتى تنص على أن للمطلقة أو المتوفى عنها زوجها الزواج فوراً دون انتظار انقضاء العدة، إذا رغبت فى ذلك وأثبتت التقارير الطبية أنها ليست حاملاً، تلك دعواهم.

وأخيراً يسأل سائل بعد عرضنا لقضايا المرأة هل أنت عدو المرأة والجواب أنه لا يوجد عدو للمرأة وإنما توجد عدوه.

الفرع الثاني
النيل من الخصوصية الحضارية

وهذا ما سنستعرضه فى النقاط الآتية :

أولاً : التناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين:

هزيمة سلوكية ترقبها الوفود الأجنبية التى تفد إلى الديار الإسلامية للاستمتاع بأعرافها النيرة، وخصوصيتها الحضارية والأخلاقية، فهو ينزل بلاداً تخلو من الفواحش ما ظهر وما بطن، والمرأة فيها مليكة متوجة تمشى على استحياء، فالحياء لا يأتى إلا بخير، لا تكشف عن ساقيها أو تفضح عوراتها، كما عهدوا فى ديارهم، فإذا بهم يجدون ديار العرب وقد تحولت إلى أمة مائعة تتسول زادها السلوكى من أمم أخرى ويغشاها الجحود لذلك الدين القيم.

نعم ﴿**إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**﴾ [الكهف:٢٠]، فالانبهار يؤدى إلى الانصهار والانصهار يؤدى إلى الاندثار، لقد تميزت مجتمعاتنا بقسمات وملامح تميزت بها فى العالمين، فكونت تلك الخصوصية الحضارية التى نعتز بها فى قرارة أنفسنا، وعزت بها دولتنا وأوصلتنا إلى الشموخ الحضارى، ولكن المحاكاة والتقليد فى غير محمود السلوك خلف أضراراً عديدة مديدة، ولم يترك دقيقاً إلا دقة ولا ذهباً إلا ذهب به ولا فضة إلا فضها، وهاكم بعض ما اعترانا بسوء ..

فتقليد الأجانب فى غير ممدوح سلوكهم يشوه واقعنا ويصيب المقلدين بالغربة فى أوطانها، وازدواج الشخصية، وثنائية المعيار، حتى

نصل إلى ما يسمى بالسلوك المضاد، وهو سلوك مصدره التسول من سلوكيات الأمم، وهو أرذل أنواع التسول، فتشبه النساء بالأجانب في غير ممدوح السلوك قد ضيع أنوثة المرأة وأفقدها شخصيتها الإسلامية، وأدخلها في التية الحضاري مع أن دينها قد زينها وكرمها بحقوق لم تنالها امرأة في مجتمع آخر[1] .

كم هي لطمة حضارية للخصوصية الإسلامية التي جاء بها الرسول ﷺ وقد أسس بنيانه على ما أوتي النبيون من ربهم فهل نتحول إلى مجتمع هجين مذبذب السلوك مهلهل الانتماء غريب الشكل ضعيف القومية والعصبية، يعيد إلينا الاستعمار من طرف خفي [2] .

وفي العواصم العربية العصماء تجد اللافتات الأجنبية هي اللافتة لك، ويوم العطلة الأسبوعية هو يوم السبت والأحد تقليداً للأجانب، أما يوم الجمعة فهو عمل دءوب عند كبار التجار ورجال الأعمال وملوك الاقتصاد، ساهون عن أن ذلك يمثل هزيمة حضارية وسلوكية في آن واحدٍ لا تقدم لنا أي جديد، والغريب أن تلك الهزيمة الحضارية قد لا تحس بها وإنما يرصدها الأجانب الذين وفدوا يرمقون حضارتنا كما أسلفنا، حتى الطفل العربي نفسه يستصرخنا اليوم دعونا من التقليد فأنا لا أجد لعبتي المناسبة لظروفي وبيئتي، وتلك أم مسلمة تحتفي بجهالة ببابا نويل، هل يتحول اتباع محمد ﷺ في واقعهم إلى مملكة من الطاووس في مستنقع التقليد.

(١) الدكتورة/ أمنة نصير، اللواء الإسلامي ٤ يونيو عام ١٩٩٢م

(٢) فهمي هويدي، الأهرام في ١٩٩٧/٩/٣٠

كم هو إقصاء للمسلمين عن أوطانهم وفى هذه إضـــاعة لمجـــد العرب، وتهميش لاتباعه وهنا نقول ما قال الشاعر

مشى الطـــاووس يومـــاً باختيـــال * * فقلـــده مثـــل مشـــيته بنـــوه
فقال علـــى مـــا تختـــالون قـــالوا * * بـــدأت بـــه ونحـــن مقلـــدوه
فخالف سيرك المختـــال واعـــدل * * فأنـــا إن عـــدلت فإنـــا فـــافعلوه
وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان منـــا * * على ما يكـــون عـــوده أبـــوه

نخب محليه تقوم بترويج النموذج الغربى فى فروع شتى بحيث يتم الاستلاب من الداخل.

كم من كتاب عربى علَّم العالم، وفضل العرب علـــى غيـــرهم مرصود فى ميدان الثقافة العالمية، وكان لهم الفضل المبين فى بـــزوغ فجر الحضارة الغربية، ولذلك يضحى تقليد الأجانب فى سلبياتهم مذلة لا يقبلها أهل الشموخ، وقد فضلنا الله على الأمم قاطبة، ولكن اليوم تـــرى مثلاً جامعة عربية فى بلد عربى والتلميذ عربى والأستاذ عربى والمادة عربية ومع ذلك يدرسونها بالإنجليزية تبعية وانبهار بالآخر لا ضـــعفاً من جانب لغتنا.

حين تذهب إلى المجتمع الغربى من أقصاه إلى أدناه تجد مجتمع السلوك المباح، وحين تطلع اليوم على المجتمع الإسلامى تراهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فهذا ملتزم وذلك منحل وهذه امرأة محتشـــمة وتلك سافرة أى الفريقين أحق بالانتساب لهذا المجتمع، وهناك سماسرة للغرب إلى جانب ذلك يعرضون الشذوذ الغربى لتفـــتح عنـــدنا أوكـــار للرذيلة والخنا.

هل واجه أهل الغرب حضارة مثل حضارة الإسلام فى تاريخهم، تلك التى أوقفت زحفهم منذ القرن العاشر الميلادى بل شتت شملهم، فكانت فى دول البلقان، ومن قبل فى أسبانيا مكث الإسلام فيها ثمانية قرون من الزمان، ولولا اختلاف الأخوة لاستمرت إلى الآن، ولا تزال حضارتنا رغم محاولات الضغط عليها تحتفظ بروح المقاوم العنيد.

إن تقليد الأجانب فى غير معجزاتهم يصمنا بالركود الحضارى مهما أغرانا بادعوا التنوير بزعمهم برفاهية براقة أو عزفت الأنغام على مساوئ السلوك المعادى، والذى يؤذن بخراب الحضارات ولكن بعد حين من الدهر.

لو أن شباب شعب عربى بكامله، قال لعمته يا تنت أو لخالته، فهل يكون قد أذن مؤذن بالتقدم أم هو دلالة على الاستعمار الفكرى والركود الحضارى، إن تخلى أبنائنا عن التحلى بحضارتنا أكبر ظلامة للأطلس الإسلامى بما يتميز به من سعة وبسطة وخصوصية حضارية، نعم، هى لطمة حضارية قوية حينما يكون التوجه عندنا هو طرح نموذج العيش الغربى فى الوطن العربى والإسلامى، ليعود استعمارنا فى ثوب جديد قشيب وليعيش أبناء أمتنا وقد خارت عزيمتهم، وتحولوا إلى أذيال تجر.

ثانياً : تهميش العالم الإسلامى أمل العولمة [1]

شعاراتها كلها تستر النزعة الاستعمارية لتجميل وجهها القبيح، فدستورها فرض قيمها وثقافاتها وأسمى أمانيها تهميش العالم الإسلامى،

---

(١) حامد العلى، الإيمان، ملحق الأنباء الكويتية فى ١/١٢/٢٠٠٠م.

وتسليم قيادة البشرية إلى ثقافة الغرب، وهناك من يحاول التلفيق بين العولمة وقيم الإسلام، وهى محاولات لتضييع وقت الأمة وعزلها عن سياقها، وإلغاء ذاتيتها بالاستعاضة عن كل تراثنا بمفاهيم لا تؤمن بوجوب عبادة الله واتباع الوحى والاستعداد للآخرة، فالكون فى نظرهم قد خلق لا لعباده الله، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذات وشهوات، فالعمر فرصة قصيرة ولا ينبغى إضاعتها، والشهرة والمجد والجمال والمال هى أمانى تحمل لب السعادة.

والنتيجة من كل أولئك إنزال راية الإسلام من عليائها ولو كانت لا تزال خفاقة.

ثالثاً : اختراق المجتمع المسلم بأسوأ ما فى المدنية الغربية :

نعم أن الغرب هو موئل الاختراع والمعجزات والمنجزات وقد ارتقت حضارته وعلا شأنها، ولكن هذه الحضارة العملاقة لها شقها السلبى، فظهرت فى ساحتنا آثام لم تكن من قبل تجوس خلال الديار دون أن تجد من يردها على أعقابها.

لقد تسللت إلينا روح الإشباع، هدف التنمية المنشودة فى الغرب، وحين تهيمن تلك القيمة فإنها تضرب تلقائياً كل معانى القناعة والإيثار بل يصبح الحديث عن ذلك غير مرغوب فيه، مع أن رصيدنا فى القيم يحصد الجوائز، من المروءة والتضحية والبذل والفداء والتراحم والورع وجبر الخاطر، درجات عالية من السمو الإنسانى الذى يتجه نحو الآخر، أخاءً ورحمة، اليوم انتشار أندية القمار فى العواصم العربية التى تجر ورائها أرتالاً من الوباء الخلقى والذى بدأ بالأجانب وانتهت بأصحاب الديار، وكانت تلك النوادى أكبر من القمار حيث تكون متجراً للخمور، ومن بعدها المتاجرة فى الرقيق الأبيض وينتهى كل أولئك بافتقار الديار وبيع للعقار.

رابعاً : تعطيل جوانب الإبداع :

فقومنا عفا الله عنهم، يستجلبوا أدوات الزينة قبل أن يســتجلبوا مقومات الحياة والحضارة الحقة، ويعرضــون لنــا تســريحة المــرأة الأوروبية قبل أن يعرضوا ألوان الآداب والمعارف التى حصلتها المرأة هناك، فرفعت قدرها فى أعين الناظرين.

تلك هى ضريبة المحاكاة والتبعية، شعوب لا منهج لها، تستهلك حضارة الآخرين ذلك هو قدر المقلدين، فالمحاكاة فى غيــر منجــزات الغرب تخلق مجتمعاً ذا خيال مريض، مصاب بازدواج الرؤية، مرض يفقد حاسة التمييز بين المحاسن والمساوئ، فالتقليد المرذول يغلق منافذ المعرفة ويعطل جوانب الإبداع ولا يعود معه الشاردون فى التيه إلــى السواء.

توقفنا عند محطة التغريب لا التحديث :

لقد كانت الضربة فى مقتل حقاً، فقد أجاء بنا التقليد إلى العجــز والإحساس بالمهانة، حتى أن البعض قد تقول علينا الأقاويل بأننا أناس ليس أمامهم إلا الانتحار أو الاندحار والاندماج فى الحضارة الغربية، بعد أن كان العالم الإسلامى فى طليعة الحضارة الإنسانية فى حين أن مــن كانوا وراء تخومه هم البرابرة والكفار، فكان الإسلام قرين الحضــارة، خذ ما يؤكد هذا، كتاب جديد صدر عام ٢٠٠٢م للمفكر الغربى "برنارد لويس" بعنوان ما الخطأ ؟ تأثير الغرب واستجابة الشرق. فيقــول بــأن استجابة العالم الإسلامى للتأثر الغربى وقفت عند حدود التغريب، تحت إغواء تغريب الملبس والمأكل والموسيقى والفنون. فــى حــين أن دولاً كشرق آسيا استمدت تحديثها من الغرب وأفلتت من قبضة التغريب.

لقد تبنت دولنا مثلاً نماذج اشتراكية مستوردة صرنا نتشدق بها حيناً من الدهر، فحولت بعض أممنا إلى نظم فاشية أو نازية قمعية أحياناً، وبعد أن كنا خطوة إلى الأمام صرنا خطوتين إلى الخلف.

خامساً : الحرج أمام الوفود الأجنبية:

ما هو الإسلام فى مظهره ومخبره فى دياره ؟ تلك بغية السائح فى ديار المسلمين.

يفد إلينا الأجانب من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم فديارنا كلها خيرات حسان، يطمع السائح دائماً فى أن يجد المزيد والجديد بما لم يألفه فى بلاده.

ولكن سائح الغرب إذا وفد إلى بلاد الشرق ليجدها صورة لما ألف فى بلاده، فإنه يقلب كفيه على ما أنفق فى رحلته، وكم يزدرى المقلدين ويبطن لهم الاتهام باضمحلال الشخصية والتبعية حين يرى سلوكنا كسلوكهم وأزياءنا كأزيائهم ونساءنا على شاكلتهم، ملابسهن تجسد العورات، ملامح المرأة الشرقية قد توارت، كم يسر الندامة حين يجد بلادنا صورة للغرب، وكم يقللنا ذلك فى أعينهم، مع أنهم قد قرأوا وسمعوا عن أعراف طيبة ودين القيمة وإشرافات روحية أفلست فى توفيرها لهم الحضارة الغربية، كم يتحسر حين يجد عمارتنا نموذجاً لعمارتهم، حين يرى أماكن للخنا فى بلاد إسلامية، حتى مطعوماتنا، حين يرى قوانيننا كقوانينهم وفنون الرقص عندنا أخاذة، وبالجملة فإنه لن يتردد فى إدراجنا فى قائمة الذين فقدوا الهوية وصاروا تبعاً للأسياد.

واهتمام المرأة العربية بالموضات الغربية وحرصها على التقليد، لا تستسغية السائحات الغربيات اللائى يحضرن لزيارتنا، أفصحت عن ذلك صحفية إنكليزية زارت مصر أخيراً، وكتبت مقالاً فى مجلاتها تقول فيه: "لقد صدمت جداً بمجرد نزولى أرض المطار كنت أتصور أننى سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة، ولا أقصد بهذه المرأة التى ترتدى الحجاب والحبره، وإنما المرأة الشرقية المتحضرة التى ترتدى الأزياء العملية التى تتسم بالشرق وتتصرف بطريقة شرقية، فالأزياء هى نفسها بالحرف الواحد، وتسريحة الشعر هى نفسها، والمكياج هو نفسه، حتى طريقة الكلام والمشية، وفى بعض الأحيان إما الفرنسية أو الإنكليزية[1].

ماذا تجيب المرأة العربية الكاسية العارية على السائحة الأجنبية حين تسألها عن زى قومها، لا جواب سوى التلعثم والخزى، كم ألقى التقليد أضواءً باهتة على تراثنا ومجدنا، فإذا لم يجد السائح بغيته من رحلته فلن يعود إلى بلادنا مرة أخرى، لقد جاء يبحث عن الجواهر الكامنة فى بلادنا، فإذا به يجد الذهب قد ذهب وذهبت معه الخصوصية الحضارية بثمن بخس.

سادساً : تآكل حضارى حتى فى مجال الفنون

مرحباً بالفن والمبدعين فى كل واد، نستقبله بالورود والأحضان، فهو من سمات الحضارة والارتقاء ولا يجحد ذلك إلا مريض الجمود الفكرى، ومن هنا كان للفن الإسلامى دولته ومكانته لأنه كان محوطاً

(١) سيد سابق فقه السنة ص ٤٦

بسياج الدين، ولكن التقليد الذى دب فى هذا المجال نال من خصوصيتنا وما كان ينبغى .

فالغناء العربى : أصابه التقليد (والتنطيط)، فقد طفا على السطح طوابير المبدعين بزعمهم، وصار الشباب همهم الرقص والنقص، بعدما أسكرتهم الموسيقى الصاخبة فقهوا فيها أو لم يفقهوا.

وطغى المدعون على المبدعين وصارت الأغنية العربية صراخاً وصخباً وكلاماً يفسد الذوق، والآلات الموسيقية التـــى أنتجـــت تراثنـــا صارت مهددة بالهجران، وصار الفنانون يشكون بعضهم بعضاً لأن من شيعتهم من وقع فريسة تقليد الأجانب[1].

ولقد وصل الفن لدينا إلى طريق مسدود أو قل فقد رسالته، فمـــا يحدث الآن لا يمت من قريب أو بعيد إلى الفن إنما هو فى الغالب عرى وابتذال وترويج للإباحية، والأسوأ أننا قد نقلنا رؤية الغـــرب لمســـألة الجنس وتصوره عنها دون أن نـــدرى بطبـــائع مجتمعاتنـــا، ويجـــأر المنصفون منا اليوم لضبط ما يقدم باسم الفن وعرض كـــل عطـــاءات الحضارة الغربية فى شقها السلوكى على مبادئ الإسلام، فمـــا وافقهـــا قبلناه وإلا رجمناه.

أعمال فنية بالغة الهبوط تعرض على شبابنا بالغداة والعشى نتاج الاجتراء على الفواحش واستباحة الحرمات وتفشى الفـــراغ العقائـــدى والتفسخ الخلقى الذى انحدر إليه أصحاب الاختراع والابتكار، وقد أعان على ذلك الاستخدام السيئ لأجهزة الفيديو التى يقبـــل علـــى اقتنائهـــا المترفون، وهو ما يعجل بالفسق المبكر لأبنائهم، وأعمال يقال أنها فنية

(١) جريدة الأنباء الكويتية فى ١٩٩٨/٤/١٩م، الأهرام القاهرية فى ٢٠٠٣/٦/٦ الأغنية بين الفخ التجارى وآلية القنوات الفضائية.

وهى تحط من قدر المرأة وتجعلها فريسة للرجل ولا ضير أن يــنقض عليها إن لم تسلم نفسها له بالمداعبة أو الرضا.

أما الوجه الوضاء للحضارة الغربية فإن تجار الثقافة عندنا عنه عازفون، فهم فقط مولعون بالسفالة الجميلة وشهادة الزور .

ليكن معلوماً بالضرورة أن الإسلام لا يحرم الفن وإنمـــا يحـــرم الرذيلة، فالفن الملتزم ينمى المشاعر الإنسانية ويحضنا على المحاسن – أما أن تتحول المرأة المسلمة فى محراب الفنون مثلاً إلى صديق لرجل أجنبى أو عشيقة وخادمة لـــه تحت شعار الحب والهيام، وتتفشى عندنا الغواية فأين الشرف والعفاف والعرض المصون الذى يسجله الغرب لنا ويود أن ينقله إلى رحابه؟! لقد خلت الفاحشة من بلادنا قرونـــاً طويلـــة رغم انتشارها فى المجتمع الغربى بشكل طبيعى، فهل تعود إلينـــا مـــع أنباء رذائل الحضارة الغربية المرموقة ؟.

والشعر والنحت والتمثيل والموسيقى وغيرها من الفنون الراقية لا يعاديها ديننا طالما تجردت مما يسئ إلى العقيدة، فقد مـــارس أبنـــاء الإسلام كافة الفنون فى تعبيرها عن النفس البشرية وأبدع بنوه أشـــكال متنوعة من الشعر والموسيقى والتصوير والنحت والرســـم والعمـــارة، وكان ذلك أبلغ تعبير عن هوية وذاتية عريقة عريضـــة اتســـعت لكـــل الخصوصيات الحضارية، للأجناس والأمم التى دخلـــت فـــى ديـــن الله وتباركت بسننه، والإسلام لم يمنع الصورة وإنما منع عبـــادة الصـــورة ومنع تقديسها ولا يحرم السينما والفيديو طالما كانت النية فى استخدامها خيراً، فقيمتها فى استراتيجيتها الفكرية والتربوية والثقافية التى تتركهـــا وترسم لها إطار عملها[1].

---

(١) اللواء الإسلامى، ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٩٢م.

إن الفن ليس عيباً، وإنما هو أمر وعلم مفيد للناس إذا كان الفن المبسوط لنا هادفاً يحمل رسالة مضمونها أن نرتقى بالحياة إلى الأفضل، وهو يكون كذلك إذا لم يتعارض مع القيم وحث على الفضيلة والطهر وأسهم فى حل المشكلات وميز الخبيث من الطيب.

سابعاً : نعم للتواصل الثقافى لا للانصهار:

ذلك أن المحاكاة فى الظاهر تؤدى إلى المحاكاة فى الباطن ولو بعد حين، فالتقليد صلة روحية بين المقلِد والمقلَد، وواسطة انتقال لمعتقداته وأفكاره و"أيديولوجياته" إليه، إما بشكل مباشر وعنيف ودفعة واحدة، كما حدث فى تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك، وإما بشكل تدريجى سريع أو بطيئ كما يحدث فى كل زمان ومكان بين كل مقلِد ومقلَد.

إن التواصل الثقافى بين الشعوب مطلوب، ولكن الانصهار فى بوتقة الآخرين عار ومذلة حيث ينخلع النشئ من ذاته وينسلخ من سلوك دينه ليهبط من عليائه إلى دنيا السفالة الجميلة، التى تسلب حسهم وحماسهم وأول الضحايا هم طالبات الجامعات، سيما الذى يملكون الفضائيات، فدلت المقابلات الميدانية على أنهم قد أصيبوا بتأخير واجباتهم الدينية والأسرية والعلمية، كما زاد الشعور بالشتات، وصار الاهتمام أكثر بالمظهر دون الجوهر والديكورات وأنواع السيارات، صرنا متأزمات سلوكياً ونفسياً، فلا مانع من الاقتداء بالعلاقات الاجتماعية التى نشاهدها فى هذه الأفلام، ويتمنى البعض أن يمارس

حياته كما تمارس تلك المجتمعات الغربية، حيث تستحوذ فكرهم ولـــبهم أوهام السينما والأوضاع الإباحية الغربية، والخيانات الزوجية التى تقوم لهم كزاد فكرى أو ثقافى، فى ألوان من التطرف الخلاب الذى يعــرض الانحلال الغربى فى بهاء يأخذ بالألباب ويلبس العهــر أثــواب العــز، ويكسو الرذائل بهالات الزخرف، ويصبح هذا غذاءً يوميــاً وشـــهوة لا تقاوم، اعتادها المشاهد العربى للسلوك الأجنبى، وهو مــا يســـتدرجهم للتطرف اللادينى نتيجة بريق النموذج الغربى، ووأسفاه فـــى جوانبـــه المستهجنة(١)

(١) د. مصطفى محمود، الأهرام فى ١٩٩٢/٤/١١م

الفرع الثالث

الخطر على الذاتية الإسلامية

(أجيال مأزومة أو مهزومة)

وسوف نستعرض ذلك من خلال ما يلى :

أولاً : تجريف الهوية الإسلامية :

تغيرات جذرية تطرأ على الذات الإسلامية، يقـدمها تضـاءل النظرة إلى القيم والسلوكيات والشمائل الطيبة التى يتسم بها فتى العرب، وران علينا اتجاه محموم لتحصيل المادة والتحصن بها، وهو ما يخلـق أجيالاً فقيرة فى النبل، ضعيفة فى حسها الوجدانى وسلوكها الدينى .

هى خلاصة حرب كامنة على الأمة، لم تعد تستهدف نظام حكم أو ثروات أو موقعاً جغرافياً، وإنما تستهدف الذات الإسلامية لاحتناكها وافتراسها، لقد استقدم التقليد فنوناً من تقاليد المتنصرين فـى الشـرق والغرب، تجرنا –واسفاه– إلى بوتقة المدنية الغربية فى سـلبياتها دون إيجابياتها، وتصفية كياننا وجعلنا هزيلاً يجر عن طريق ربطنا أجيالنـا الصاعدة بمفاهيم تطمس المعالم الإسلامية وتخلق أجيال لا إلى هـؤلاء ولا إلى هؤلاء، منبته عن أعرافنا نابية عن عقيدتها وأخلاق أمتها حتى يصل الأمر بهم إلى الذوبان.

والباحثون أبدوا مخاوفهم من أن الطـلاب العـرب بالمـدارس الأجنبية وفى الجامعة الأمريكية يخلعون رداء الهوية العربيـة قبـل أن تطأ أقدامهم تلك المعاهد، مع أنها أهلت لتعليم الجاليات الأجنبية وربطهم بوطنهم، فهل يؤدى ذلك النوع من التعليم إلى التعتيم على ثقافتنا وقيمنا عندما يركز على التعليم باللغة الأجنبية من الحضانة حتى الجامعة[1].

---

(١) الأهرام الاقتصادى ٧ أغسطس عام ٢٠٠٠م

إن ثروة الأمم الحقيقية هم أبناؤها، وإذا تحولوا إلى غرباء فـــى أوطانهم فتلك حالة من الانفصام الوجدانى عن أممهم، والغربة النفســية التى تتصارع مع قانون الولاء لأوطانهم، ولذلك تتســابق الـــدول فـــى محاولة إبراز الملامح القومية، فتطرح الكئوس والجوائز للحفاظ علـــى الأصالة خشية التغرير والتغيير ببدائل أجنبية.

لقد أصبحت مناهجنا التربوية تستشهد بفرويـــد وتتـــرك "ابـــن خلدون" وتركت مؤلفات الغرب المدرسية بصماتها فى العقـــول التـــى أشربت بحبها، وأصبح الشـــعور بالدونيـــة تجـــاه الغـــرب موضـــوع الموضوعات.

أخطار بالجملة :

من أخطر أمراض الواقع الإسلامى الراهن هو خلق أجيال لاهية قلوبهم عما يراد بهم، فقد أنتج الخواء الثقافى الضارب أطنابه فى البيت الإسلامى أجيالاً يمشون فى سراديب الحضارة المعاصرة كمـــا تمشـــى الفئران فى الظلام لا ترمق إلا الفضلات، وهو ما أدى إلى تسرب أفكار الأجانب وسلوكياتهم فى المساوئ دون المحاسن، وليس هـــذا دأبنـــا أو أدبنا، وحتى النخبة المثقفة والذين نصبوا أنفسهم أولياء مرشدين علـــى هذه الأمة كان حظهم فى الفقه قليل، وللدلالة على الأمية الدينيـــة التـــى أصيب بها هؤلاء أسأل من شئت منهم عن صلاة الوتر أو الاستخارة أو حتى عن الشهور العربية ما هى، أو ترتيبها، تجدهم وكأنهم من العجـــم وليسوا من العرب!!.

ويرصد لنا شيخ التربويون الدكتور حامد عمار أن شخصية الفهلوى والهباش التى استشرت عندنا فى مجتمعنا هى من أخطر الظواهر السلوكية التى تمثل اعتداءً صارخاً على ثروتنا الفكرية وموروثاتنا السلوكية والقيمية[1].

إن التقليد لا يكون إلغاء لشخصية فحسب، ولكنه يكون قتلاً للإنسانية فى الإنسان، وإنهاءً لوجوده بيده، وتحطيماً لمبدأ تكريمه الإلهى، ونزولاً إلى درك العجماوات التى يقود قطيعها واحد منها، فيسقط القطيع كله متتابعاً إن سقط ذلك الواحد، ويستمر مستقيماً فى سيره إن استقام، ولأجل ذلك شنَّع الله على المقلدين لآبائهم بلا علم ولا بصيرة ولا هدى، وكذلك الذين لا يعملون عقولهم فى مثل قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف:٢٢-٢٤]

فخطورة التقليد الأعمى فى المرذول من السلوك فى كون المقلد يظن أنه مهتد وهو ضال، ويرى نفسه على حق وهو مرتكس فى حمأة الباطل، مقارن للترف، بل هو إحدى نتائجه الحتمية المريرة .

وخطر آخر للهزيمة هو استخفافه بدينه واحتقاره لـه، متصوراً أنه سبب ضعفه وعجزه وغلبة الغرب لـه وانتصاره عليه، فيؤدى هذا إلى انسلاخ مقنع منه، لا بل وثورته عليه!! [2].

---

(١) الأهرام فى ٢٠/٢/٢٠٠١م.
(٢) عبد الله الشبانة ص ١٥٦.

جيل إمعة ومزيد من كم التفاهة :

هل يليق بأحفاد الأسلاف الصالحين، أن يتحول البنون والبنات إلى سوار فى معصم الغرب، فرحين بالقشور دون اللباب، فإذا رأيت ثم رأيت ترى قطعاناً من الشباب لا يوحى مظهرهم بأنهم أبناء العرب، قمصانهم وسراويلهم لا تمت إلى أمتنا بصلة، لباسهم وشعورهم المراسلة غير المهذبة التى لا تمت إلى حسن السمت الإسلامى، الذى يعكس أصالة المعدن وطيب الجوهر.

إن الجماهير العريضة الذين أصيبوا بالجدب الثقافى فاستهوتهم تقاليع الغرب غافلين عما يراد بهم، يلبسون على رؤوسهم إيشارب وفى آذانهم قرط كالنساء على غرار ما يجرى فى أوروبا، ناهيك عن السلاسل التى تطوق الأعناق، كم يسر الندامة وخاصة فى مجتمعات الاقتصاد الفقير، أمم ناشئة تريد أن تنهض فتتعثر، أرداهم التقليد فى المساوئ، وإذا دعاهم داعى الرقص يتأبطون بعضهم وتعلوهم السطحية الحمقاء فكل ما فعلوه هو استيعاب أفلام الشرق والغرب وأحداثها بذكاء وكذا المخرجين والمنتجين لها، وهو ما يصمهم بالتسطيح الفكرى [1].

نعم هو تقدم فى عرف الغاوين، خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف، وتقدم يأباه ديننا الحنيف الذى يقوم على ثقافة بناءه لا ثقافة الفيشار ثقافة ينبوعها قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد، فذلك هو الرقى الحقيقى، هل يقتاد شبابنا إلى ساحة القضاء بتهمة محاولة تقويض البناء الشامخ المجيد، هل يسجل التاريخ فى صفحاته التى لا تعرف التدليل أنهم تحولوا إلى جيل أشبه بعصف مأكول.

---

(١) يسرى عبد المحسن، السم فى العسل، الأهرام فى ٢٠٠/١٢/٢م.

نعوذ بالله أن ينطبق على أجيالنا قول ربنا ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]

فتقليد الأجانب يحسبه البسطاء مجرد محاكاه لتقاليع وافدة، فى حين أنه مظهر للضياع الدينى، ويخشى عقلاء الأمة أن يصل السكين إلى العظم، ويتحول المجتمع حينئذ إلى خليط من المضحكات والمبكيات.

إن إعصار التغريب الذى يلف مجتمعاتنا قد طال ألسنة الناس، وأنماط حياتهم وسلوكهم، فى غيبة نموذج المجتمع المسلم، ألا يشكل هذا قلقاً على الحاضر والمستقبل سيما مع الحرص الشديد على التردد على بلاد الغرب، والشعور الذى يغمر الذاهب إلى هناك، مع إحساس ملازم بعجزنا عن اللحاق[1].

هل يكون نصيب الذات الإسلامية أن نرضى من الغنيمة بالإياب ويصبح انبهارها بالأجانب فى سلبياتهم مجرد انخداع بسلوكياتهم ولا صلة لها البتة بأى تقدم أو تقنية، كم يصلّب أبناؤنا بالازدواجية لا بل وأزمات نفسية وهزائم حقيقية تمارس باسم الحرية المدنية، سيما مع ضعف السلطان الدينى، وإثارة الشبهات حول ديننا بأقلام دعاة اللادينية، مع العجز عن ردها بأسلوب عصرى، يفحم المردة، أليس انهزاماً حقيقياً لأجيالنا حيث يصبح محل اهتمامه بشعره ونعله وخصره على النمط الأوروبى، وحيث تتحول المسلمة كاسية عارية لابسة (للأسترتش) الذى يجسد عوراتها، (والخنفسة) فى مظهر الحدث، وصوت الديسكو الذى يحجب الآذان عن سماع نداء الرحمن، والرقص والقبلات والاختلاط،

---

(١) فهمى هويدى، الأهرام ٢٩ مايو، سنة ٢٠٠١م.

ألا يصاب أبناء السلاسل الذهبية حينئذ بالتسوس والهزيمة الروحية والنفسية، ويستفحل الشعور بالدونية ومسخ الشخصية فيصير أشبه بفتى أعجمى فى بلد عربى [1].

ثانياً : كثرة الغرقى فى مستنقع التقليد

١- شبابنا (كاجولوه) .. وأمركوه

شبح يطل عليهم كل حين فلا ينجو منه إلا من عصم الله تلك هى العولمة الطارقة، فملامح الغزو تدق على الأبواب فتحول اهتمامات الشباب وتمحورها فى القشور الخارجية، المظهر ووسائل رفاهيتهم

---

(١) **خيبة الأمل فى ستار أكاديمى :**

فقد جاء فى مجلة حواء تساؤل عن الاستقبال الدولى لنجوم "ستار أكاديمي" والذى بثته الفضائيات العربية ما يلى : "شوية عيال نكشة شعرها ورابطة إيشاربات على معاصمها كما الفتيات، صدمت من الدهشة وأنا أراهم شابات وشباب يرقصون ويقفزون فى الوقت الذى تقدم لنا شاشات الفضائيات وأيضاً المحليات شباب وأطفال العراق وفلسطين مطروحين على الأرض غارقين فى دمائهم .. وازدادت دهشتى وصدمتى وخيبة أملى فيهم وأنا أتابع فقرات حفلهم من خلال البث المباشر لا صوت ولا صورة ولا أداء فقد أساءوا للفن الجميل، أغانى زمان والجميل منها الآن بهذا الداء الضعيف على المسرح.. حزنت أكثر أن يشارك إعلامنا فى هذه الفضيحة، وكنت أتصور أن مثل هؤلاء الشباب يطوفون العالم من أجل طرح قضية السلام أو نبذ الحروب عن منطقة الشرق الأوسط وجمع التبرعات لصالح القتلى والأرامل وبناء المنازل المهدومة بدلاً من النط والقفز والهيافة التى شاهدناها على مدار يومين، يوم الوصول ويوم الحفل، وقد نجحوا فى استفزاز الناس فى هذا التوقيت الحساس".

مجلة حواء، ماجدة محمود، فى ٢٠٠٤/٥/٢٩م.

(٢) انظر مجلة كل الأسرة، ٩ أبريل ٢٠٠٣م.

سيما المراهقين، وكأن هناك شبكة خاصة مهمتها نشر الموبقات الغريبة، حتى قربت المسافة بينه وبين الآخر الغربى، من ذلك تسريحات غريبة للشعر واللحية كما أسلفنا بألوان مختلفة تتراوح بين الفاتح والداكن.

وذهبت الفتيات بدورها إلى تقليد ملكات الجمال العالميات فى اختيار لون الشعر وتسريحته وما إلى ذلك من سلوكيات.

ومما داهمنا ذلك الوشم الذى يضعونه حتى على القفا، وهناك أيضاً سيارات الموت الجماعى، موضة داهمت الشباب تحت تأثير التقليد الأعمى، لما يرونه فى أفلام الإثارة "الأكشن" وهو أمر مقصود لإستنزاف الشباب العربى، لأنه كلما مات شاب ماتت الأمة، فالأفضلية للغرب حتى فى سيئاته، بسبب استسهالنا للتقليد والشعور بالدونية واحتقار الثقافة المحلية، وهنا تكون العولمة أو الأمركة قد أصابت هدفها.

فلقد أصبح البنطلون الجينز هدفاً وأصبحت وجبة الهامبورجر حلماً حضارياً وأصبح أبناؤنا تبعاً لثقافة متعدية، ومراكز التسوق على ذلكم من الشاهدين.

٢- عنت الشاب بعد زواجه بالمتفرنجة :

نعم فهو شاب له جذوره الإيمانية، ولكن قد تستهويه فتاة متفرنجة برزت له مفاتنها، فأقبل عليها لتكون هى قرينته وشريكته. فإذا بها مصابة بجرثومة التفرنج والتقليد فتأتى بسلوكيات لا مرحباً بها كأن تستهويها حفلات "البارتى " فإذا به يضيق بها ذرعاً، وهو ما يهدد مصير الأسرة بالفشل أو التمزق الأسرى .

٣- والمدمنون الجدد غارقون للأذقان :

هم من أبناء المترفين والراقيين، أعمارهم من الثانية عشر حتى الثلاثين وهم جميعاً فى سلة واحدة، أجاء بهم الترف المتآخى مع فقر الثقافة الإسلامية، إلى عقار النشوة والشهوة أو ما يسمى "الاكستازى "، وهو مخدر مدمر موطنة أوروبا أو الغرب بوجه عام، يروجون له فى مجلات الديسكو، وتبدأ المأساة، ليقعوا فى براثن هذا المخدر، لينتهى بهم المطاف إلى غياهب السجون وتصدع الأسرة وزوال النعيم المقيم.

من سول لهم وأملى لهم، هو تقليد الغرب ولا نبرئه من الاتهام.

لقد جنت عليهم أيضاً النشأة الأولى والتى خلت أو خوت من الحصانة الفكرية التى تدرأ عنهم أشرار البرية[١].

٤- مطرباتنا من التغنى إلى التعرى ومن اللحن إلى اللحم [٢]

نقلة حضارية كبرى نصفق لها : مأساة تدور رحاها ويسقط ضحاياها على شاشات القنوات الفضائية العربية كل ليلة، تحاصر العرب من المحيط إلى الخليج بكل ألوان الفن الهابط والكم الهائل من المطربات شبه العاريات، حتى أننا قد نصبح بعد وقت قصير على شفا أعتاب العرى الكامل، فمن يقف وراء هذا الهجوم الضارى على أجيال هذه الأمة والتى يكاد يغرقها فى مستنقع قد لا تخرج منه أبداً.

نعم إن من حق الأجيال الجديدة أن يكون لها فنها وذوقها ولكن ليس على حساب الفن الأصيل المؤثر فى حياة الشعوب، فالفنان الأصيل صاحب رسالة أمجد.

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٢/١/٥م، ٢٠٠٢/١١/٩م

(٢) انظر: فاروق جويده، الأهرام فى ٢٠٠٣/٨/٨م.

لماذا يتحول المغنون فى العالم العربى إلى تجار يعرضون اللحم العربى، يبدين زينتهن ما ظهر منها وما استتر، وعلى شاشات الفضائيات لعله يعوض القصور الذي انتاب الكلمات والألحان والصوت الحسن، ليتداخل الغناء العربى مع الأجنبى، ما هى الأيدى الخفية التى تحركها أو تمولها وليغرق الشباب وليفسد الذوق وينكب المراهقون على مشاهدة الأجساد وسماع المطربات فقط، ولتجئ الأمة العربية كل ليلة تتعقب أوحال السفالة الجميلة بوجدانها أو تتلذذ بمشاهدة أجساد النساء وهى صاحبة التاريخ العريق والفن الأصيل.

هل هناك علاقة نسب أو مصاهرة بين التدنى الثقافى الكائن والسقوط السياسى والعسكرى وبين انهيار صرح الغناء فى العالم العربى بعد أن كدنا لا نفرق مطربة عربية وأختها الأجنبية ذات الأسوة الحسنة.

٥- التغرير سيما بالفتاة الخليجية :

كانت هى آخر القلاع الحصينة فى سلوكها المعتصم بكتاب ربها، فقد نجت بلادها من الغزو الاستعمارى والسلوكى، وقد أمدهم الله بمال ممدود ولكن لم يصحبه ثقافة إسلامية عاصمة من الشراك الخداعة، فتمردت على الأعراف ودخلت فى مستنقع السلوكية الوافدة حتى صارت تلبس زياً لا يناسب قدها وقوامها وقومها.

ولا مانع فى بعض البلاد العربية اليوم أن تراقص الشباب فى حفلات الترفيه، وبالجملة أصابها بدورها ازدواج فى المعيار وشعور بالدونية، ابتداء من شعرها إلى نعلها سيما إذا كتب لها أن تسافر خارج بلادها، فسرعان ما تتمرد على ردائها مع ما فيه من حسن سمتها ومظهر دينها.

ثالثاً: الوقوع فى التيه الثقافى :

نعم شكلت عقولهم فى مناخ غريب فأصبحوا لا يرون ألا ما يرى الغرب وأشربوا فى قلوبهم حبه بما له وما عليه، وهم فى ازدياد مضطرد، ثلة من اليساريين واللادينيين، العداء للإسلام منهجهم، مع أنهم ينعمون فى ربوعه، ديدنهم الترويج لقضايا المرأة وإدعاء نصرتها، مع أنها آمنة مطمئنة، وامرأة الغرب هى الأحوج إلى النصرة، هم يدعون إلى الإسلام ومع ذلك يتربصون بأهله الدوائر ويقعدون لهم بكل صراط سيما رجال الدين، وحقيقة هؤلاء أنهم أقرب إلى السماسرة للغرب من أبناء الوطن، ومع ذلك تنفتح لهم الأبواب فى أماكن الصدارة ويسعون سعياً حثيثاً لجمع صفوفهم وشتاتهم ليكونوا أكثر نفيراً فى البلاد العربية سيما التى اكتوت بنار الغزو الفكرى، ويطلقون سحابات كثيفة من الدخان للتمويه والتضليل، ولا يتقيدون بقواعد المنطق وآداب المناظرة، يطوعون أفكارهم للتواءم مع المجتمع، ويسوقون الأدلة فى غير موضعها، وقد نجم عن ذلك أمرين :

مثقفون للبيع :

أحياناً يحملون أعلى الشهادات ويتبوأون مقاعد القدوة والصفوة فى أممهم، ولكنهم فقدوا الاعتداد بالحس القومى أو الدينى، ترى كثيراً منهم يتغافلون سهواً أو عمداً عن البون الشاسع بين منظومة القيم الإسلامية والغربية، فقيمنا هى خلاصة ما أوتى النبيون من ربهم أما عندهم فهى مما عملت أيديهم، فكانت النتيجة أن التيارات الوافدة صارت تجرفهم كالسيل المنهمر فإذا عصفت به الريح تحول إلى ليبرالى عنيد، وبعد فترة قد يتحول إلى داعية للرأسمالية، يستخفون بقومهم المسلمين

يجوبون بين المذاهب ويطوفون ودعواهم التقدم كما تقدم الغرب، فكثير منهم في البقاع همهم أن ينتقدوا أركان الإسلام وأن يجادلوا في البديهيات، وأن يخطئوا دون حرج باسم حرية الرأى لإهدار شريعة الصوم، وتذهب عصابة حرية الرأى كما يسميها الشيخ الغزالى إلى التحريض على إباحة العلاقات الجنسية بين تلاميذ المدارس كما في السويد، حين حملت تلميذتان كل منهما من زميل لها في المدرسة، ولم تر الحكومة هنالك بدعاً من الأمر. وهناك من يشجع المرأة اليوم على ارتداء المايوه كأنه أصبح حقيقة أكبر من هيئة كبار العلماء وتلك أمانيهم، بانكسار شوكة الإسلام، وهذا من ثمرات الاحتلال الأجنبي أو الغزو الثقافى، فصارت تحاك المؤامرات ضد الشرق والحياة والحشمة والعضمة (1).

تشوش المثقف العربى بسلبيات الفكر الغربى واختلال المنظومة الفكرية سيما لدى الشباب :

المثقف العربى صار يجتز أحياناً أفكاراً من نحاس مطلية بالذهب، تموج بزخرف القول غروراً تصيب عقولهم وحسهم لتتركهم أسارى فى سرادق الانبهار والتقليد، عروس اليوم مثلاً ثقافتها إنجليزية أو فرنسية دون أن تدرى فحوى هذه العبارة وما تحمله من تبعية ودونية لغير قومها، والمساواة بين الجنسين أمنية الأمانى، وقد أعملت ذلك بعض الدول الإسلامية فى الميراث، وتلك فتاة عادت من الغرب من رحلتها الدراسية، شرقه الشيوعى أو غربه الصليبى لتتنكر للسلطة الأبوية والأدبية، ترى فيها انتقاصاً للمرأة.

---

(1) محمد الغزالى، ظلام من الغرب، ص ١٤٩، وما بعدها.

والمرأة المثقفة صارت تستميت فى الدفاع عن العمل أكبر من دفاعها عن الأسرة التى أهلت لها، نعم لا جناح عليها إذا اضطرت للقمة العيش، أما أن يتحول العمل إلى سوق أغلبه من النساء لينقسم عقل حواء بين البيت والعمل، فكم تصاب بالتشتت الذهنى، أما الضحية فهم أطفال المفاتيح، الذين يحضرون إلى المنزل قبل حضور الوالدين من عملهم ومعهم نسخة من المفاتيح.

فأطفال المفاتيح نتاجُ أم تخلت أو أب مشغول، الأم تاركة دورها لمعاقل الحضانة لتنتكس الراية فى ميدان الأمومة، ومرحباً بالتمرد والعقوق والفسق المبكر وقرناء السوء وضياع مستقبل الأم والأمة.

والاختلاط بين الفتى والفتاة صداقة بريئة وتَحَضُّر، والمدنية فى التبرج، والمرأة لا تثير غريزة الرجل تلك الكاسية العارية، وإذا شئنا التقدم كالغرب فحضارته بخيرها وشرها دستورنا.

اسألوا ديار المدنية الغربية عن حفلات الرقص مع النساء ومحاصرتهن، العين فى العين والوجه فى الوجه والصدر فى الصدر، والشفاه أمام الشفاه والعينان واليدان، فهل الكاسية العارية لا تثير غريزة الرجل وتحرك كوامنه؟ وهل الاعتياد على قضاء الشهوة أصبح من الفضائل، كم ينال الرجال الأجانب شهواتهم من الأخريات والتى تبدأ باللمس والهمس وتنهتى بالإجهاض وأولاد الحرام.

والديموقراطية الغربية عندهم هى أمثل نظم الحكم، أما النظام الإسلامى فهو لا يليق بالعصر، فشريعة قطع يد السارق ظالمة، والعقوبات الشرعية وحشية وتتنافى مع الإنسانية، أما إبادة الملايين بمبيدات الأمم فنعماً هى، والعربدة والخنا عمل لا ضير فيه فهو أجمل الحريات، بينما العفاف والطهر قيم بالية!!.

والعقلانية كذلك تعبير غربى يقصد به تنحية الدين جانباً، وهـو تعبير كذاب أخاذ، فأى عقل نتبعه عقل الرجل أم عقل المـرأة، عقـل الشاب أم الشيخ المؤمن أم المسيء، عقل الفيلسوف أم الأحمـق، عقـل العالم أم الجاهل، العازب أم المتزوج، الصغير أم الكبير، عقل الأب أو الابن؟.

والماركسية التى تعتمد على عبادة المادة وهدم الـدين بالكليـة تغرى بنينا بالفساد قائلة: أن الدين أفيون الشعوب، مخدر لها، يحجـب عنها همومها، فهل الإسلام مخدر لشعوبه، حتى نأخذ مـن الحضـارة الغربية خيرها وشرها فدعواهم تلك داحضة، فالتقدم العلمى لا يشـجع على السلوكيات الهابطة والتى تعيش بسببها الحضارة الغربية فى مأزق حقيقى أقله الضياع الدينى وهضم حقوق الإنسان. إن التقدم العلمى ليس من لوازمه السلوكيات المرذولة، فاليابان اليوم فى أوج مجدها ولم تبدل سلوكيات أهلها، والتقدم التكنولوجى فى الغرب لم يأت غداة أن كشـفت المرأة عن ساقيها، ولو أن النساء صرن كلهن كاسيات عاريـات فهـل يكون قد أذن مؤذن بدخول دولة فى باحة المجد وساحة الحضارة ؟!.

المتبجحون بعداوتهم للزى الإسلامى [1]:

من حق كل إنسان الظهور بهويته القومية والدينية وليس هنـاك سند أو مبرر لأن يفرض الآخرون على الآخرين زياً يتشـابهون فيـه، وليس من حق أى حضارة أو مدنية بعينها أن تنازع الناس حرية اختيار ما يشاءون. إلى هذا التدنى صار الاحتشام مؤذياً أو مقززاً للآخـرين،

(١) الأهرام فى يوم ٢٠٠٣/٣/٧م.

لماذا تتمتع نساء الثقافات المختلفة بهذا الحق فى حين تنكره على المرأة المسلمة، أليس الزى حق من حقوق الإنسان لا يمارى فيه إلا مكـابر، لماذا لم ينكر أهل الشرق على الراهبة زيها، لا بل هـم يمعنـون فـى إجلالها وتبجلها بسبب زيها المحتشم المتألق، بل إن الإنجيل يقول "ولما رأت ملاك الرب أرخت حجابها" نعم لكل مجتمع أعرافه النابعـة مـن ثقافاته، ونستطيع أن نميز بين الشعوب بمجرد النظر إلى الزى سـيما زى المرأة، والمرأة المسلمة أولى بهذا، ولكنه أكبر فى صدورهم، إن ما يحدث من عدوان وعداء متكرر ومتجذر للزى الإسـلامى فـى بـلاد المسلمين هو نقيصة خُلقية ولم تقل به شريعة أرضية أو سماوية.

ونفر من جهابذة القانون أسارى فى شباك الغرب

رجال القانون على اختلاف مواقعهم أساتذة فضـلاء ونـابهون أجلاء، بيدهم مقاليد الأمور فى أوطانهم وهم غالباً ما يجمعـون بـين سلطة التقرير والتقنين، منهم من أدركته الصحوة الإسـلامية فأضـحى معتزاً بديانته فى مؤلفاته، ومنهم دون ذلك ممن استحوذ الانبهار علـى عقولهم، فأمسى مفتوناً بالثقافة الغربية فى مجال القوانين الجنائية مع أن جذورها ضاربة فى تربة لا دينية، شريعتنا عذب فرات سائغ شـرابه، وهى أنكى وأنقى .

إن أهل الثقافة القانونية الراقية يعلمون علم اليقين أن الشـريعة الإسلامية ما عاش تحت ظلالها مغبون، وأن القوانين الغربية انكشـفت عوراتها فى مجال الأخلاقيات والسلوكيات، وعطلت عندنا نصوصاً من قوانين السماء وستظل غريبة على أحاسيسنا مهما طال عليهـا الأمـد،

فهى كالجسم الغريب الذى ينتظر الاستئصال، إن الوهج الـذى أعمـى كثيراً من العيون أيام سطوة الاستعمار لم يعد يحجـب اليـوم سـلبيات الحضارة الغازية والتى بدأت تظهر حتى فى عقر دارها، وباتت تعانى منها شعوبها، لاجترائهم على القيم وارتكابهم لما نهوا عنه، فتـدهورت أخلاق النساء والولدان وحلت الشذوذات المسلكية التى تقود إلى إفنـاء البشرية، وهو ما جعل كثيراً من عقلائهم يتلاومون، ويبحثون عن شرع جديد يخلصهم من الموبقات التى اقترنت بالمعجزات.

لقد حققت اليابان تقدماً مذهلاً وهائلاً رغم تمسك أهلهـا بـدين خرافى وأعرضت عن اقتباس تشريعات الغرب بعـدما أذاقهـا لبـاس الجوع والخوف فى الحرب العالمية.

إن التقدم ليس من لوازمه الاستيراد القانونى، فما بالنا إذا كانت سلوكياتنا قد مكنت لنا فى الأرض قروناً طويلة، وأقامت حضارة باسقة لها طلع نضيد، وخلفت لنا وللعالم أعظم تراث إنسانى وحضارة تـؤتى أكلها كل حين.

فتشريعاتنا بحورها زاخرة جمعت فأوعت، فيها الجواب الكـافى لمن سأل عن الدواء الشافى لعللنا، وهى براء من النقـائص الإنسـانية التى تحتويها التشريعات الوضعية التى هى من صنع البشر.

إن القوانين الوضعية المستوردة على قلتها قد أظهرت إفلاسـها فى مجالات الرشد الأخلاقى، فكثر العتاة وغلظ المجرمون وظهر الفساد فى البر والبحر، ولو أن أستاذاً فى القانون الجنائى سطا عليه لص ملثم فاجر وغادر فجرده من ماله وثيابه وجميع أهله وأذاقهم لباس الخـوف والإرهاب فإنه لن يطالب بتطبيق العقوبة المستوردة من بلاد الأجانـب

وإنما سيجأر قائلاً خذوه فغلوه، بل اقتلوه، ولو أن ذئباً بشرياً هتك عرض عزيزة لدية أو كريمته فلن يرضى إلا بضرب الرقاب، ولن يتمسك بعصم الكوافر، بالقوانين التى يكون قد وضعها، وصدق العزيز الحكيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

إنه لا تثريب علينا من اقتباس أى قانون أجنبى طالما لا يصادم نصاً مكتوباً أو حداً محدوداً أو يخالف روح الشريعة الغراء بجلاء.

إن مرضى الأسر الثقافى فى مجال قانون الجزاء يخيل إليهم أن التشريع الغربى قد وصل إلى منتهاه بتقعيد القواعد وتفريغ الفروع إلى درجة لم يصل إليها التشريع الإسلامى، وهم معذورون فى هذا الوهم لأن أمامهم تشريع يحيه التطبيق المتجدد وتصله بواقع مجتمعهم عوامل شتى، أما التشريع الإسلامى فهو كنوز ثمينة مدفونة تحت الثرى وهى أنفس من المعدن النفيس.

والحقيقة أن الفقه الإسلامى بلغ فى العصور الأولى شأوه ومجده ويضارع ما بلغه التشريع الحديث فى أزهى مواطنه اليوم لا بل يتفوق عليه؛ فهو يقوم على أصول من وحى السماء فينطلق فى مجراه الممهد لحلول مشاكل البشرية، ولذلك فهو يصلح للتطبيق فى كل عصر ومصر

إن الدارسين فى الشرق والغرب يبحثون فى عالم الشرائع اليوم عن مخرج لعللهم، بعد إفلاس شرائعهم، وشريعتنا فيها رحمة للعالمين لو عرضناها على يد علماء كرام برره كما ينبغى لجلالها.

إلى متى يتحمل واقعنا المريض كيد الأعداء وعجز الأبناء، نحن لسنا بصدد مقاولات وإنما سلوكيات وأحاسيس. ذروا ما بقى من الاقتباس غير الممدوح، تلك الفئة القليلة من التشريعات الوافدة التى تتصل بمكارم الأخلاق، وما كان ينبغى أن تبقى أكثر مما بقيت، ويومئذ يفرح المؤمنون .

إن بلداً كإنجلترا ترفض بإباء أن تُحْكَم بشريعة المسلمين، فهل يظل المسلمون محكمون بشريعتهم وقد رحلوا عنا، كم هو أضحك وأبكى، فَلِمَ نأتى بضرائر للحسناء ؟ .

إن المتعصبين للقوانين الوضعية ما نحسب عامتهم على دين كما يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابة "الحق المر"، والمرء أحياناً قد يتعصب لخير موهوم وهو شر مستطير، جربوا شرائع الحدود والقصاص عاماً أو بعض عام تعيشوا فى ظلال الأمان عاماً بعد عام.

هل هناك من أساتذة القانون الجنائى فى كليات الحقوق فى البلاد العربية من يعرف قبساً من التشريع الجنائى الإسلامى، من منهم يعرف القسامة أو الإرش وأحكام الديات؟ وهل هناك تبعاً لذلك من قاض فى بلادنا العربية سوى السعودية واليمن يعرف تلك الأحكام وإن كان فقليل ما هم، إلى هذا الحد هم قابعون فى سرداق الأسر الثقافى للثقافة القانونية الغربية.

رابعاً: عصر شبه الأسرة

أ- أطفالنا والعنف الطارق :

الخطر السام يطرق معاهد التعليم، فيحول البراءة فى الأطفال إلى غير ما أهلوا له، أحداث فى المجتمع الغربى فى فرنسا وفى

أمريكا فى أعنف سلوك إجرامى اتسمت به أخلاقيات أطفال العصـــر، الذين وجدوا قدوتهم فى أبطال العنف الهوليوديـــة وعصـــابات المافيـــا والألعاب التى تهيئ الصغير كى تكون دميته سلاحاً نارياً، فى عصـــر تراجعت فيه القيم الدينية وتصدرت الحرية وانكسار الروابط الأســـرية، حوادث بالجملة منها مقتل وحيد مطعوناً حتى المـــوت بـــين أصـــدقائه لخلاف بسيط لا يستدعى أسلحة يحملها المراهقون، وتكـــون ضـــحيتها أعز صديق لديهم، وفى تكساس مثلاً مقتل أب برصاص ابنه وعمـــره (١١) سنة بعد أن علمه أبوه الرماية كل يوم، فإذا به ينفذ ما تعلمه ضد أبيه، وصدق عليهم إبليس ظنه وذلك جزاء سنمار.

فى بلاد العرب شر قد اقترب، مدارس المشـــاغبين والتســـيب التربوى، أحداث جسام، وتقليـــد مـــذموم، والبلطجـــة بـــين التلاميـــذ، واستعراض القوة. يعيشون عصر قنوات الفضائيات التى تبث العنـــف والجريمة فأصبح لهم سمة سلوكية، وينتهى الأمر بكارثـــة اجتماعيـــة فالعنف يولد العنف.

ب- إغراء العداوة بين الزوجين :

لقد أوضحت الدراسات النفسية أن الأزمات العائلية فى أمريكـــا فى تكاثر فى مجتمع اجتمعت فيه المعجزات مع الموبقات، لتخلى المرأة عن بيتها ومغادرتها لمملكتها لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل حقـــا ولكن تدنى الأهل، وقد أثبتت الأبحاث أنه لا مناص من عودة المرأة إلى عرشها لإنقاذ الأجيال من الضياع، كما هو شأن الإسلام، فالإســـلام ذو فضل على المرأة ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

وتعانى الأسرة المسكينة هناك من الإحساس بالفتور والمعاناة النفسية الناجمة من التفسخ الاجتماعى، بسبب تغليب المادة على المودة، ومن ثم كان نضوب العاطفة داخل البيت الغربى، سيما وأن العلاقة الجنسية تبدأ بين الفتى والفتاة فى سن مبكرة، ثم يتلوها الزواج إن استمرت تلك العلاقة المؤثمة.

والمرأة عندنا بدورها خفت موازينها نتيجة ثقافة تحريض المرأة، فأغلب الأسر المفتونة بالتقاليد الغربية تعيش بدورها عصر شبه الأسرة، وأول المكتوين بالنار هم "أطفال المفاتيح" وكم من زوجة بطرت معيشتها وخيرت بين زوجها وعملها فاختارت الخيار الأخير، منبهرة بالمساواة الواهمة، متناسية أن الأسرة هى الينبوع الذى يمد الأمة بالقوة والفرد بالسعادة، وكل أولئك مرهون بالتكامل المنشود بين الرجل والمرأة فعلاقة الذكر بالأنثى داخل الأسرة هى تكاملية يكمل بعضهم بعضا وليست مساواة تجر إلى النقاش والصراع.

لقد جنى مبدأ المساواة على المرأة فأتى بنيانها من القواعد، وأخرج النساء بالملايين من بيوتهن إلى الدواوين يصادمن المتاعب كل يوم فى وسائل الانتقال أو داخل الأعمال.

إن الإسلام هو دين الرشد الأخلاقى، جعل الأسرة فى أحسن تقويم، لا يقاس نجاحها بمدى ما غنم أو غرم كل شريك، وإنما هى رباط مقدس تغشاه رحمة الرحمن ومودة الإنسان. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١]

جـ- تصدع السلطة وبداية المخاوف

ولقد تساءل الباحثون (فى المركز الفرنسى لأبحاث السكان والتنمية) أين ذهب رجالنا؟ ونحن من جانبنا نتساءل هل يوجد رئيسان لدولة واحدة، فمجتمع الأمومة عندهم صار هو المهيمن، حتى إنه يمكن نسب الطفل لأمه دون أبيه سيما حين يتفشى اتخاذ الأخدان - وهى المعاشرة الجنسية بلا زواج - والأسرة التى تشهد تحولاً ويتم فيه تنحية الرجل، يجرها إلى مجتمع مائع الملامح، إلى البربرية الأولى التى كان الرجل فيها يختفى بحثاً عن الرزق، واليوم فالتفكك الأسرى والحرية المفرطة والفوضى الجنسية والخيانات الزوجية تدفع بالرجل إلى الفكاك من أسرته[1].

انهيارات جليدية تتوالى تنذر بالذوبان، فتمرد الأبناء والعقوق من ناحية وتحريض الزوجة على زوجها من ناحية أخرى، تيارات زاحفة وعاصفة.

وكان لابد أن يتسرب الغاز الخانق إلى عوالمنا بفعل أدعياء التحضر والرقى، فالمتفرنجات صرن يأتين بتصرفات مرذولة تقض مضجع الرجل وتهزأ بمسئوليته عن رعيته، يحدوها الأمل فى أن تحقق ذاتها، وهو هراء تصغى إليه أفئدة المثقفات ولكن لا تفقهه.

والعواقب الوخيمة تترى، فأبناء الغد المأمول يفقدون مبكراً حظهم من الرشد الأبوى، ولا ينالهم سوى التناحر العائلى، وهو ما يرشحهم للضياع الدينى والاجتماعى .

---

(١) المسلمون العدد ٦١٦ فى ١١ رجب ١٤١٧هـ، ١٩٩٦/١١/٢٢م.

والقوامة ليست عقدة أو ثغرة فى قطار الحياة الزوجية، ولكن العقبة هى فى زعامة المرأة والرجل معاً، أو فى رجل يتاجر بالقوامة ويختال بها، والدين من ذلك براء، ولو كانت العصمة فى يد المرأة وآلت عقدة النكاح إليها، لما وجدت امرأة متزوجة على وجه الأرض، ومع ذلك تزداد حالات العصمة بيد المرأة يوماً بعد يوم، بحيث يصير الزوج أشبه بسوار فى معصمها، ويتحول الأزواج إلى أشباه الرجال، وتتحول المسلمة إلى ند للزوج متكبرة متجبرة، إن شاءت نقضت غزلها بجهالة ثم تُسر الندامة فى عمرها الباقى .

نعوذ بالله من سوء المنقلب ومن كل داعية لرؤى الغرب، فالغرب لا زال يحسدنا على الترابط الأسرى المعهود والمشهود.

إن من الحقائق المهمة أن كثيراً من أنصاف المتعلمات أقدر من حملة الشهادات على إنجاح الحياة الزوجية، سيما إذا كن أثرياء فى الثقافة الإسلامية، وجيل النوابغ الذى ظهر فى العشرينات أغلبهن من أمهات أميات لم يذهبن إلى الدواوين.

د- التمرد والندية :

قبس من الثقافة الغربية تنال من السلطة الأبوية حين يصل الولدان سن البلوغ فتجس منهم الخوف، أو انهيار النفس والأدب فى تبجيل الوالدين.

إن الأسرة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، تآلف يحكمه وثاق غليظ ووثيقة حارة، الآباء مخلصون لبنيهم رحماء بهم، والأبناء طيعون لهم كراماً بررة بهم، الجميع فى مملكة تلفت الأنظار والأبصار،

ولكن أهل التنوير يودون لاتباع محمد رسول الله ﷺ أن يتحولوا إلـــى أخلاق الثعالب أو طبع الذئاب، ليكونوا فى زعمهم تقدميين وعصـــريين يضيق صدورهم بتماسك الأسرة المسلمة، يبثون سمومهم التى تحرض الأبناء على العقوق والندية للوالدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

نعم إن الديموقراطية داخل الأسرة مبدأ هام ولكن تجريح الآباء مبدأ هدام، مرحباً بكل نافع مفيد أو اقتراح جديد يقدمه الفتى أو الفتـــاة لذويهم ولكن إذا قضى الأبوان أمراً فإليه المصير، فلديهما الخبرة فـــى الحياة ومن العلم ما لم يصل إليه الأبناء.

وباختصار فإن أدب الحوار الراقى لـــه جزء مقسوم فى بيتنـــا يشرف ديننا، ولا مرحباً بقيم الذئاب بين أبناء الأســـرة، وإن الالتـــزام بالأدب عند من وجب الشكر له يتيح مناخاً ملائماً لحياة طيبة هانئة بعيداً عن خسيس السلوك.

خامساً : التقدم الاستهلاكى والتطور الساذج :

من الثوابت فى كل عصر أن من يحوز القلم والعلم يحوز القوة والمنعة، ولكن عالمنا الإسلامى اليوم فرح فخـــور بكـــل مـــا أنتجتـــه التكنولوجيا الغربية، والتى صارت فى متناول يده، فخيل إليه أنه يعيش عصره بينما هو يتيه فى التيه، وتحت شعار خادع مموه هو التطـــور، وهو مجرد تقدم استهلاكى فى المقتنيات، أو قل تطور ساذج سيما فـــى بلاد الاقتصاد الفقير الذى يأتيه الموج من كل مكـــان، يهـــدد بخطـــر الابتلاع والاقتلاع.

وقد غرقت أجيالنا فى مستنقعات التقليد فى غيبة المنهج الإسلامى الرشيد، يا ليتهم رمقوا روافد النهضة ولكنهم مكبين على وجوههم فى حيازة (كاسيتات) عمالقة الغناء، وشغلنا أنفسنا وأموالنا فى البحث عن مبتكرات الأناقة وتسريحة الشعر والتليفون المحمول الذى لا يبدى ولا يعيد بالنسبة لأهل الفاقة والفقر، ولم يقدم خدمة جليلة للاقتصاد العربى، سوى نمط جديد فى التقدم الاستهلاكى وانتشار الثرثرة من جانب المترفين، وهو خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف.

وقد ظهرت بين شبابنا حديثاً ثقافة المرسيدس، وهى ثقافة ذات أصداء واسعة فى عقولهم فى أنواع السيارات وأشكالها وألوانها، وكل دقيق عنها وفى بعض الأحيان يكون هؤلاء بين طبقات كادحة فزادت لديهم حمم القلق والأرق.

وهاهم الأغنياء والمترفون الجدد ينفقون الملايين تلو الملايين على أكل القطط والكلاب المستورد، وبينما علماء الدين والاجتماع يحذرون من تزايد العداء الطبقى [1].

والهدف الأسمى للتغريب هو نساء المؤمنين لجرهم إلى التقليد وإلى المحاكاة، حتى فتيات الخليج العربى كما أسلفنا، وتبديد أموالنا شغل شاغل لنسائنا، فتقاليع الموضة المتبرجة تحوز مساحة كبيرة من دخلنا ومع أن كل شئ يتغير من عام إلى عام، والمرأة تلهث بين المحلات والرجل يدفع، والمشاكل تتفاقم وتتراكم، والدواليب تئن من كثرة ما حوت. ويلحق بذلك أنشطة كثيفة تود زرع الخنا فى المجتمع العريق، ببريق جذاب يستهوى الغرار الأغرار.

---

(١) جريدة الحقيقة العدد ٧١١ فى ٢٠٠٢/٧/٦م

وقد يسأل سائل لماذا لا نأتى بالجديد، وجوابنا أن الجديد هو المفيد، والعصرية ليس معناها إلغاء الأصالة، والمرأة فى حياتها رحلة طويلة لا تنتهى عند اللباس والزينة، وإنما القيم النبيلة، والتجديد البناء الذى يُخْرِج شعباً طيب الأعراق، يمثلون على مسرح الحياة دورهم.

الحذر كل الحذر أن يلجئنا التقدم الاستهلاكى الساذج إلى السؤال، أو أن نجلس على مائدة اللئام كالأيتام، وحينئذ فلا ندرى ما يُفْعل بنا يومئذ.

لقد كنا فى النصف الأول من القرن العشرين فقراء ولكن سعداء، فهل يكون واقعنا اليوم هو الانطلاق لتحقيق الشهوات الاستهلاكية والقعود مع القاعدين عن الدخول فى سباق أو صراع الحضارات [١].

سادساً : أضرار صحية تصيب المقلدين:

١- طاعون الغرب يطرق الأبواب :

ليس من قبيل الشماتة أنه يولد كل يوم فى فرنسا مائتا طفل مصابون بالإيدز، وحينئذ يصبح الولدان شيبا أو يكون وليداً وقد شاب شعره، فما أغنى عنهم جمعهم ولا شفع لهم التقدم العلمى، وإن تعجب فعجب أن تعلم أنه إلى عهد ليس ببعيد كان الشذوذ الجنسى يصنف فى سجل الآفات والسلبيات، ولكن اليوم له منظمات وجمعيات تطالب بتقنينه وإتيان الفاحشة، ويقال إنها بدأت تعرف طريقها إلى المجتمعات الإسلامية المحوطة بحزام الفقر حيث يستدرج الصبية السذج إلى

---

(١) د. محمد السيد سعيد، الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٤م.

حفلات شاذة تغرى الصغار بالانحراف الجنسى، كما أن اعتياد الشباب مشاهدة التعرى والأفلام الإباحية الفاضحة المنقولة إلينا عبر الشاشـــات الفضائية يصبهم بأمراض شتى، وأخطرها ما يصيب غدة البروستاتا فى وقت مبكر وهو ما يؤثر بعد على الطاقة الجنسية بعد الزواج، وحقاً كما يقول القرآن الكريم ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِـنْ أَبْصَـارِهِمْ وَيَحْفَظُـوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور:٣٠] (١).

فكيف نوقف زحف المتسلل الذى يريد أن يتسور حصوننا

والطفرة التى شهدها العالم فى مجال الاتصالات ســهلت مــن عملية الإطلاع على ما يحدث فى النصف الأكثر تقـدماً مــن العــالم، خاصة فى مسائل التعامل مع الحياة، فالمرأة الغربيــة كمــا يصــورها إعلامها تتفنن فى إرضاء الرجل فتقدم كل شئ دون أن يطلب، وضربوا لذلك مثلاً بالأفلام الإباحية والتى تعارض القوانين السماوية والتى تؤثر فيما بعد على الصحة العامة، والتى لا ينكر أحد أن هناك تهافت بسبب عقدة الخواجة فى تلك الأمور مع أن آداب المباشرة والمعاشرة الزوجية مبسوطة عندنا فى كتب الثقافة الإسلامية بما يضمن للزوجين الســعادة التى لا يفوقها سعادة، وما يتلوها من الهناء العائلى .

٢- أمراض بسبب ارتداء المايوهات :

هذا ما توصل إليه فريق من العلماء البريطانيين فى أن ارتــداء الملابس القصيرة كالمايوهات فى المصايف تزيد من احتمال تعرضهن

---

(١) جريدة النبأ العدد ٧١٩ فى ٢٠٠٣/٦/١٥م.

لخطر الإصابة بـأخطر أنـواع السـرطانات والـذى يعـرف باسـم (الميلانوما)، إلى جانب الاكزيما والارتيكاريا الشمسية فضلاً عن ظهور البقع البنية والنمش والشيخوخة المبكرة، والميلانوما التى تجلب الأورام الخبيثة بالأرجل ثم فى كل أجزاء الجسم(١).

يقول الدكتور **عزيز أحمد خطاب** إنه نتيجة للموضـة الغربيـة والهوس الذى يجتاح عالمنا العربى بدأت السيدات فى ارتـداء الجينـز والضيق والاستريتش المطاط وكذلك الملابس الحريرية الضيقة، وكـل هذه الملابس تعرض السيدات لمخاطر عديدة فى مقدمتها العقـم وذلـك لأنها تحتك بصفة مستمرة بالأعضاء التناسلية الخارجية وهذا الاحتكاك تتولد عنه حرارة تؤدى إلى حدوث التهابات شديدة فى هـذه المنـاطق المهبلية الضارة وتكون مرتعاً خصباً للفطريـات والبكتريـا الضـارة، ولذلك ينصح المتخصصون بعدم استخدام ملابس داخلية مصـنعة مـن الألياف الصناعية والابتعاد عن الحرير بصفة عامة(٢).

٣- شقاء المراهقين بإثارة موضوعات الجنس :

اهتم العلمانيون بالجنس باعتباره من الأسلحة الفتاكة فى محاربة الأديان، الإسلام أو المسيحية، حتى أصبح ثقافـة عنـدهم، فأغرقـت الأسواق بالكتب والمجلات المنتجة، وبالصور الفاضحة وذاعت وشاعت الأفلام الجنسية لتصبح أملا يترقبه الشباب، وهناك فى أوروبا محـلات للجنس تستطيع أن ترى فيها جهرة ولقاء دراهم معدودة من أنواع الخنا والفحشاء مما لا يمكن وصفه.

---

(١) جريدة النبأ فى ٢٩/٦/ ٢٠٠٣

(٢) د. عزيز خطاب، النبأ فى ٢٣/٥/٢٠٠٤م.

كل هذا يطرح فى الأسواق ليغترف الشباب من الثقافة الجنسية وليظهر على مسرح الجناة بعد ذلك لا يعرف حلالا أو حراما، فى حين أنهم فى قائمة المجنى عليهم، وأخيرا جاءت بعض القنوات الفضائية لتغطى سطح الكرة الأرضية بأحسن ثقافة تعرفها البشرية فبم إذن تبشرون وما هو مصير المراهقين ؟ وما هو شأن الجاهل بها الذى لم يغترف منها هل أصيب بالعجز كما أصيب المعاصرون الذين راحوا يتابعون الخطى لهثاً وراء الفياجرا، وما هو شأن الحيوانات التى لم تغترف من تلك الثقافة الرفيعة ومع ذلك تتكاثر وتتوالد .

وما هو شأن الذين توفوا دون أن يدرسوا تلك الثقافة الوافدة، المبهرة؟، ومع ذلك سعدوا فى حياتهم وأنجبوا ذرية طيبة وصاروا بعد ذلك نوابغ النوابغ.

إن الشباب يعلمون علم اليقين، ما يلحق بهم من أذى من جراء تكرار موضوعات الجنس، لأنها تهدف إلى عنت المراهقين مما يضعف حتى البدين ويضنيهم يوماً فيوم.

٤- الوجبات السريعة وأمراض العصر :

ازدراد الطعام لــه أصول وفنون بل ومدارس ومعاهد وإلا فإن العاقبة تكون خسراً وهذا تقرير من صحيفة الأوبزرفر البريطانية أن مفهوم بناء الجسم السليم قد بدأ يتوارى أو يحتضر بعد أن اجتاحت الوجبات السريعة كل الأسواق، وأصبح يتهافت عليها الأطفال والشباب سيما مع وسائل الإعلام الجذابة والأخاذة، وخاصة حين يعلن عنها مشاهير الممثلين ولاعبو الكرة البارزين، لتحمل فى طياتها أبلغ

الأضرار لما تحتوى عليه من نسب عالية مـن السـكريات والأمـلاح والدهون والتى تجلب أمراضا شتى، وفى مقدمتها البدانة والتى تسـبب العديد من الوفيات مع تناسى الأطعمة المميزة كالخضروات والفواكـه ناهيك عن العجز والكسل فى ممارسة الألعاب الرياضية.

وهذا نذير إلى عشيرتنا الأقربين[1].

سابعاً: الأقليات والضياع الدينى (الاضمحلال أو الذوبان) :

أبناؤنا فى الخارج يكدون ويلدحون من أجل عيش شريف افتقدوه فى بلادهم مع ما وهبها الله من خيرات حسان يواجهـون أو يـواجههم إعصار مدمر، وهنا يكمن عضال الداء وموطن الابتلاء حيـث يـرى المسلم نفسه حائرا بين مبادئ الدين وواقع غير المسلمين، والذى يتجسد من سلوك مخالف لما أوتى النبيون من ربهم فهل يمسكه على هـون أم يدسه فى التراب ؟

هل يتجرع هزيمة سلوكية ومسخ للهوية واقتلاع مـن الجـذور سيما حين تصادق الفتاه أو يصادق الفتى وتتعمق الصلات فى الـرقص والحفلات، فالنظام الاجتماعى هناك مفصول عن الدين لأنه نتاج ثقافـة إنسانية ماعت فيها الحواجز بين الحلال والحرام وصار الشرف فيهـا بضاعة مزجاه، وحينئذ تكون سلوكيات الأجانب أشد وطأ على الـنفس المسلمة، سيما حين يذهب المسلم دون حصانة فكرية فيقع فريسة للتقاليد الأجنبية والأمية الدينية ويصل السكين إلى العظم حين تقبل فتاتنا علـى الزواج من مشرك أعجبها، وينتج عن كل أولئك أجيال لا تعرف كيفية

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٢/٢

التعايش مع الأخر ولا تفرق بين الخبيث والطيب، ناهيك عن مشـــاكل المراهقين ويتحول التأقلم مع الغرب إلى سراب خادع وقد يكون مصير الرجل الصالح هو الإيداع فى السجن لأنه مارق عن نظام الغـــرب، إذا اشتكت كريمته التى تغادر مسكنها لتنخرط فى ثلة المراهقين الذين مردو على الفسق المبكر، وحينئذ قد يصاب بالأمراض النفسية بسبب تجـــرع واقع مرير غريب علي الحس الإسلامى الرقيق .

الفرع الرابع
جزاء التقليد المرذول
(الإثم ومعصية الرسول ﷺ)

أولاً: الحلال والحرام من تقاليد الأجانب:

يقول القرآن الكريم: **﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾** [يس:١٢] كما يقول تعالى : **﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ﴾** [يس:١٢]، فكل صغير وكبير مستطر من الخبيث والطيب، وإذا جئنا لتقليد الغرب فالتقليد فى محاسنهم هو شأن ديننا لأنها أصلا بضاعتنا .

فإذا كان تقليد الأجانب فى النفيس فهو مباح بإطلاق، بل أحيانا يكون واجبا أو مندوبا، ومن ذلك المحاسن التى أسلفنا فيها القول كعدل الحكام وعلم العلماء، والإقبال على القراءة والإعتزاز بالقومية، وقد صاروا فى عصرنا مضرب الأمثال فى الشورى واحترام الآخر والرأى الآخر والدقة والإتقان وصدق الوعد والوفاء بالعهد .

أما كل سلوك مزدول يتجلى فيه التناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين فإنه يوقع صاحبه فى الحرام فعليه وزره بل وزر من عمل به، وهنا يقول القرآن الكريم **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾** [البروج:١٠] مثل كشف العورات واندثار الكمالات واستيراد لغات مع لغتنا حسناء الحسناوات.

فالحكم الشرعى بالنسبة للتقليد فى المساوئ يتردد بين الحرام والمكروه وخلاف الأولى على حسب ما هو مقرر فى أصول الفقه،

والرؤوس التى تتهافت الاتباع حولهم والأذناب كلهم فى قارب واحد أو سلة واحدة، ﴿**وقفوهم انهم مسئولون**﴾ [الصافات:٢٤]، والشاب العربى الذى انطلت عليه الملامح الأوروبية أليس فى ذلك إثم كبير ومعصية للرسول (ﷺ)، وكذلك الفتاة العربية التى يحسبها الجاهل أوروبية، لقد حذر البشير النذير من التقليد وسماه "اتباع السنن" فى الحديث المشهور الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام : **لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبرٍ وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟**[1] وفى رواية : قال رسول الله ﷺ: **"ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب خدو القذة بالقذة"**[2] وفى رواية أخرى زيد فيها **"وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته فى الطريق لفعلتموه"** [3].

أفرايت أدق من هذا الوصف المعجز لهذا الذى أخبر عنه رسول الله ﷺ ؟ وماذا وراء جحر الضب ؟ ! إنه تعبير غاية فى الدقة، ومثل غاية فى الدلاله على المقصود من السير على الخطى نفسها ومواضع الأقدام ذاتها (شبرا بشبر وذراعا بذراع) لقد كان ما أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام غيبا فأصبح اليوم واقعاً ملموساً.

ثانياً: فتاوى إسلامية بشأن التقليد

سبق لنا فى الفصل الأول أن أوضحنا حكم الشرع الإسلامى فى بعض مظاهر التقليد.

---

(١) رواه البخارى كتاب الاعتصام، حديث رقم ٧٣٢٠ .
(٢) رواه أحمد فى مسنده برقم ١٧٥٩٩
(٣) حديث صحيح رواه الحاكم والبزاز (صحيح الجامع /٥٠٦٧).

ولقد سئل أهل بعض الذكر عن حكم حفلات الزفاف اليوم فأجاب بأن يوم الزفاف يوم من أيام الله المباركة فنلتزم فيه بالآداب الإسلامية ولا نرتكب فيه محرما، فلا يجوز شرعا فيه كشف العورات أو الاختلاط المرذول أو الرقص الفاضح والغناء الماجن [1].

والمرأة التى تصفف شعر الرجال تقليد يحرمه الإسلام وإذا كانت النظرة محرمة فكيف بالمرأة التى تتحسس أجساد الرجال .

وهناك من الملعونين ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء" أى المتشبهات بالرجال[2] وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء** [3].

البنطلون الضيق :

هل لبس البنطلون الضيق للمرأة يوافق الشرع أم لا ؟، وهل تعرية الشعر والزراعين والرجلين أسفل الركبة جائز أم لا ؟

الإجابة: لبس المرأة للبنطلون الضيق المفصل لجسمها حرام شرعاً كما أن تعرية شعر المرأة وساقيها حرام شرعا.

وبالنسبة لحدود الزى الشرعى فهو كل ما يستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين شريطة أن يكون واسعا محتشما فضفاضا لا يشف ولا يصف بدنها .

---

(١) انظر ملحق الأهرام فى ٢٠٠٠/٩/٨ اسألوا الفقيه.
(٢) حديث صحيح أخرجه النسائى برقم ٦٥٦٢ وأحمد ج/٣٤/٢٠ وانظر فقه السنه للشيخ/ سيد سابق.
(٣) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد.

وبالنسبة لعقوبة التبرج والسفور فى الآخرة فهى عقوبة شـديدة وهى من الكبائر شرعا، وبالنسبة لمن يشترط خلع المرأة لحجابها فـى العمل والدراسة فأنهم أثمين شرعاً ولا يجوز للمرأة أن تفعل ذلك، قـال ﷺ :" **لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**"(١).

حلاق السيدات

تسأل القارئة من القاهرة قائلة: ما حكم الدين فى تصفيف الرجل لشعر امرأة أجنبية؟

يجيب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فيقول إن الله تعالى يقول " قل للمؤمنين يغضوا مـن أبصـارهم ويحفظـون فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بمـا يصـنعون وقـل للمؤمنـات يغضضن من أبصارهن ويحفظـن فـروجهن ولا يبـدين زينـتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسـاء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن"، هذا أمر من الله تعـالى للرجال والنساء على السواء بأن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه لأن النظرة داعية إلـى فساد القلب وذريعة للوقوع فى المحرمات .

وقد روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ " **إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه**".

(١) الأهرام فـى ٢٠٠٣/٥/١٥ والفتـوى صـدرت فـى ٢٨ رجـب ١٤٢٢هـ، الموافـق ٢٠٠١/١٠/١٥م.

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : "**أن كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى، والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**".

وقد أوضحت الآية الأخيرة أنه يجب على المرأة أن تستر جسدها من قمة رأسها إلى القدمين وفقط يباح لها كشف وجهها وكفيها حسبما جاء فى حديث السيدة أسماء بنت أبى بكر عن خالد بن دريك عن عائشة "أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال "**يا أسماء أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه**" رواه أبوداود.

ولما كانت هذه النصوص من القرآن والسنة قد أوجبت على المرأة ستر جسدها من قمة رأسها إلى قدميها وحرمت النظر إليها من غير زوجها ومحارمها الذين بينهم الله فى هذه الآية الأخيرة كان مس شئ من جسدها محرما لأنه أكثر إثارة للغرائز من النظر، ولما كان الرجل الذى يقوم بتصفيف الشعر لغير زوجة له أو لغير محرم منه إنما يمس جزءاً من جسدها وجب ستره، وحرم الله النظر إليه وبالتالى حرم مسه، وكان هذا العمل محرما على الرجال وكل عمل محرم يكون كسبه محرما، مع أن تحرى الكسب الحلال من الواجبات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ، قال تبارك وتعالى : ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ [البقرة:١٧٢].

وبالنسبة للحفاوة بالكلاب على النمط الغربى :

سأل سائل عن حكم ذلك فأجاب عن ذلك الدكتور عبد العزيـز عزام الأستاذ بجامعة الأزهر، الكلب نجس يجـب اجتنابـه لمـا رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قـال "**إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعا**" ولأحمد ومسلم "**طهور إنـاء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات،أولاهن بالتراب**" والكلب يحرم اقتناؤه وتربيته لأنه يحـرم اسـتعماله إلا لضـرورة الصـيد أو الحراسة وحيث لا ضرورة تدعو إلى اقتنائه فلا يجوز اتخاذه لنجاسته، ولما روى أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة ولا جنب. فإن كان لحراسة الزرع أو الماشية أو كان يستخدم للصيد فهذا الكلب مأذون فى اتخاذه من جهة الشرع، وأما غير ذلك فلا يجوز، ويدخل فى المباح اتخاذ الكلاب البوليسية المدربة بقصـد اسـتعمالها للغـرض الأمنـى والتعرف على المجرمين لردعهم فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : "**من اتخذ كلبا إلا كلب زرع أو غنم أو صيد ينقص من أجره كل يوم قيراطا**" إذن فلا يجوز الاحتفاظ به بدون حاجة للنهى الوارد فى ذلك، وعليه فلا يجوز تدليلها والإنفاق عليها ببذخ على النمط الغربى .

إباحة زواج الفرند

بالنظر إلى تأثير قيم وعادات المجتمعات الغربية على سلوكيات أبناء المسلمين هناك خاصة بالنسبة للعلاقات المفتوحة بين الجنسين، فقد أباح البعض زواج الأصدقاء، هذا الزواج والذى يقـوم علـى تـوافر

الأركان الأساسية لعقد الزواج والشروط الشرعية كالشـــاهدين والمهــر وصيغة العقد، وإشهاره ولكن دون اشتراط وجود منزل للزوج، فوجود منزل للزوجة ليس شرطا مهما للزواج، وهذه الفتوى من فوائدها أنهـــا تحول دون علاقات الفتى والفتاة خارج عقد الزواج. (١)

هل يجوز للمرأة المسلمة أن تعمل كوافيرة ؟

ما حكم الشرع فيما يسمى بكوافير السيدات فيما إذا كانت تقــوم به سيدة ؟ ويتمثل هذا العمل تصفيف الشعر للمحجبات وغيرهن، وأخذ شعر من الحاجبين والوجه والذقن وعمل الماكيـــاج للعـــرائس وغيـــر العرائس، وهل المكسب العائد من ذلك حلال أو حرام ؟ .

يجيب عن هذا السؤال الدكتور أحمد الطيب مفتـــى الجمهوريـــة الأسبق فيقول: إذا كان الحال كما ورد بالسؤال فإنه يجـــوز للمـــرأة أن تعمل فيما يسمى بالكوافير وذلك بتصفيف الشعر للمحجبـــات، ويأخـــذ الشعر من الحاجبين بشرط ألا يصل إلى حد التنمص (وهـــو الإزالـــة الكاملة لشعر الحاجبين أو ترقيقهما ترقيقاً يخرجهما عن الشكل الطبيعى للحاجبين) وذلك لما روى أن رسول الله ﷺ لعن النامصة والمتنمصـــة. أما إزالة الشعر عن الوجه والذهن وبقية الجسد فجائز ولا شئ فيـــه.. ويجوز للمرأة أن تمارس مهمة تزيين الزوجـــة لزوجهـــا والعـــرائس لأزواجهن وذلك لما رواه الطبرى أن امرأة أبى اسحاق دخلـــت علـــى عائشة رضى الله عنها وكانت شابة جميلة يعجبها الجمال فقالت: "المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت رضى الله عنها: "اميطى عنك الأذى مـــا استطعت" فمثل هذه الأعمال لا مانع من أن تقوم بها المرأة .: وبالنسبة

(١) - الأهرام فى ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٣

لتصفيف شعر غير المحجبات فإنه ينبغى على المرأة المسلمة العاملة بالكوافير أن تتجنبه قدر الإمكان، فإن كانت مضطرة لذلك بحيث لا يمكنها الاعتذار عن مثل هذا العمل، فالإثم فى هذه الحالة على التى تصفف شعرها وتخرج به دون حجاب، ولا إثم على التى بهذا العمل ما دامت مضطرة إليه(1).

فتوى : لا يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها :

سألت أخت من تونس: هل يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها حيث إن هذا هو المعتاد فى بلادنا؟

المرأة فى الإسلام إذا بلغت راشدة لها شخصيتها المستقلة مالياً، وهى منذ ولادتها تحتفظ بنسبها إلى أبيها ولا يجوز لها بعد الزواج أن تلغى نسبها الذى ولدت به وتنسب إلى زوجها، فهذا أمر يخالف ما شرعه الله من المحافظة على الأنساب، ولذلك حرم الإسلام التبنى وجعل الزواج المشروع وحده السبيل لاكتساب النسب، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾** .

وأما ما يجرى فى بعض المجتمعات الإسلامية من أن تنسب المرأة بعد زواجها إلى أسرة زوجها فهو تقليد غربى لا يقره الإسلام، وكم فى مجتمعاتنا للأسف من تقاليد وأعراف غربية تحاول أن تبعدنا شيئاً فشيئاً عن هويتنا الإسلامية الأصيلة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (2).

---

(1) د. أحمد الطيب، الأهرام ٢٠٠٣/٥/١٩م.

(2) أ.د. محمد الدسوقى ، الأهرام، فى ٢٠٠٤/٤/٦م.

فتوى : التقرير الطبى لا يغنى عن فترة العدة :

هل يجوز عند طلاق المرأة أو وفاة الزوج الاكتفاء بتقرير طبى يفيد بالكشف عليها أنها ليست حاملاً ويستغنى بذلك عن العدة المقــررة شرعاً ؟ وما الحكم فى ذلك ؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور عبد الغفار حامد هــلال قــائلاً: العدة إنما شرعت لحكم أرادها الله تعالى منها أن العــدة إلــى جانــب استبراء الرحم فرصة فى الطلاق الرجعى لعودة الوفاق بين الــزوجين، وكذلك فى حال الطلقة البائنة فى غير الطلاق الثلاث للزوج أن يعيدها إلى عصمته بعقد جديد فتعجل انقضاء بمجرد توقيع الكشف الطبى يحرم الزوجين من هذه الفرصة والتقرير الطبى قد يخطئ ويترتب عليه الفساد باختلاط الأنساب وغير ذلك من العواقب الوخيمة وتقدير زمــن العــدة شرعاً تقدير من لدن حكيم خبير ولا مجال للاجتهاد فيه، فعلماء أصول الفقه يقولون "لا اجتهاد مع النص"[1].

التنكر لأعرافنا حرام أو مكروه :

إن التخلى عن الزى القومى هو فاتحة الكتاب فى انقراض الأمم المجيدة، إذ يتلوه تنازلات تلو الأخرى تدخلهم بعد حين فى عداد الأمــم البائدة، إن المرأة السوية تدرك أن حرية المــرأة لا بتقصــير ثيابهــا والتخلى عن زيها واستدراجها إلى الإثم ومعصية الرسول، وإنما فــى تفكيرها وكمال عقلها، فالحرية بلا حدود منافية لطبيعة المرأة ويقولون بحق إن المرأة إذا كانت تطالب بحريتها فهى تكرهها.

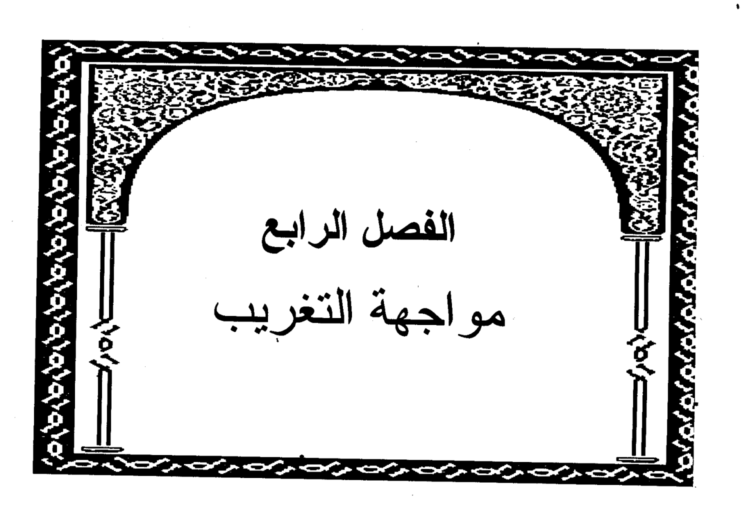
---

(1) عبد الغفار هلال، الأهرام فى ٢٠٠٤/٤/٤م .

إن التنكر لأعراف ديننا هدم للشريعة والأخلاق الإسلامية وهو عين الانسلاخ من الدين وحينئذ يكون التقليد حراماً أو مكروهاً أو خلاف الأولى، ومن علامات الساعة المعروفة عموم الفوضى بين العباد على الأرض، واللامبالاة بالدين، إذ يتلاشى العباد نتيجة زيغ القلوب والأبصار، وهنا يقول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام: " **لا تقوم الساعة على أحد يقول الله** "

إذا تفشى مرض الاضمحلال والذوبان، وصارت الأمة المسلمة نسخه كربونية من أمم أخرى وهى فى أوطانها، فإن هذا نذير بالانسلاخ من الإسلام وهم يدعون إليه، وحينئذ فمن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وهنا يحذر ناصحو الأمة من حياة الزيغ واللامبالاة التى تغشى المتيمين بالتقليد والذين يعبون من الغرب أكثر مما يعبأون بدينهم ونعوذ بالله أن يكون هذا نذير من النذر الأولى . إن سادتنا وكبرائنا وكل المتيمين بالتقليد لو علموا منذ نعومة أظفارهم ما فى أعرافنا من محاسن، سيما إذا علموا أن تلك المحاسن رسمت لنا نصف خريطة العالم الإسلامى وجذبت أقواما ودولاً أقبلوا عليها يزفون، وحينئذ لأضحوا بمفازة من جرثومة التقليد التى تشوه واقع الإسلام فى الريف والحضر والعواصم والنجوع، واستوى فى ذلك المثقف والأمى، والطالب والأستاذ.

ولكن لكل داء دواء يستطب به، وهذا هو ما نعكف عليه فى الفصل الأخير فإليه نصير .



الفصل الرابع

مواجهة التغريب

الفصل الرابع

مواجهة التغريب

يخطئ خطأً فادحاً من يعتقد أن سلوكيات الأمم يمكن أن تغتال بعاديات السلوك، سيما إذا كان رصيدها الثقافى ينبوعه (قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد).

المد الإسلامى يأبى تقليد الأجانب :

نحن قادرون على الصمود حتى يأتى الجيل المنشود الذى يستطيع أن يحقق لنا النصر، فالدولة الإسلامية إذا كانت قد توقفت عن المد السياسى فلا يعنى ذلك أنها توقف أو تعثرت فى الميدان التربوى والسلوكى، فدأب الحضارات أن يعتريها موجات من المد والجذر ولا تستثنى حضارتنا من هذه الظاهرة، طالما فرطنا فى الكتاب من قبل.

وتشهد السنوات الأخيرة مداً إسلامياً مترامياً متنامياً يدعو كل من أدبر وتولى، فظهرت موجات ثقافية تدعو لعصمة أمرنا، تلقى تجاوباً صادقاً من كل صاحب حاسة إسلامية، وهو ما فجر الإحساس بالاستغناء عن الغرب، وأصبحت عملية البحث عن الهوية الحضارية الإسلامية تكون أساساً نفسياً للاعتداد بالنفس، فبلاد العرب ليست جزءاً من أطلس الغرب، تتأثر بكل ما هب ودب، سيما بعد أن صارت الديموقراطية الغربية مرتعاً خصباً تأوى فى أحضانها عصابات المافيا

ونوادى العراة وأصحاب الشذوذ والمسلكية التى لا تمت بنسب إلى مسيرة الرقى.

فنحن فى دولة المرابطين وعلى أهبة الاستعداد لصد كل سلوك وافد لا يروق، بفضل العقيدة القوية التى تزلزل الجبال والقيم التى تشحذ الهمم، وهى تعلو بمسافات لا يمكن قياسها على ملل أهل الغرب [1]، وعتادنا ثقافة جيدة وسلوك سوى يشكلان سراجاً وهاجاً يجذب أجيالنا من التيه، بل وليس علينا بعزيز تصدير الرشد الأخلاقى لأهل الغرب فنتحول من تغريب العرب إلى تعريب الغرب، فهو تربة خصبة لكل ثقافة جيدة، ولهذا نوزع بحثنا هنا إلى فروع ثلاثة:

الأول : الحصانة الفكرية والاعتداد بالذات الإسلامية.

الثانى : القدوة السلوكية.

الثالث : المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى.

---

(١) عماد الدين خليل، مجلة الأمة، محرم ١٤٠٣هـ.

الفرع الأول
الحصانة الفكرية
والاعتداد بالذات الإسلامية

وسوف نركز على مظاهر تلك الحصانة فى النقاط الآتية:

أولاً : الزاد الثقافى والاعتداد بالذات الإسلامية:

• الاعتداد بالذات دأب كل نبيل، ولا ينال ذلك الشرف إلا كل جواد أصيل، وينبوع هذا الاعتداد هو التزود بالثقافة الإسلامية الصافية النقية، لمن كان يريد العزة، وهنا يكون الاعتداد يصنع المعجزات، فقد تجد فتاة مسلمة صغيرة تلبس الزى الإسلامى معتدة به وفرحة فخورة لأنها قرأت قول ربها **﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾** فشكلت ثقافتها القرآنية سلوكها أمام غيرها من أصحاب العزة الموهومة.

ولذلك يقول الفلاسفة ثقافتنا سر قوتنا، فبقدر زادنا الثقافى يرتقى الواقع الإسلامى، فالمد الثقافى المتواصل هو الذى مكن لأمة الإسلام من احتفاظها بكيانها من الذوبان، رغم ما اعتراها من خطوب جسام لو اعترت غيرها من الأمم لتحولت إلى أثر بعد عين.

ولكل ثقافة وطن ولكل وطن ثقافة، فالخصوصية الثقافية سيما فى عصر السموات المفتوحة هى التى تحول دون ابتلاع الأمة، وأتعس أوطان الأرض التى تتبنى ثقافة غير ثقافتها لأن ثقافة الغير فقر [1].

---

(١) ولكن العلم غير الثقافة فالعلم مشاع بين الجميع، ولا يختلف من دولة إلى أخرى كالطب والكيمياء والفضاء.

ذلك ما يقوله المفكر الفرنسى المسلم جارودى [1]، حتى أنه قيل بالنسبة للتنمية المنشودة أنه لا يكتب لها النجاح إلا أن تنبع من الثقافة المحلية، أما إذا كانت مجرد تقليد للغير فعاقبة أمرها خسراً.

ولهذا انعقد الإجماع اليوم بين الكتاب والمفكرين والنابهين على ضرورة خروج وسائل الإعلام من مجال الدراسات والبحوث إلى حيز التنفيذ والتأثير الفاعل فى العقل الإسلامى، وإلا نكون قد فرطنا فى الكتاب، ولا مجال للتراخى، وبذلك نعصم أجيالنا المأزومة من استدراج ثقافة الغرب لهم بعيداً عن أحكام دين القيمة، لأن الحداثة المزعومة كل إيجابياتها رصيد متخم من الرغبات والأهواء ليس إلا، لأننا نأخذ بالمساوئ دون المحاسن منهم.

والشعب الذى لا يمتلك حصانة ذاتية وقوية معاً لا يمكن أن ينفتح على ميدان الثقافات أو يتفاعل معها دون أن يفقد أصالته، وهكذا يكون رجوعنا إلى ذاتنا الإسلامية جذوة الحماس التى ندخل بها صرح الحضارة من بابها الشرعى واثقين من أنفسنا فلا تخيفنا ممتلكات العدو وما يحوزه من أعاصير الدمار، فهناك حصون مشيدة من التوجيه المعنوى ومن الدفعات الفكرية الى تحمى الأمة من أية هزيمة حضارية.

إن اقتناء رصيد هائل فى كل ضروب المعرفة الإسلامية هو سبيل الاعتداد بالذات وإذكاء الحاسة الإسلامية التى تطرد الشعور بالدونية.

---

(١) مجلة العربى نوفمبر ١٩٨٠

١- بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة :

أقم دولة الإسلام فى ربوع دارك وقلبك تقم دولة الإسلام فى دولته.. من هنا نبدأ..

نعم بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، وإلا كانت الخسائر فادحة والهوية عبارة عن الشفرة التى تمكن الفرد أن يعرف نفسه، وحدود علاقته بالجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها، ورموز هذه الشفرة تعتمد على التراث الثقافى والبعد التاريخى.

وإذا كانت الصحوة الإسلامية قد حققت شيئاً ذا بال، فهو انكشاف مخططات المؤامرة إلى صهرنا فى بوتقة الأممية، وإن كانت لنا دعوة واحدة فهى المحافظة على الذاتية الإسلامية المتميزة من الانصهار، نعم فهى **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾** [البقرة:١٣٨].

٢- البيت المعمور بالثقافة الإسلامية أساس الحصانة :

نشر العلم والثقافة من أفضل أعمال البر

وليعلم المسلم الذى يعظم دينه أن البيت الفقير حقاً هو الخاوى من الثقافة الإسلامية، وبيت الغنى أو الثرى مهما كان مترعاً بالمال، فهو بيت فقير طالما خلا من زاد العقول وفاض من زاد البطون، فالثقافة الإسلامية بفروعها القشيبة هى التى تنير العقول وتعمر القلوب، وتبشر بالنهضة والارتقاء، ولن يتأتى ذلك إلا بفضل مكتبة فيها كتب قيمة يفاخر بها المؤمن والمؤمنة كما يفاخر بأثاث منزله.

إن من عادة رب الأسرة الأمين أن يقدم لأبنائه أزكى طعاماً، سيما للناشئة، وأولى لبناته أن تشيع بينهم الآثار التى تنهى عن تقليد غيرنا إلا فى المحاسن، يقول المصطفى ﷺ: "**من تشبه بقوم فهو منهم**" "**ويحشر المرء مع من أحب**" وأن ديننا لا يرضى بكشف العورات وهى أول البنود فى دستور إبليس، قال تعالى : **﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾** [الأعراف:٢٧].

إن مشكلتنا أننا نبتهج بزاد البطون ناسين زاد العقول، فأهملنا تربية النفوس والحذر من الرخيص ومن هنا يكون الضياع الدينى الناجم عن التقليد لما فيه من اختلاف الأفاق والأذواق، خلاف فى الثقافة التى تشكل السلوك، فالزاد الثقافى الذى يغب منه المؤمن والمؤمنة هو عدته وعتاده لكل سلوك ممدوح، لأن ينبوعه القرآن الكريم الذى يهدى إلى الرشد، والروض النضير من كلام سيد المرسلين، ففيهما وقود التغيير لكل عقل مستنير.

والمسلمة الرائدة تضحى منارة تسطع للآخرين فى كل سلوك محمود بفضل ثقافتنا المعطاءة، وحينئذ فلا عجب أن يكون من منهج القرآن فى بناء الإنسان، **﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ.. ﴾** [الأحزاب:٣٤].

وناصحوا الأمة يحذرون من سيطرة فلول الشيوعيين القدامى على مراكز الثقافة العربية، فهؤلاء مهتمون ومتهمون بأنهم يتربصون بكم الدوائر، فأقعدوا لهم بكل المراصد الثقافية.

٣- من يقدم زاد العقول :

رب الأسرة فى الإسلام ليس مجرد ولى على أسرته، وإنما هو ولى مرشد يستخدم ولايته فى التوجيه والإرشاد.

فالغذاء الذى يقدمه لأهله وعشيرته لابد أن يكون أزكى طعاماً، غذاء للبدن والروح معاً. فإن هو اقتصر على غذاء البدن فقد سفه نفسه ولو حسب أنه يحسن صنعاً!.

فهلا أحضر رب الأسرة مع كل جهاز حديث يقتنيه كتاباً أو ثلة من الكتب، تغذيهم بالمعارف الراقية لمستقبل باهر يسمو بهـــم عـــن أن يكونوا مجرد أبناء يأكلون ويتمتعون ويلههم الأمل.

إن الأب إذا كان جاهلاً ومرض ابنه فإنه يـــأتى لـــــه بـــأعظم الأطباء ومشاهيرهم، وإذا كان مثقفاً حذر أهله من الغزو الفكرى القادم من ديار الغرب ليحتل عقولنا، وأصـــبحت ســـمومه شـــرا مســـتطيراً. كالاختلاط فى المدارس، على الرغم من أن علم النفس أثبت أن الغريزة لا يمكن قتلها أو إخفاؤها أو التسامى بها عن طريق الاختلاط [1].

إن الفكر الإسلامى التروبى لا يبرئ الأباء والمربين والموجهين والقادة فى كل موقع من مواقع المسئولية، عن تربية الشباب وتوجيهه، فإذا كنا ننسب إلى بعضهم التطرف مثلاً فإننا الآبـــاء قـــبلهم متهمـــون بالتسيب، وإذا كنا ننسب إلى بعضهم الإفراط فيما لا ينبغى فنحن الآباء متهمون بالتفريط والإهمال، وذلك أدهى وأمر.

---

(١) الغزو الفكرى ، المرجع سالف الذكر، تقرير الدكتور على جريشة، وهناك أمثلة أخرى كثيرة على تسرب الأفكار الغربية إلى بيئتنا الإسلامية، وانظر أيضاً مؤلف د. محمد محمد حسنين: حصوننا مهددة من داخلها، مكتبة المنار الإسلامية . الكويت.

٤ – والقيم المنقرضة من يعيدها [١] :

هلا قمنا باستنفار الجيل كله من خطاب يملأ حياة الناس ضيقاً وحرجاً إلى خطاب دينى يردهم إلى الحياة السوية، حياة الحركة والانتعاش والبهجة والتواصل مع الدنيا كلها، فمجتمعاتنا عامة لا تزال تحتفظ بأصالتها الحضارية وهو ما يمثل رصيداً سائلاً أو مجمداً لا ينفد، وصفوفاً خلفية لم تنهزم تحتاج إلى أيادى متوضئة تمد إليها يد العون فتزداد حيويتها وقوتها.

إن نقطة الانطلاق تكمن فى مشروع النهضة بالمستقبل الذى يستفيد من خبرات الآخرين ويحترمها ويجليها لوقتها، ولكنه لا يتطلع إلى استنساخ نموذجهم الحضارى السلوكى الذى ارتضوه لهم دنيا؛ لأننا مختلفون عنهم فى الجذور والآمال والآلام، ومن حقنا أن يكون لنا نموذجنا الفريد الذى يؤهلنا لاستعادة قيمنا وأعرافنا والتى قد تبدو للناظرين أنها دخلت مرحلة الغروب، ولو خطط أصحاب الحاسة الإسلامية جيداً لتحركت مياهنا الراكدة ولاستطعنا أن نذب الذباب عن وجهنا النضير.

٥ – تاريخنا يحمس ذاتنا الإسلامية:

إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية وركن من أركان اليقين، فلابد من تحصيله، وهذا ما يقوله الإمام محمد عبده، فوقائع تاريخنا كلها مغريات لا مخزيات، فهى تعمق الانتماء إلى الإسلام بما حوى من المباهج السلوكية، وهنا تكمن أولى لبنات المناعة والحصانة،

---

(١) فهمى هويدى ، دعوة لاستعادة قيمنا المنقرضة ، الأهرام فى ١٩٩٩/٥/١٥م.

وإلا دخلنا فى دين الملك، وهو دين غاص بالتعديات والتحديات التى تطل علينا كل حين لتصبح بيوتنا عورة!.

إن تعاليم ديننا أخلاقيات ومحاسن وحدائق ذات بهجة ينابيعها كتب قيمة، ومعارف راقية وبطولات نادرة، وتاريخ أمجد من المجد، لا يضارعه تاريخ قديم أو وسيط أو حديث، حتى صار تراثنا بما حوى مناراً للعلماء وأثاراً للحكماء، من يكنب عليه يزداد إقبالاً عليه، يثير فى النفس الاعتداد، فكم كان أجدادنا كراماً بررة مخلصين لهذا الدين، ففازوا بمرتبة الشرف فى سجلات التاريخ، وكانوا مناراً للآخرين وقدوة للعالمين فى الرشد الأخلاقى، فجمعوا بين القطبين الأعظمين للسلوك السوى (العلم والعمل)، صاروا أئمة يؤتم بهم أحياءً وأمواتاً أعزهم الإسلام وأعزوا الإسلام، ففتحوا أقطار الأرض بهذا السلوك قبل سيوفهم، رسموا خريطة العالم الإسلامى ما شاء الله لهم، دون غاز أو فاتح، أمسكوا بزمام العلياء، علموا العالم والبشرية وفى مقدمتها الحضارة الغربية، لم يكونوا أبداً مع الخوالف، فكيف تكون بيوتنا ساحات لمستنقعات الغير من أعراف كانت وبالاً على أصحابها.

والقيم الإسلامية وإن لم يحسن الناس تطبيقها أو حادوا عنها فى عديد من مدن الإسلام وفى العصور المتعاقبة، فإن هذا لا يلغيها، ولكنها كانتْ على الدوام تقيم الحجة على من يخالفها: إن للأصالة جذوراً فى المجتمع العربى وقوى تدافع عنها، وهى تقاوم الذوبان منطلقة من الهوية العربية، وجوهر هذه الهوية يكمن فى الثقافة الإسلامية [1].

---

(١) محمد صالح العجيلى ، (مرجع سابق).

إن الأمة الإسلامية ظلت قروناً طويلة أقرب مجتمعات الدنيا إلى الأدب والتعاون والتحاب وإن اضطربت سياسة الحكم فيها وذلك بفضل منهج الإسلام فى التربية [1].

٦- وخريطة المفاهيم السلوكية والمضامين الثقافية :

فنحن اليوم نقف على أهبة الاستعداد للمواجهة السلوكية مع الآخر، والبداية هى تصحيح المفاهيم المتسربة التى تكاد أن تفرط علينا أو أن تطغى، لمفهوم الحرية والندية والكونية الثقافية والعولمة الجامحة، فمكمن الداء أننا نسوق الأشياء إلى أجيالنا أحياناً بأسمائها المستوردة، وهو انتصار للآخر ولو بحسن نية على حساب الأنا، فمفهوم الحرية المقرب اليوم يكاد يصل إلى حد العناق وتبادل القبلات والاختلاط بالجنس الآخر بلا حدود، بينما الحرية فى الإسلام لها ضوابطها الشرعية الحازمة، فهنا يكون التجانس الثقافى للأمة مطلوب وبإلحاح، ولو تحولت الأمة إلى قطع متجاورات أو جزر معزولة لا تجمعها ثقافة واحدة فإنه يجرى تفريغها من مضمونها مع أنها أمة ذات نسيج واحد! ولقد أدت المفاهيم المتسربة إلى زلزلة دول إسلامية مثل تركيا والجزائر فصارت أشبه بجزر غربية داخل المحيط الإسلامى الهادئ، فهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وهو ما يتطلب من القادة والمصلحين وصالح المؤمنين أن يبذلوا أقصى جهدهم فى سبيل توحيد المفاهيم والمضامين الثقافية التى ترفرف على هذه الأمة المتجانسة، والتى يجمعها لباس العفاف والتقى والخيرية والهداية الربانية.

---

(١) محمد الغزالى ، قبس من الإسلام، ص ١١.

٧- فضائيات إسلامية تواجه التغريب :

وداونى بالتى كانت هى الداء، فالبث المباشر كما هو ضالع فى إذاعة وإشاعة السلوكيات الوافدة المحمودة، وهنا تكون المواجهة بالبرامج الأخاذة الجذابة التى تشد الانتباه وتعكس الجوانب المشرقة والمشرفة لقيمنا، الإعلام بالإعلام، وبذلك ينتقل الحديث عن سلبيات الإعلام إلى الإيجابيات المثمرة التى تهفو إليها النفوس بعد النكوص، الجميع مدعون إلى التأدب مع الله، وأن تلين قلوبهم لذكر الله، فعندها مفاتح الثقافة البناءة، والتصدى للغزو السلوكى ليس بدعا من الأمر أو دعوة جاهلية [1]. وإن تقوية الوازع الدينى لدى الشباب هو السبيل للمواجهة الفعلية لخطر الفضائيات.

٨- ثقافة مضارعة على مستوى العصر تواجه التبعية:

بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، وبدايته بالثقافة الجيدة، وأى فراغ ثقافى يوجد فى شخصية المسلم فى عصرنا يعرضه للغرق فى مستنقع المخالفات عابرة القارات، والغريب أن لدينا مخزوناً ثقافياً هائلاً ومتراكماً، فلماذا نضرب عنه الذكر صفحاً، وتضرب عليه الذلة أو التعتيم!.

وإذا كان الغزو الثقافى قد زلزل عروشاً فلن يردعه إلا ثقافة مضارعة مثله، ثقافة تؤمن بالانفتاح والاستفادة من التجارب الإنسانية العالمية وتتجنب الهامشية والاغتراب والاقتلاع الثقافى، ثقافة مرتبطة بتطلعات الشعب، ومعبرة عن توقه واشتياقه للتحرر والاستقلال الثقافى،

---

(١) د. جمال البرزنجى ، الإيمان ملحق جريدة الأنباء الكويتية ، العدد (٨٧٩٦).

وإذا كانت سلبيات الغرب قد نالت من أعرافنا فإن دحرهـا لا يـتم إلا بثقافة مضادة، تلهب الحاسة الإسلامية والقومية، وتقـى مـن انفصـام الشخصية، وإلا تكن فتنة فى الدين وفساد كبيـر وهـى اقتلاعنـا ثـم ابتلاعنا، والأمل معقود على قادة شعوبنا والصالحين من عبادنا بترويج ثقافة تكسب الجسم الإسلامى مناعة والعقل حصانة، لأن الدعة والاتكال على الآخر ضعف يعقبه الموت، سيما إذا كـان الـدخيل رخـيص أو خسيس، وينابيع الثقافة عندنا فياضة رقراقة تعصـمنا مـن التيـارات الهدامة التى تود التعتيم على خريطة الهوية الثقافيـة توطئـه لسـحقها ومحوها.

ومعلوم فى عرف التقدم أن المجتمع لا يستقيم أمره أو يسـترد عافيته إذا خرج نموذجه من تربة غيره، ولكى تنمو شـجرتهُ وتصـبح الأرض مخضرة فلا مفر أن يترعرع النموذج فى الهواء الطلق منفتحاً على ما حوله ومستفيداً من خبرات غيره، يبحث جاهداً حول موجبـات رحمة الله حتى يؤتى من الحكمة ما يرقى به إلى الرشد المأمول.

إن السيف لا يعمل إلا فى يد البطل

ولا ينفع الحسب الموروث إلا بالهمم

وعلى ما يراه الناصحون فإن إتقاننا للعلوم الحديثة سيقضى على الانبهار بالغرب بل ويخلق الاعتداد بالنفس، وتفتح أبـواب الانطـلاق والإبداع، ويضحى التغريب أو التحديث سيما فى السـلوكيات شـعاراً دخيلاً [1] فأمتنا لا يغيبها نقائص سلوكية تستوجب التحديث، وإنما كـل

(1) د. محمود حمدى زقزوق (وزير الأوقاف المصري) الإيمان، فى ٢٠٠١/٢/٢م

رؤى واضحة تسير على هداها سيما وعندنا الراسخون فى العلم وصالح المؤمنين ناهيك عن العقول المهاجرة والتى تشعل وقود النهضــــة فـــى الغرب وتقود زمامها فى صمت وسمت العلماء.

٩- فقه عاصم للأقليات من الذوبان :

فالأقليات المسلمة تواجه تحديات موجعة تتراوح بــين الــذوبان والتقوقع وعددها أخذ فى ازدياد نظراً لأن العالم قد أصبح قرية صغيرة، فكيف تواكب مستجدات العصر وعواصفه الهوجاء، وخاصة مع الجيل الثانى والثالث، كما أن حملات الإساءة لدينهم تطاردهم بالغداة والعشى.

نعم للاندماج لا للذوبان، وهنا يصبح ميلاد فقه جديد ضرورة أو حتماً يطوق أعناق فقهائنا الذين ما تخلفوا يوماً عن مواكبة الواقع فى أى عصر ومصر.

ثانياً : مفهوم الحضارة والتطور :

التوازن فى السلوكيات:

الحضارة هى الرقى بالإنسان فى منهجـــه وأســـلوب معيشـــته وعلاقته بغيره، ومنها فنون وعلوم فيها يتنافس المتنافسون، وهى تعنى التوازن بين الجانب المادى الذى خلق منه الإنسان (الطين) وبين الجانب الروحى (العاطفي).

أما أن نظن بالحضارة الظنون، وأنها تعنى الترفيــه والطــرب ونشدان المتعة والراحة فذلك ظننا الذى أردانا.

إن معنى الحضارة الحق هو: الارتقاء بالإنسانية فى الكمالات الخلقية وفى العلوم والسلوك، فالإسلام أقام حضارته على دعامتين: العلم والأخلاق، فإذا كان التقدم العلمى ممزوجاً بالترف الممقوت وكان الفجور ميسوراً، فحينئذ تخيب الظنون فى هذه الحضارة، لأن هذه الثغرات تهدد بفنائها ولكن بعد حين من الدهر، والدليل على ذلك أن أعداد هائلة من الأوروبيين يقبلون اليوم على الانتحار بشراهة، ناهيك عن تكاثر أولاد الزنا وذيوع الخنا، ولذلك يقال أن الحضارة تعيش فى مأزق حقيقى وإن لم تصل بعد إلى مرحلة الانـدحار والانتحار، إن المسلم إذا استيقن الحضارة بمعناها الحقيقى ودع المساوئ السلوكية التى أفرزتها سلبيات المدنية الغربية، والتى أعلت الجانب المادى وأغفلت الجانب الروحى دون مبرر معقول!.

١- التطور دأبنا :

الإسلام ليس صخرة كما يعرضه المبطلون، فأى حكم فى الإسلام يمنع التقدم؟ وهنا نفرق بين مبادئ الدين وواقع المسلمين.

فالإسلام فيه من المبادئ، ما يواكب كل عصر ومصر، فيه ثوابت فى العقيدة والشريعة، ولكنه فى أمور حياتنا يحض على التغيير والتطور والتقدم والعصرية، وإلا ما استطاع أن يطوى أربعة عشر قرناً من عمر الزمان، وأن يصل اتباع محمد ﷺ إلى ما يزيد على المليار ولا يجحد ذلك إلا من سفه نفسه.

والتطور الحقيقى هو التطور فى المنجزات، أما الأخلاقيات والسلوكيات فلا يرد عليها التطور، فالقيم هى رواسى شامخات، دعامة

المجتمع الفاضل، كصدق الوعد ووفاء العهد والبذل والكرم والشهامة والشجاعة والاستقامة والحياء والتضحية فما شأن التطور بها؟، ويوم أن تتسرب من المجتمع يكون قد أذن مؤذن بإشهار إفلاسه.

والإسلام هو دين الاغتراف من المعارف والعلوم ولكن دون اقتباس سلوكياته من أصحاب الملة الأخرى قال تعالى : ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف:٤٠]، وهو اليوم يقدم للعالم المترامى الأطراف منظومة القيم الإنسانية مهما ران على أهله من السلبيات، فكم نحن محسودون على الرشد الأخلاقى وخلو ساحتنا من الأمراض الإنسانية الخبيثة التى جلبتها السلوكيات الهدامة باسم التطور والعصرية؟

وصدق الله العظيم : ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه:١٢٤].

٢ – معنى التقدم:

التقدم والتحضر نوعان: مادى وأدبي، فالتقدم المادى اختراعات وإنجازات، والتقدم الأدبى رقى فى السلوكيات، فتجرى حركة التقدم فى إطار أخلاقي، ومفهوم الغرب للحضارة مرتبط بالعلوم والمعطيات المادية وهو موجه لرفاهية الإنسان دون تقدير لإطار الدين، ولذلك تظهر عورات المنهج الغربى الوافد لعجزه عن تفسير الحضارة الإسلامية فى نطاق معنوياتها التى يعجز عن تصورها. إن كل المظاهر المادية للتحضر لا يرفضها الإسلام، وإنما يرفض إخراج المسلمين عن نمط حياتهم ومنهج فكرهم للإقبال على الترف والتحلل، ومن هنا تكون

يقظة الفكر الإسلامى لرصد التسلل الذى يختفى وراء المنهج الثقافى الوافد فى محاولة صياغة عقلية الشعوب الإسلامية وفقاً للقوالب الغربية، فالحضارة الغربية بالرغم من عطائها الموصول فى العلوم والمعارف مقعدة وعاجزة أن تعطى اليوم شيئاً للنفس البشرية، لأنهم لا يسمحون للدين أن يؤثر فى الحياة العملية، وحينئذ يكون الإنسان مرشحاً لأن يتبع هواه فيردى، والخلاصة أن الإسلام يحض على الأخذ بكل علوم العصر وفى الوقت نفسه يضمن السعادة للإنسان دون أن يتبع هواه فيردى.

٣-مفهوم الأصالة والمعاصرة فى السلوكيات :

سلوكيات الفطرة هى أساس الحضارة وتجاهلها هو أحد الأسباب فى أزماتها وتعثرها، والنموذج الذى لا يلبى مطالب الفطرة يتأزم بعد حين كما كان حديثاً بالنسبة للاتحاد السوفيتى، وهكذا فالحضارة الغربية بما حوت من تقدم وازدهار فى العلوم والابتكارات تتجه إلى التأزم والانفجار نتيجة تغييب المقدس وإنكار فكرة التدين وفصل الإنسان عن أحمد السلوك [1]، فهل تعنى المعاصرة أن تنقلب موازين السلوكيات ؟ هل تعنى أن تنقلب أفراح المسلمين إلى مراقص أو تتحلى المرأة الريفية والبدوية العربية بزى الأوروبية، أو أن يتحدث العربى بلغة أجنبية مع العرب؛ وأن يحيا البيت العربى بمناخ غربى؛ إننا إذن أمة ضحكت من جهلها الأمم، إن السلوكيات المنبثقة من القيم لا يرد عليها التطور فمحل ذلك هو الاختراعات والماكينات والأدوات، فالقيم لا تهتز أو تبلى على مر الزمان.

---

(١) انظر الإيمان ملحق الأبناء الكويتية، غازى التوبة، فى ٢٠٠١/١/٢١م.

والراصد لأوضاعنا الثقافية يلمح أننا نتعامل مع كل وافد من الغرب على أنه معاصر، ومع كل إسلامى على أنه رث وقديم، وهذا ليس بصحيح، فهناك اجتهادات إسلامية منذ لاح فجر الإسلام وسناه واجتهادات عصرية فى كل فروع الثقافة الإنسانية التى تشكل العقد الفريد لسلوكيات السوى المهتدى.

ولم ترفض الحضارة الإسلامية فى أى مرحلة التعامل مع العالم أو التفاعل معه مطلقاً، فبعد الفتوحات الإسلامية التى أدخلت أهم الحضارات القديمة (الفارسية والهندية واليونانية) فى إطار الدولة الإسلامية حدث اعظم ألوان الانفتاح الحضارى وأوسعه من العرب المسلمين على تلك الحضارات القديمة، لكنهم ميزوا بين المشترك الإنسانى العام فاستلهموه ووظفوه محكوماً بأخلاقيات الإسلام، وبين الخصوصيات الحضارية فرفضوها، بل شنوا عليها - عندما تعرضوا لغزوها - حرباً ضروساً.

وبهذا المعنى تتعزز أواصر الاتصال والانفتاح بين ثقافة المجتمع المسلم مع حضارات الآخرين دون الإخلال بموازين الأصالة وجوهرها[1].

لنعلم جيداً أن السلوك الأوروبى ليس معاصراً بل هو وافد عليهم من الإغريق والرومان، ممزوجاً بما رانا عليهما من بقايا الوثنية والمسيحية، فالقيم الغربية هى قيم إغريقية ذات قشرة تنسب فى شقها السلوكى السلبى للمسيحية مع أن شريعة عيسى بن مريم وهو منها براء.

---

(١) محمد صالح العجيلى ، (مرجع سابق).

والإعراض عن تقليد الأجانب ليس معناه أن توصد الأبواب أمام الانفتاح الفكرى على العالم المتقدم، فنحن مأمورون بالتقليد من فورنـا فى مجال العلوم والتكنولوجيا وإلا صرنا مع الخوالف.

فقضية التقنية هى قاسم مشترك بين أهل الأرض، فمن وجـدها فى كون الله الفسيح فهو أحق بها وأهلها، ولا يقف هنا حائل سوى مـا تفرضه أصول التلاقح الفكرى، فقومنا محوطون بسـياج مـن عقيـدة وشريعة غراء تحظر استخدام الناتج العلمى فى غير الأغراض النبيلة، فلا تستخدم الكيمياء مثلاً فى إبادة البشر.

هل طرق طارق لإحداث تعديلات فى منظومة القيم التى أتى بها النبيون من ربهم، والتى بها يحمل كل مجتمع شهادة صحية بالخلو مـن الأمراض السلوكية التى تفتك بأهله؟.

هل تعنى المعاصرة أن يتخلى "محمد" أستاذ الجامعـة وموجـه الأجيال عن الاعتداد بذاته الإسلامية وقيمه فى محاضراته وندواته وما يتبع ذلك من قول أو فعل، فإنه إن فعل ذلك سيما فى حضرة الأجانـب أو أصحاب الملة الأخرى فقد ضل سعيه، وسيرمونه بالتبعية والدونيـة والهزيمة النفسية، لتجاهله ذاته العربية ودينه الـذى ارتقـى بـه إلـى العالمية، ولن تنجح الحضارة الغربية فى استيعاب الحضارات الأخرى وأهلها، طالما أن لكل أمة معطياتها الحضارية الثابتة، فهنـاك عوامـل مضادة لها، منها بروز عدد من النماذج بين الدول النامية، فضلاً عـن المنافسة والصراع بين قوى العولمة ذاتها، كل أولئك يمكن أن يسـارع بها إلى النهاية المحتومة فى مزبلة التاريخ أسوة بشقيقتها النازية.

ثالثاً : إعلاء شأن حسنائنا :

لغتنا العربية هى الوعاء الذى حمل لنا القرآن الكريم المنزل من السماء إلى أهل الأرض، ومن بركات القرآن الكريم تقويم إعوجاج اللسان والذى بدأ على ألسنة الأجيال وأستوى فيه الأستاذ والتلميذ، والشرف هو أن تتكلم بلغتك فى وطنك، أما أن تتكلم بلغة غير متناسقة مع قومك فتلك خسة، ولغتنا هى البحر الزخار الغاص بالكنوز واللآلئ فهى حيوية وقوية، ولا يمكن أن يصل إليها التسوس، فهى مواكبة دائماً لموكب الحضارة، كما واكبتها القرون الماضية، ولكن إذا لم نعجل الخطى داست علينا الأقدام، وأى اتهام قبلها فهو من سوس البشر، وتعظيمها اليوم مهمة العلماء والأمراء.

إن الثقافة العربية لن تتحقق لها عالميتها ولغتنا مهملة من جانب أهلها، على أن تعلم اللغات الأجنبية وإن كان مطلباً حضارياً ملحاً، فهو لا يعنى اتخاذها بديلاً للسان العربى فى التأليف والإبداع، ومن ثم يكون السبيل إلى التحضر، هو مواجهة التحديات التى تعترينا، وشفيعنا تاريخنا الحضارى المتجذر[1] الذى يشحذ الهمم، وحين نعظم لغتنا فهو تعظيم لديننا وتعضيد لكياننا وعصمة له من الذوبان.

رابعاً : مواجهة التبعية فى ميدان الدراسات الإنسانية :

تلك أولى الخطوات التى بها نبدأ، فالعلم حقائق لا تختلف أصولها من دولة إلى دولة كالكيمياء والرياضة والطب، أما الثقافة فهى المعارف التى تشكل سلوك الإنسان، وهى خليط من العقيدة والثقافة

(١) سعيد بيومى ، اللغة والنزعة الليبرالية ، مقال الأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/٦م.

العامة ومختلف المعارف، وهى لذلك تختلف من أمة لأمة، ويجب أن يكون لكل أمة ثقافة مميزة لأنها هى التى تشكل السلوكيات وعن طريقها يتم الاختراق، وإلا صارت فى عداد الاتباع والمخلفين، وانتاب أبنائها الشعور بالدونية.

وهنا يقول محمد إقبال رحمه الله: إياك أن تكون آمناً في العلم – يقصد الثقافة –، الذى تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل أمة بأسرها. وهو يشير إلى الاحتلال الثقافى أو احتلال العقول لأمة ما، ثم سيرها على منهج المحتل المختل [(١)].

١ – جذور الثقافة الغربية تختلف عن جذورنا الفكرية :

نحن لا نغمط القوم حقهم، ولا نبخسهم أشياءهم، فلديهم نظريات "تربوية" جيدة ونظريات أخرى فى كل مجال، ولكن الذى نؤكد عليه أنه ليس بالضرورة أن نغمض أعيننا فنأخذ كل ما عندهم، ولسنا ملزمين بأن نلغى ذواتنا لنعيش ذواتهم، فليس كل ما لديهم يصلح لنا، فهم شئ ونحن شئ آخر، فبالتالى يجب أن تختلف سلوكياتنا عنهم[(٢)].

الثقافة هناك هى مادة من صنع أيديهم من إعداد المفكرين والفلاسفة والكبار اللادينيين، فهى دائمة عرضه للتغيير والتبديل، أما ثقافتنا فأصلها ثابت فى صحف مطهرة تؤت أكلها كل حين ولا تبلى على مر الزمان بل تزداد طرحاً بفضل النابغين والراسخين فى العلم، وخذ مثلاً بسيطاً للفارق بين الثقافتين، فالمريض الميؤس من شفائه قتله عندهم عمل إنسانى وهو ما يسمونه بالموت الرحيم!! وفى ثقافتنا يعد

---

(١) محمد الغزالى ، حصاد الغرور ، ص١٨٨ .

(٢) راجع : د/ عبد الله الشيبانى .. المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ص١٥٣.

جريمة نكراء، وعلاج الأمراض النفسية عندهم ليس لـه طب روحى، أما عندنا فقرآناً عجباً يشفى صدور قوم مؤمنين، والاختلاط عندهم ليس لـه حدود أو قيود رغم ما غشيهم من موبقاته، أما فى ديننا فهو إن زاد عن ضوابط الشرع ينقلب الأمر من مسرة إلى مضره، والمـرأة فـى الثقافة الغربية أم الخطيئة وقضية شغلت المفكرين وأقضت مضاجعهم، لكن هى فى تراثنا قضية بلا متقاضين، فهى ملكة متوجه على عرشـها وأميرة فى بيتها.

رجال الدين عندهم فـى محـراب وكهنـوت لا يقربـه حتـى المقربون، أما فى الإسلام فالتفقه فى الدين يضطلع به أهل الذكر وكـل من شاء ولا يكتمون الناس حديثاً.

الربا عندهم حلال مهما حوى من الانتهاز، وفى ملتنـا باطـل مرفوض، وولد الزنا لديهم يسمى ابناً طبيعياً أما عندنا فهو من سـفاح مهما طال عليه الأمد.

هذا قليل من كثير، فروق وفتوق هائلة، فما سر اختلاف الثقافتين الذى ولد اختلاف المسلكين.

بادئ ذى بدء العلوم لا تختلف من دولة إلـى أخـرى كالفلـك والطب والكيمياء – كما سبق – فهى تتخطى الحواجز بلا حرج، فالعلم مشاع بين الدول، أما الثقافة كما يقول مالك بن نبى : ليست مجموعـة من المعارف وإنما هى نظرية فى السلوك، هـى مواقـف وعواطـف وعادات واتجاهات يثريها الدين بوجه خاص، ولكل أمة ثقافتها، وعسير على أمة لها مجدها أن تفتح أبوابها لثقافة غازية لعدم تجانسها مع عقول أبنائها، وإلا أصيبوا بالمسخ الثقافى.

وفى الغرب يستلهمون ثقافتهم من الفكر اليونـــانى والإغريقـــى الوثنى المشكل فى إطار المســيحية المحرفـــة علـــى أيـــدى الأحبـــار والرهبان، فاليونان قد مثلت على مسرح الحياة دوراً خالداً يتيـــه علـــى الزمان بآدابه وتراثه، ولا تزال مكتبات العالم مزهوة بآثارهـــا ولكـــن طبيعة الحضارة الإغريقية تميزت بما يلى :

(١) قلة الدين والخشوع، فما قدروا الله حق قدره، فقد كانوا يعظمـــون آلهتهم بالرقص والغناء.

(٢) شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام بلذائها والميـــل إلـــى اللهـــو والطرب فى حياتهم.

(٣) الحرية الشخصية التى لا تعرف حداً ولا قيداً، وهو ما ترك فـيهم تأثيراً سيئاً فى الأخلاق.

(٤) النزعة الوطنية لا تزال اليوم من طبيعة الأوروبي، ثم جـــاء دور الروم – خلفاء لليونان فى المجد والسؤدد – ففاقوهم فى القوة والتنظـــيم والجندية، ولكنهم لم يلحقوا بهم فى العلوم والفســـلفة والآداب فـــانقلبوا صاغرين للمدنية اليونانية التى غلب أهلها فـــى السياســـة، واســـتمرت اليونانية لغة العلم والتأليف، وانقلبت الثقافة اليونانية إلى الروم، وكانت النتيجة أيضاً هى الإيمان بالمحسوس فقط، وشك فى الدين أو الإيمـــان بالغيب.

وقد انتقلت هذه الرؤى عبر العصور حتى استقرت فى أحشـــاء نظم الغرب، وصارت هى الميراث والتراث، فطفق ابن الغرب يقـــدس الحرية الجنسية مثلاً، غافلين عن شرف الإنسان، وطهـــارة الأنســـاب، وتعطل الفكر عن الاعتداد بمسائل الحلال والحرام، وتلكم هى الجـــذور الغائرة فى الثقافة الغربية، وبينها وبيننا بُعد المشرقين.

٢- غربلة المستورد الثقافى [١] :

وإذا أردنا أن نثب وثبة النهضة فلابد من كتاب جهابذة يتناولون الثقافة الغربية بإنصاف بمالها وما عليها، وهنا ندقق مثنى وثلاث ورباع، لأنها تعانى من انفصام فى القيم حتىَ صار الرقص فناً مزدهراً راقياً وعارياً، وتمنح الجوائز للأكثر إغراء وإثارة.

إن ديننا يوجب علينا أن نأخذ من تجارب الآخرين، ثم نعيد صياغتها صياغة إيمانية، فنأخذ حينئذ من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين لنقدم لأجيالنا أزكى طعاماً.

وهنا ينصح ناصحوا الأمة أن استيراد التكنولوجيا الغربية يجب ألا يشمل القيم الغربية، إذ لابد من عرض قضايا علم الإنسان على أصول الشريعة الإسلامية كمصفاة تحجب رذائل الغرب السلوكية، كما يحذر الناصحون من سيطرة أو هيمنة فلول الشيوعيين القدامى على مراكز الثقافة العربية، وهؤلاء متهمون بأنهم غير محايدين، فيلبسون الحق بالباطل، ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

٣- تقليم أظافر العولمة :

لم تنجح الحضارة الغربية كما يقول الباحثون فى استيعاب الحضارات الأخرى طالما أن لكل أمة معطياتها الحضارية الثابتة، فالنيل من خصوصياتنا الحضارية عن طريق الأمركة أو العولمة كرة خاسرة لأن أصالتنا تجرى فى دمائنا وثوابتنا وفى عروقنا، ونحن مرتبطون بجذورنا.

---

(١) المستورد الثقافى غير المستورد فى العلوم فلا ترد عليه الغربلة .

والكنز الثقافى عندنا متخم بينابيع المد الإسلامى، وهو يحمل فى طياته مرتكزاً لصد كل تيار وافد هدام، ومن هنا فنحن قادرون على تقليم أظافر العولمة، أو التعايش معها بندية كاملة تحول بيننا وبين الدخول فى دين الملك.

فلدينا ثغور متينة وجبهات متربصة مضادة للعولمة، منها بروز عدد من نماذج القوة بين الدول النامية، فضلاً عن المنافسة المشتعلة بين قوى العولمة ذاتها، كل أولئك كفيل بأن يجرها إلى مزبلة التاريخ ونهايتها المحتومة أسوة بشقيقتها النازية من قبل.

هل نخشى خوفاً أو دركاً من الثقافات نحن المسلمين، نعم هناك زحف من تلك الثقافات وليس ذلك علينا بعزيز، ولكن لا يكون ذلك بالتقوقع على أنفسنا وبالخوف على ديننا فللبيت رب يحميه، والإشكالية القائمة هى كيف نستفيد من النظام العالمى من إيجابياته إن كانت له، مع الاحتفاظ بالعراقة والهوية، بل ولا مانع أن تكون ملامح العولمة القادمة هى العولمة المسلمة بمفهومها الإسلامى لا بمفهومها الغربى.

خامساً : تقليد الغرب فى أحمد سلوكه :

١- نحن لا نعادى الغرب فلسنا دعاة حرب :

وكيف لنا أن نعادى الغرب، وديننا عالمى الرسالة، ورسولنا رحمة للعاملين، وجاء للناس كافة **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[١] [الأنبياء:١٠٧]، وإن كان الغرب الجديد ينظر إليه من طرف خفى على أنه العدو الأخضر بعد تشييع عدوه الأحمر – الشيوعية – إلى مثواه الأخير.

---

(١) دكتور محمود عكام : الأنباء الكويتية ٢٠٠٠/٣/٣١م، ولقد قال علماؤنا سابقاً أن هناك أمتين ، أمة الإجابة ، وهؤلاء من أمنوا وأمة الدعوة وهؤلاء من تجب دعوتهم إلى الإسلام بالتى هى أحسن ، وعلاقتنا بالغرب محسومة لصالح الدعوة الإسلامية.

إن من الأمور التى ذكرها فى الأرض سار أن الإسلام هو دين السماحة وأتباعه رسل فى الرشد الأخلاقى، والغرب صاحب حضـارة زاهرة ونحن مدعون إلى الاقتباس منها، وأهل الشرق والغرب أصحاب رسالة سماوية لا فلسفة بشرية. ومن ثم فهم جميعاً فى سـرادق واحـد ينهلون مما أوتى النبيون من ربهم، فنحن أبناء عمومة فى مجمع الأديان والإيمان.

نعم هناك حقد متجذر لرواسب تاريخية من مفكرى الغرب وهم يعملون على إيجاد صنورة مزيفه لا صلة لها بالحقيقة أو الواقع، صورة غريبة بشعة كالحة عن الإسلام، بهدف تسويقها للمواطن الغربى بغيـة تحصينه ضد الإسلام، وجعله خائفاً أوكارها لـه، فأساء هـؤلاء إلـى الدين الإسلامى وإلى المواطن الغربى معاً، ولقد مارس هؤلاء الكتـاب الغربيون أكبر وأوسع عملية تزييف وعى فى التاريخ كله، كما أسـاءوا إلى العلاقات بين الغرب والشرق وإلى السلم العالمى وإلى الموضوعية والحياد، ولا يزال بعضهم يعمل على تكريس صورة باطلة مضللة عن الإسلام والمسلمين مستفيدين من ثورة الاتصـالات نقـل المعلومـات، معدلون قليلاً أو كثيراً فى السيناريوهات القديمة بهدف ما يسمى "أسلمه الإرهاب"، على حد وصف أحد كتاب "الأهرام" كل ذلك من أجل تهيئـة أجواء الخصومة، وتعبئة النفوس لإشعال فتيـل صـراع الحضـارات والديانات وفى مقدمتها الإسلام، العدو الخضر كما يطلقون عليه[1].

نعم هناك مرارة فى النفس كامنة عند كثير من أهل الغرب منذ وهم الحروب الصليبية والتى انتهت بانتصار المسلمين علـى جحافـل

---

(١) د. محمد الشرقاوى مقال فى لأهرام عنوانه الإسلام كيف يراه الغرب ؟

الروم الغازية، وهو ما يدفع إلى هجمات شرسة أحياناً من ثلة الحاقدين على الإسلام، ولكن المسلمين لا يبسطون أيديهم بالسوء طالما كفوا أيديهم عنا. فنحن مأمورون بالقسط إليهم طالما أنهم لا يقاتلونا فى الدين.

ومن هنا فإن سلوكيات الأجانب ليس لها علينا من فضل إلا إذا كانت فى المحاسن، ونحن نمد أيدينا إلى الغرب لنقتبس منهم أحسن ما عملوا، وباختصار شديد فإن الإسلام ليس له عدو.

٢ - التقليد فى النفيس دون الرخيص :

نحن أول المهنئين والداعين لتقليد الغرب ولكن فى المحاسن ما ظهر منها وما بطن.. عن أسرار النهضة والمعارف الراقية والعصرية فهى قصة نجاح.

ومن تلك السلوكيات المحمودة والتى يجب أن تنكب عليها لأنها مواكبة لديننا. تقليد الشعوب الأجنبية فى الحفاظ على قوميتها [1].

يقف الإنسان حائراً مشدوهاً أمام شعب مثل الشعب الإنجليزى الذى اشتهر بأنه شعب تقليدى يحافظ على قيمه وأعرافه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ولا يرضى بالاقتباس من أمم أخرى ولو كانت تلك الأمم أمم أمثالهم.

وهناك آية أخرى رائعة على تمسك الشعوب الأجنبية بتقاليدها هو أنك تجد الأيرلنديين بدورهم مع كونهم أمة صغيرة تجاور بلاد الإنجليز، وقد حاول الأخيرون جاهدين استمالتهم وإدماجهم فى مجتمعهم وصهرهم فى شعبهم مدة بلغت سبعة قرون، ولكن الأيرلنديين صدوهم

(١) انظر مؤلفنا ترشيد الواقع الإسلامى ص١٣٧.

عن ذلك ولبثوا على عقيدتهم وتمسكوا بأذواقهم وعاداتهم التـــى شـــبوا عليها وأصروا على ذلك واستكبروا استكبارا، عارفين الفضل لأمـــتهم معترفين لها بالجميل.

إن الجاحد لفضل المجتمع الذى يعيش فيه هو الذى يرضى أن يتنازل أفراد شعبه عن قوميتهم وذاتيتهم، والجاحد فى البلاد الإســـلامية هو الذى يود أن يتنصل المسلمون فى بلادهم من مقومات شخصـــيتهم ويجرهم إلى ى إنكار ماضيهم ومجدهم، ومثل هذا الخذلان لا يصدر إلا عن ضعيف النفس "دنئ الأصل"، فالسلوك الطبيعى والأمثل هو أن تميل كل أمة إلى الاستمساك بمقوماتها وعناصر وجودها من لغة وعـــادات وعقيدة[1] ونحن لا نصر على التمسك بأى شئ وإنما على أن تحـــافظ الأمة الإسلامية على شخصيتها من الذوبان وألا تكـــون مزيجـــا مـــن شخصيات من أمم شتى.

نعم لنقل الحضارة العلمية لا للخصوصية الثقافية، نعم لنقل العام الذى اصطلح على تسمية باسم الحضارة، دون الخاص وهو الثقافة التى تشكل سلوك كل شعب، وهى الفريد غير المشترك والذى يميز شعبا من شعب [2].

٣- بصائر إلى المفتونين بالغرب

أ- محاسن الغرب هى أصلاً بضاعة الشرق :

كل النفائس التى بهرت أعين الناس والوافدة من الغـــرب هـــى أبجديات فى ديننا ولكن غفل عن ذلك الغافلون.

---

(١) شكيب أرسلان ، مرجع سابق ، ص٨٩.

(٢) انظر د. أمان عبد المؤمن أشكالية التقدم فى العالم الإسلامى . دار النهضة العربية ص٥٨

نعم الغرب لـــه شرعة ومنهاجا أوصلته إلى مـــدارج الكمـــال، ولكن إيجابياتهم كلها مفصلة على علم عندنا، ثم ضربنا عنهـــا الـــذكر صفحا بفعل الانهزام الثقافى، ودأبنا فى التفريط فى كل عزيـــز لـــدينا، يضاف إلى ذلك ما يحدث من تعتيم أو تهميش لتراثنا لمحاولة محوه من الخريطة العالمية الثقافية أو التاريخية.

كل سلوك غربى محمود عندنا، فى الكتاب مســـطوراً، أو فـــى الروض النضير من كلام سيد المرسلين.

فالحفاوة بالعلم أول آية أنزلت فى القرآن حضا عليه والتـــزاحم حوله بالمناكب قال تعالى **﴿اقرأ﴾** [العلق:١] وقول المصطفى ﷺ "**اطلبوا العلم ولو فى الصين** ".

وتكريم أهل العلم ورفعتهم فى قوله تعالى : **﴿قُلْ هَـلْ يَسْـتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾** [الزمر:٩]، وفى قوله: **﴿يَرْفَـعْ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** [المجادلة: ١١].

فالإسلام دين التقدم، الذى صنع الحضارة التى تجمع بين المادة والروح فى تناغم خلاب ؛ العقل مع القلب، والمثالية مع الواقع، وهو ما جنحت فيه حضارة الغرب إلى اليوم بسبب الفراغ العقائدى والعطـــش الروحى رغم التقدم العلمى.

وإذا سأل سائل عن إتقان العمل وجودته فيقول الله تعالى : **﴿إِنَّ الَّذِينُ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَـنَ عَمَـلا﴾** [الكهف:٣٠] وجاء فى الأثر " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"

وبقية السلوكيات الممدوحة عندهم، ينابيعها فياضة عندنا مفصلة منذ أربعة عشر قرن من الزمان، فالنظافة عنوان المسلم الحق، يقـــول

تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر:٤]، ويقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وشريعتنا وأخلاقنا غنية وثرية بسلوكيات نفاخر بها لم تنضم إلى إيجابياتهم بعد. يكفينا فى هذا الصدد أن أكبر كابر من أهل الطب من أهل الغرب لا يعرف التطهر من الخبث - من التغوط أو الجنابة - وهيهات أن يستوى الورق الذى يستخدم فى التنظيف والتشطيف من الماء الطهور الذى يستأصل الخبث والأدران، من منهم يعتزل النساء فى المحيض ؟ أو يتجنب لحم الخنزير وأقل أضراره أن تضعف الغيرة الجنسية عند الجنسين، ويصاب بالدودة الشريطية، فضلاً عن انتشار قمل العانة عند الكثير منهم مع توافر الوجاهة الفطرية.

وعن الحرية والإخاء والمساواة، فكل أولئك أوليات عندنا، فالديمقراطية الغربية ولو أعجبك حسنها من وضع البشرية، ولا عصمة لفكر بشري، ومن ثم تتكشف عوراتها حينا بعد حين، فنوادى العراة من مباهج الديمقراطية، أما الإسلام فهو نظام شامل وكامل يستوعب الديمقراطية الغربية بكل ما حوت فى إيجابياتها، ويرتفع عن سلبياتها ليبلغ درجة السمو، فهو ليس مقصورا على السياسة وإنما يتسم بمبادئ الأخلاق التى لا يمكن للديمقراطية أن تصل إليها، جمع فأوعى، ولا غرو حينئذ أن يدلى الكاتب البريطانى الشهير (ديفد ماكداول) فيقول فى مؤلفه (أوروبا والغرب): إن الديمقراطية ليس ملكية أوروبية، بل الإسلام هو الأكثر ديمقراطية سيما فى مطالعه [1].

---

(١) الأهرام ١٩٩٣/٩/١٣م.

وإذا كان هناك خلل بين مبادئ الدين وواقع المسلمين فى أى عصر ومصر فلا يحسب ذلك على الإسلام، وإنما على من فرط من المسلمين.

يضاف إلى ذلك أن الغرب لم يجتمع سادته وكبراؤه على كلمة سواء فى شأن الديمقراطية، فها هى الديمقراطية الماركسية التى زلت لها الرقاب، وهناك ديمقراطية رأس المال التى حولت الغرب إلى طائفتين فجعلت أهله شيعا، ونبت فى ظلها تشريعات الإباحية وشاع فى سرادقها التفكك الأسرى.

والتخطيط النابه الذى تفوق به الغرب وارتقى، القرآن الكريم قد قننه منذ أربعة عشر قرن من الزمان ﴿..لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ﴾
[الحشر - ١٨]

وفى سورة يوسف درس مجيد لأساتذة التخطيط ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾
[يوسف: ٤٧-٤٩]

ومبادئ الاقتصاد فى الإسلام رواسى شامخات، تحول الجبال إلى جنات معروشات، علم هائل يفتقر إلى التطبيق، ولو طبقت مبادؤه كما هى مفصلة على علم عندنا لأصبح الناس فى رفاه دائم، ولو أن أوروبا استوعبت نظام الزكاة فى الإسلام لامتنع صراع الأحزاب أو الطبقات وشاع التكافل، ولما ظهر كارل ماركس بأبخس النظريات التى أضلت العلم سبعين عاما وأردت دولا مواطن الردى.

والخلاصة أن كل سلوك ممدوح فى الغرب هــو فــى الأصــل بضاعتنا مهما ضربت علينا الذلة أو التعتيم الثقافى.

ب- الإسلام سبق الغرب فى (الاتيكيت) [1]:

منذ ألف وأربعمائة عام من الزمان دعا الإسلام الناس إلى كــل سلوك حسن محمود ممدوح بهدف الارتقاء بالإنسانية، ورســم صــورة طيبة لشخصية المسلم وآدابه تتناسب مع كل عصر ومصر، وإذا كنــا الآن نطلق على فن التعامل الراقى مع الآخرين كلمة " اتكيــت " فــإن الإسلام قد بلغ فى ذلك شأنه وشأوه قبل أن يعرفه الغرب، فلــم يتــرك صغيرة ولا كبيره دون الإلمام بها.

وقواعد الاتكيت على هذا النحو مبســوطة فــى كتــب الفقــه والأخلاق والسلوك تهتم باللباب دون القشور، ومن ثم كانت هناك آداب المائده وآداب المجالس وآداب التحية والاستئذان، ومن ذلك مثلا أصول التعامل مع المرأة ومعاملة الأولاد والجيرة والعشرة، فمن آداب المائــدة مثلا أن الدعوه سنة مستحبة وإجابتها فرض على المدعو وبذلك ينتشــر الترابط والتراحم والمودة، ومن ذلك أن يأكل المــرء مــن أمامــه ولا يغوص بيده فى كل الوعاء وأن لا يضع فى فمه طعاما كثيراً ويشــرب من كوب الماء على ثلاث مرات، وشرع التسمية قبل الأكــل والحمــد بعده، كما نهى عن التنفس فى الإناء، وعن الذهاب إلى المسجد لمن أكل ثوما أو بصلا وهذه الآداب قمة فى الاتكيت، لأن فــى الغــرب تفــوح رائحة الخمر من كل الحضور دون أن يتأذى كبيــر أو صــغير فــى

---

(1) انظر: محمد عبد القدوس، تعاليم الإسلام قمة الاتكيت ، مجلة كلام الناس العدد ٤١٥ ، ٢٧ أبْرِيل ٢٠٠١م وانظر الأهرام فى ١٣/ ٢٠٠٢/١٢

ناديهم، وهناك قمة الاتكيت أيضا فى علاقة الرجل بالمرأة الأجنبية بما يحفظ عليها كرامتها ويصون عرضها، وإذا كان هناك فى الغرب تقليد يقول " ليدزفيرست " أى (النساء قبل الرجال) فإن الإسلام قد سبق فـــى تقعيد هذه القاعدة وكان دأب الرسول ﷺ انى لو كنت مفضلا أحداً فـــى العطية لفضلت النساء أولا.

والتحية الغربية هى تلك الابتسامة المصطنعة، أما فى الإســـلام فهى إدخال السرور على الغير بما يبعث الطمأنينة فـــى الـــنفس، وأن تتجمل بمكارم الخلاق مع من نلتقى بهم بصرف النظر عـــن اخـــتلاف دينهم أو جنسيتهم.

أما عن **فن المجاملة**: ومنها "مجاملة الجيران والضيوف وزيارة المرضى وتقديم التعازى فقد أوصى رسول الله ﷺ بضرورة مراعاة حق الجار وإكرام الضيف بقوله : **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**)، وكان رسول الله ﷺ يـــزور المرضى ويشهد جنائز المسلمين ويلبى الدعوات.

أما عن احترام المواعيد: قال الله تعالى : **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾** [النحل:٩١] ولقد أكد الإسلام ضرورة المحافظة على المواعيـــد وعدم التخلف عنها إلا لعذر قاهر خارج عن الإرادة، وفى حالة التخلف عن الموعد يجب الاعتذار.

أما عن مراعاة الأولوية: "العطف على الصغير ومراعاة حـــق الكبير" فقال رسول الله ﷺ : **(ومن لم يرحم صـــغيرنا ويـــوقر كبيرنـــا ويعرف لعالمنا حقه فليس منا).**

أما عن آداب الزيارة وضرورة الاستئذان، فقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٧-٢٨].

فمن آداب الزيارة ضرورة الاستئذان واختيار الوقت المناسب وتحية صاحب البيت.

أما عن المصافحة : فكان من أفعال الرسول ﷺ إذا لقى أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها.

أما عن آداب الجلوس : فلم ير أحد الرسول قط مادا رجليه بين أصحابه.

أما عن آداب الطريق : فقال رسول الله ﷺ: **(ليسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير).**

أما عن عدم رفع الصوت عند التحدث: فقد قال الله تعالى : ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان: ١٩]

وباختصار شديد فإن الاتيكيت الغربى ليس له هذا التأثير النفسى القوى مثل قواعد الذوق الإسلامى، لأن الإنسان قد يلتزم به مرة ويتركه مرات، أما التعاليم الدينية فلا تفوت المؤمن الصادق والمؤمنة، وعندنا فى هذا كتب المحاسن والمساوئ وهى بحور بلا شطئان لمن شاء أن ينهل أو يستزيد.

سادساً : تحصين المبعوثين :

المسلم فى الخارج يحيا حياه كريمة فى مناخ رقراق، والمبعوث المسلم صاحب رسالتين، رسالة فى الاغتراف من العلوم الراقية فى عصر التواصل الثقافي، ورسالة فى عرض دين القيمة، ودعوانا أيها المثقفون أذهبوا إلى ديار الغرب غير خزايا ولا مفتونين، فأنتم أمل أمتنا فى إنقاذ واقعها المريض لتعود إلى مجدها المجيد.

ولكن المشكلة فى أن المبعوث إلى الغرب غالبا ما يذهب دون حصانة فكرية، بل يحمل فى طياته شعورا بالدونية وركاما من ثقافة هابطة، وهان عليه أن يعى أن العلم لا شأن له بالسلوك، أمامه كتاب الكون المفتوح بعجائبه وغرائبه، ولكل أمة سلوكياتها التى لا تتصادم مع العلم. تلك السلوكيات قوامها الاعتداد بالذات.

فالعلم ينظر فى الخمر مثلا فيكشف مدى إثمها ونفعها فى الجسم، بينما يترك لرجال الدين والأخلاق كلمتهم فى حلها وحرمتها، وهنا يرتكب خطأ كبيرا من يربط بين التقدم العلمى فى بلد وبين أخلاقها، فقد يجتمعان وقد ينفصلان، وقد يجتمعان كما كان فى صدر العصر العباسي، وقد ينفصلان كما هو الشأن فى المدنية الغربية المعاصرة، فقد خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فى ميدان السلوكيات، إن الدين يجمع محاصيل القرون الأولى من الأخلاق والسلوكيات ليقدمها لطالبيه سائغ شرابها، فيعصمهم من اضطراب الفكر وعثرات السلوك وهناك ثلاث قواعد ذهبية على المبعوث اتباعها، وهى : علم أبناءك اللغة العربية، ثم الدين بعيدا عن الخرافة، ووسع من علاقاتك وأصدقائك.

والاندماج فى المجتمع الغربى حتما مقضيا، ولكــن الانــدماج الإيجابى وحده بإيجابيات الإسلام أو محاسن الغرب، وباختصار شــديد فإن المبعوث الحصين من رسل رسول الله ﷺ، فى عصرنا هو حامــل رسالة ينثرها وينشرها بذكاء مبين فى تربة خصيبة تؤسس بنيانها على عدل الحكام وعلم العلماء، وأنت أيها المبعوث فيهم حين تعود أدراجــك إلى ديارك يطوق عنقك أمرين؛ أولهما: ألا تعود لنا بسلبيات الغــرب، ومن هنا تكون المناعة السلوكية، وثانيها: عاشــر عشــيرتك بلغــتهم وأعرافهم يعلو شأنك وشأنهم فتلك الأصالة مع المعاصرة.

على أنه مما يبشر المؤمنين أن هناك اليوم صــحوة إســلامية ومراكز إسلامية، وإن كان دورها محــدود أو مفقــود، إلا أن هنــاك مبعوثين من صالح المؤمنين مَنَّ الله عليهم بالحصانة الفكرية فهم بمفازة من كل تيار معاد، لا بل هم منارة لنا فى الغرب، معقود عليهم الأمل إن خالطوا أبناء المجتمع الغربى فى أن يدخل عاقلهم فى الــدين، فالمنــاخ ملائم والتربة خصبة كما أسلفنا لما يتميز به هؤلاء من سعة فى الصدر ورحابة الأفق وترحيب بثقافة الإسلام، وهنا تكون الرحلة قد أتت أكلها ضعفين مرة فى الصمود أمام رخيص التقاليد ومرة فى كسب مســلمين جدد سيما وأنهم يأخذون الكتاب بقوة.

الفرع الثاني
القدوة السلوكية

صالح المؤمنين بعد ذلك ظهير

أولاً : دورهم المنشود :

﴿ **فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ** ﴾ [هود: ١١٦] إن آلف المعصية لا يعنى الرضا عنها، والرجوع إلى أعرافنا الطيبة لا يكون إلا على يد كل طبيب ماهر بأمراض واقعنا، وتلك مهمة صالح المؤمنين قبل الدعاة الرسميين.

نعم دور الأسرة قد تراجع، فلم يعد هناك تربية حقيقية سيما بعد أن أصبحت المدرسة معهداً للتلقين ومورداً للدروس الخصوصية، ولكن لا يزال الأمل معقودًا عليها لأن الأسرة مؤسسة تربوية، ودورها مرتقب ومأمول فى تنشئة أجيال فتية قوية فى دينها، قادرة على امتصاص سلبيات العصر، والكتاب يراهن اليوم على أنه سيكسب الجولة القادمة لو غمر وعمر بيوتنا، وهذا أول مسئوليات الأسرة باعتبارها حائط الصد الأول ودرع الوقاية من الرذائل السلوكية.

وصالح المؤمنين هو يهتم بنثر ونشر السلوك الإسلامى المحمود وإذاعته وإشاعته من غير تشنج أو انفعال أو حماقة، فهم الحصن الحصين الذى يمنع زحف الخسيس إلى النفيس.

إن الكتب وحدها على أهميتها لا تربى، فكم نأمل أن يكون فى كل مدينة أو قرية واحد من هؤلاء الربانيين الذين يقومون على الثغرة التى ينفذ منها الشيطان وأعوانه لعرقلة السير وتأخير النصر.

والهموم التى تعانى منها الأمة نوع من المعاناة الطبيعية التى تعترى مسيرة الأمم الكبرى، وعلاجها مرهون بأولى العزم، ورصيدنا منهم رجالاً كثيراً ونساءاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أفاء الله عليهم بالفقه الجيد أو الإبداع فى مواطن الابتداع البناء.

فحراسة القضية الإسلامية وبناء بنيان الإسلام والحرص على أجياله الشجعان، إنما كانت ترتكز على التقويم والتبصير المستمر بالأخطاء، فإدراكها أولى درجات علاجها، وبعدها مارس جيل القدوة الأول، وقرن الأسوة الأفضل فى العصر الأنور، النصح معنى وحقيقة، فأتى ذلك بأنضج الأثمار.

إن مشكلتنا هى فى حضورنا وليست فى حضارتنا، أين الحملة الوارثون هل هم غائبون؟، إن وعد الله لا يطال من ادعى وإنما من وعى. والتمكين فى الأرض حق لا يناله الخامل وإنما الفاعلون[1] ومن هنا كان الدور على صالح المؤمنين إزاء تقاليد المنصرين.

إن كثيراً من شرائح المقلدين من قبل أن يكونوا من الخوالف هم مجنى عليهم، لأن عوامل الجذب إلى الردئ كانت أقوى، ومن ثم فلا نتركهم يتخذوا رؤساً جهالاً.

ولكن من الذى يهدى الحيارى فى عصر تختلط فيه الرؤى بالضياع الدينى، هم صالح المؤمنين دائماً فشعارهم كن داعياً بسلوكك، فالدعوة بالأفعال لا بالأقوال فهى الدعوة الحقيقة الفعالة فمحياه ومماته لله رب العالمين، ومن ثم فإن سلوكياتهم تفرز لنا عسلاً مصفى، لا تفتر هممهم فى أن يأخذوا الكتاب بقوة، فسرعان ما تتولى إلى الظل تلك

---

(١) د. محمود عصام، ملحق الإيمان الإنباء الكويتية فى ٢٠٠٠/٣/٣١م.

التقاليد الوافدة بفضل رواد السلوك الأحمد، لأن النفس بطبيعتها تقبل على التقاليد، فالصاحب ساحب الطبع مكتسب من كل مصحوب، فكم نتعلم من أهل القدوة أموراً كثار، كالصلاة فى المساجد لا فى البيوت مع النسوان، وتعظيم حرمات الله فى نادينا سيما فى حضرة المترفين والمأزومين والمثقفين المتفرنجين باحترام الحواجز بين الحلال والحرام، وتغليب المودة على المادة و الحفاوة البالغة بأعرافنا، كالاحتفال برأس السنة الهجرية قبل الميلادية، وكم تحولت امرأة متيمة بالغرب إلى مسلمة جيدة فى مظهرها وجوهرها، وكم من أعراس إسلامية خلت من منكرات الزفاف الغربية، وكما يرى حجة الإسلام **الإمام الغزالى**، الاهتمام بالجانب العاطفى لدى المسلم بالترهيب من المساوى والترغيب فى المحاسن، وإزاء ذلك أفلست فلسفات الغرب، التى تصر على استحالة تبديل الإنسان لأخلاقه من الخبيث إلى الطيب، فأشهروا إفلاسهم فى بلوغ التكامل الأخلاقى أو التوازن النفسى رغم التقدم العلمي!!

صالح المؤمنين قادرون بنعمة الله على تحويل المحنة إلى منحة، بتوجه ذويهم إلى إعادة اكتشاف الذات المسلمة، لا ينتابهم التثاؤب فى عملهم فهم أيقاظ وليسوا ركوداً، لا يتصادمون أبداً، فكل منهم له موهبة فى الجذب السلوكى، خذ مثلاً لذلك فى مصر، فلقد أنشأت بعض البنوك التجارية فروعاً لها للمعاملات الإسلامية تجذب إليها المودعين المستثمرين الذين يودون أن تكون كل معاملاتهم على المنهج الإسلامى الذى لا يشترط فائدة سلفاً عند إيداع الأموال، وهذه الفروع الإسلامية كم جذبت إليها آلافاً مؤلفة من أصحاب رؤوس الأموال، وذلك بفضل الصالحين من القائمين على إدارة تلك البنوك.

وكذلك فى قطارات المترو بالقاهرة عربات مخصصة فى كل قطار للنساء فقط فى أوقات الذروة والازدحام حيث تعانى النساء كثيراً من مزاحمة الرجال فكان هذا علاجاً شافياً وكافياً لاجتياز مواقف ترهق المرأة، ولا ريب أن من اتخذ مثل هذا القرار هو من صالح المؤمنين وهلم جرا.

وفى (أبو ظبي) مثلاً جائزة البر، مثلاً يحتذى به، يكتب لصالح المؤمنين فى صحائف أعمالهم، قصد بها تحفيز الأبناء الأوفياء بأهلهم برصد جوائز تشجيعية لهم، رداً على بيوت المسنين والتى هى عرض لمرضى الجحود ونكران الجميل ممن عبد الزوجة.

مثال رائع : إمام القانونيين ينصح أتباعه احذروا التقليد

السنهورى هو إمام القانونيين بلا منازع، جمع بين الثقافتين العربية والغربية وقد خلص إلى القول بأن الغرب تشرق عليه شمس ساطعة أحدقت فيها طويلاً ثم أدرت وجهى إلى الشرق فخيل إلى أننى أنقل شمساً أوسع مدى وأسطع نوراً إلى أرجاء الشرق الواسعة، ولا أزال أرى الشمسين شمس الغرب الساطعة وشمس الشرق أبهى وأسطع وقد تضاءلت أمامها شمس الغرب.

ثم يقول أريد أن يعرف العالم أن الإسلام دين ومدنية، وأن تلك المدنية أكثر تهذيباً من مدنية الجيل الحاضر، وقد فسدت قواعد الاجتماع التى يسير عليها؛ أن يسعى إلى مدنية نمت وازدهرت فى عصور كان الجهل مخيماً على ربوع العالم الغربى، ثم يقرر أيضاً أن الغرب لا

يحسن تقليده إلا فى الأشياء المادية ولا ينازع فيها، أما الأشياء المعنوية فيحسن بالشرق أن يواصل تاريخه المجيد دون أن يقلد الغرب.

الإسلام أقوى، لا تهضمه الجيوش ولا الاستعمار، ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة لا شأن لها بالقومية حتى يسهلْ عليهم تمزيق الأمم الإسلامية كل ممزق [1].

ثانياً : منهاجهم الرشيدة :

١- تجاوز التعبير إلى التغيير :

البداية والنهاية هى الانتقال إلى مرحلة الخيرية التى نعتنا بها القرآن الكريم، فتعى جيداً أن المحاكاة من جانب الناشئ أهم له من النصح المباشر، وهنا يقول ابن خلدون بالحرف الواحد "فليكن إصلاحك لتلميذك إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيكرهوه، وأروى لهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعظمه[2].

والمقلدون وإن كان كبر علينا إعراضهم، فإننا حين نعى عملية الاتصال والإرسال والاستقبال بشكل جيد، تولد لديهم شوق ولهفة تنزع بهم إلى أصولهم وقيمهم بدلاً من اتهامهم، وحينئذ فلن يدخلوا مع الداخلين فى سرادق الإمعات، إنهم شجيرات طيبة فى بستاننا، فبركاتهم تحل أينما كانوا تدرأ عن أمتنا غوائل سوء المنقلب والتحول إلى أمة تابعة مع الخوالف.

---

(١) انظر المستشار على فاضل ، الأهرام ٢٠٠٣/٧/٢٨ . شهادة حق.
(٢) ابن خلدون، ص ٥٤٠ وما بعدها

٢- مشروع الولد الصالح واستزراع القدوة السلوكية :

فأجيالنا فى المقام الأول نتاج نسل طاهر، وثقافة بناءة، وقرآننا يهدى إلى الرشد، وناشئنا بيته يذكر فيه اسم الله كثيراً. أمه ترعرعت فى بيت يتلى آيات الله والحكمة، مظهره وجوهره التطابق بين مبادئ الدين وواقع المسلمين، التقاليد الوافدة يصارعها فيصرعها، وليست هذه مثالية ترتجى، وإنما هو واقع ملموس نتاج البيت المسلم وحينئذ ينشأ ناشئهم على ما يكون عوده أبوه، محصناً من كل تيار هادم.

وإن الشغل الشاغل لرب الأسرة يجب أن يكون هو الحفاظ على الهوية الإسلامية ومن هنا يكون الولد الصالح عنواناً لها، لأنه نتاج أسرة وقودها الثقافة الإيمانية، فهى حصن حصين للدين تقدم لنا المسلم المتين، ومن ثم فهو بمنجاة من المزالق السلوكية التى تخلق جيلاً مائع الهوية.

ولا شك أن أدب الحوار لا الشجار يقدم لنا أجيالاً فى السلوك سوية، أجيالاً فتية قوية لا قطعاناً تساق أو تنساق.

ولا ريب أن العناية بالولد تبدأ إذا بلغ الأطفال منكم الحلم، لا بل قبل ذلك، منذ النشأة الأولى، حين ينهل من صحف مطهره، وحدائق ذات بهجة من كلام سيد المرسلين، وحينئذ فهو إلى جيل النصر لا إلى جيل الهزيمة.

ولا ريب أن الدعاء لهم يصلح بالهم ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِى﴾ [الأحقاف:١٥]

٣- الداعية الداهية والمنهج الأحمد:

هم حماة الدين من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كمركسة الإسلام وأرسملة الإسلام، موهوبون على العطاء الفكرى، واسع الصدر دقيق ينفذ إلى أوضاع عصر، ويدرك إيجابيتها فيستغلها وسلبياتها يخترقها، ولكن بأسلوب أخاذ، فالداعية الحصين يعرف الصفح الجميل لا يضيق صدره بما يقولون أو يراهم يفعلون، يحمل عنهم أثقالهم الفكرية، على يقين من أن الباطل زهوق لا يصمد أمام دعوة الحق.

والداعية الداهية ليس خصيماً مبيناً للمتيمين بالتقاليد، فلذلك منهاج الضعيف، وإنما يقرع ثقافتهم بثقافته وفكرهم بفكره، فهؤلاء قد لا تجدى معهم الاستدلال بالآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة، فقلوبهم غلف، ومن ثم فهم يحتاجون إلى السلوك السوى والحجة البالغة والكتب القيمة وفى ذلك فليتنافس المنافسون، وصدق الله العظيم ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾ [الأنبياء:١٨].

فالوثبة الحضارية المرتقبة لن تكون على أنغام بتهوفن كما يغرر بهم سماسرة الغرب وعشاق فنونه ولذائذه، الذين عموا وصموا عن التفرقة بين معجزات الغرب وموبقاته، نقول لأجيالنا الصاعدة لا ترجعوا من منتصف الطريق فالله غالب على أمره، سواء بكم أو بغيركم.

وأعناق المفكرين يطوقها التزام بصياغة الجيل وحمايته من نفسه، حتى لا يتأكل من الداخل بفعل كيد الكائدين، فالشباب تربة خصبة لأى سلوك حتى لا يتحولوا إلى أذيال تجر.

ولن ينفع اليوم ما يذهب إليه كتابنا وهم يشرحون لنـــا عمليـــة اصطدام الغرب بالعالم الإسلامى، فيقدموا لنــا فهرســاً طــويلاً مــن مؤامرات الغرب علينا، فهزائمنا فى ميدان السلوكيات كانت بفعلهم كما كانت أيضاً مما عملت أيدينا كما أسلفنا.

على أنه يجب أن يكون مفهوماً أن التغيير المنشود فى الســلوك ليس وقفاً على الأئمة المحترفين، وإنما هو واجب إسلامى يطوق أعناق الجميع، كل مسلم يجمع بين الكياسة السياسة والثقافة بعيداً عن التشنجات والإنفعالات وعلى كل من أنعم الله عليه بالحكمة والموعظــة الحســنة، وباختصار شديد فإن أرباب القدوة فى المجتمع الإسلامى بيدهم مفــاتيح التغيير دون تغيير أبنائنا، وحينئذ نترقب فتحاً قريباً، تحول أجيالنا مــن مقعد الخوالف إلى مكان الصدارة، ومن التبعيــة إلــى القيــادة نتيجــة تخلصهم من عقدة الخواجة **﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّــلاةَ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾** [الأعراف: ١٧٠]

واليسر الذى عرف به الإسلام كفيل بأن يغرى السالكين فى التيه بأن يعودوا أدراجهم إلى ديارهم وقيمهم، والداعية الداهية يستخدم الدهاء مع الأصدقاء، إذا دخل بيتاً مسلماً ورأى فيه مثلاً صورة شبه عارية أو تمثالاً لبابا نويل على النمط الغربى يجسد الإله بزعمهم وهو ســبحانه وتعالى ليس كمثله شئ، فإن سبيل الرشد ألا يحطم التمثــال أو ينــزل الصورة فذلك أسلوب مدمر، يدعو للتذمر سيما وأن الحمــق لا يجــذب الحيارى بل يغرس العداوة.

وبالجملة فهو لا يضيق بصدره بما يقوله أدعياء التطور الموهوم فى القشور، فالأمر يحتاج إلى طبيب حاذق، وحينئذ يتبرو ا بأنفسهم ما علوا تتبيراً.

والغيرة المحمودة هى أولى المحاسن، فهى تشحذ الهمم وتربى القيم، وعند أهلها يتوسم الخير عاجله وآجله، والمسلم الغيور على قيمه وأعرافه من التحلل والاندثار ولا ريب أنها مسئولية الأخيار فالزوج الغيور لا يطيق أن يرى زوجته الشابة عارية الأكمام والصدور والظهور ومتبرجة بزينتها لغيره وكذلك الأب الغيور فهو السراج المنير.

٤ – اختراق المنتديات :

نوادى المثقفين والمترفين، مواطن الداء بل أثخن الميادين بالجراح التى تعج بالمراهقين والمراهقات وأولاد الذوات، والمولعين بالتقليد والعاشقين للتجديد، الفقراء فى الثقافة الإسلامية، شعور متدلية وتسريحات غريبة، وأفخاذ عارية، وصدور مكشوفة، وهم كالسيل الجارف أو الجواد الجامح، فى حاجة نفسية ملحة إلى من يضبط شاردهم حتى لا تستسلم عقولهم لعواطفهم، وتلك مسئولية النابهين الصالحين ممن يؤسسون أو يحاضرون من سدنة الدين المخلصين، كل منهم بطريقتهم المثلى، حسن البيان أو فصاحة اللسان أو لسان الحال، وحسن الظن بأجيالنا يتطلب علاجهم لا تركهم، لأن هؤلاء المتيمين نسوا خطأ ما ذكروا به أو غاب عنهم وليهم، ومن ثم فعلى الأئمة أن يكونوا لهم مناراً يجذب الحيارى، وحينئذ نسدد ضربة قاضية إلى التقاليد فى عقر دارها.

٥- **التفاؤل وفقه المرحلة :**

الدعوة إلى رحابنا لا يدخل فيها العجول أو الملول، لأن المعركة مع وافد التقاليد قد تطول.

إن للتقاليد قوتها كما يقول شيوخنا، والناس تحكمهم تقاليد شديدة ويتوارثون أفكاراً يحتاج نقدها إلى زمان غير مقيد، فهى كالأهواء لهـا سلطانها والخلاص منها لا يتم بين عشية وضحاها[1]

فتغيير السلوكيات من الطالح إلى الصالح أمر قريـب المنـال، ولكن بخطة محكمة، واستعجال الحل ليس فى صالحنا، فالزمن عنـدنا جزء من العلاج، ورحلة الدعوة كرحلة القطار، ولكنه قطـار متـأنى فهناك ما يسمى "**فقه المرحلة**" أول فصوله أن بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، والمقدمات تبدأ فى جيل والنتائج تظهر فى جيل آخر. فلا بد من التريث حتى تؤتى الدعوة أكلها كل حين بإذن ربها ﴿**وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ**﴾ [الصافات:٧٥]، ولنا فى رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة فالرسول (ﷺ) مكث فى مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى الله على بصيرة، لم يكسر صنماً أو يحطم حجراً وقد كان مؤيداً بالنصر الإلهى.

ويحتاج الأمر لفترة نتواصى فيها أو نتلاوم ولكن دون تنـازع تذهب معه ريحنا، فاستعجال الثمرة قبل نضجها يـأتى بثمـار فجـة، والتخلص من شؤم التقاليد يحتاج أمداً قد يقصـر أو يطـول، ولطـرح البدائل الإسلامية والواقعية الجذابة والتى تنزع المأزوم من إغراءاتـه، وإن كثيراً من الحركات الإسلامية التى تساقطت فى وسط الطريق قبل بلوغ الهدف كانت تفتقر إلى دعامة التدرج، وكانت تتحـرك بمنطـق الطفرة أو اختزال المراحل، فعزّ عليهم النصر وكان قريب المنال.

---

(١) د. محمود عمارة، أصول الدعوة، ص ٩٦

٦- الحذر من الوقوع فى مغبة اليأس

كما يجب الحذر من تفشى الشعور بالعجز، وانتشار روح السلبية التى تؤدى إلى تهاون الناس وترك الآخرين يشكلون مستقبل أوطـــانهم، وعلى المثقفين مسؤولية تخفيف ضغوط اللحظة الراهنة، مستعينين فـــى ذلك بمخزون الثقافة العربية الإسلامية من قيم الحق والعدل والتعـــاون والصبر والأمل، فالخير لا ينهزم والشر لا ينتصر، وفى ذلك سياج منيع يؤمن الحماية الكافية لقيمتنا العربية الإسلامية.

إن الغرض هو بناء إطار نفسى مشبع بروح الثقة وتهيئة البناء الذاتى وتعزيز قدرته لمقاومة الغزو السلوكى، ولابد من الاتجـــاه نحـــو تشخيص بعض الأعراض المؤثرة فى المجتمع وتكاد تمنعه من التقبـــل والاستيعاب والقدوة متمثلة فى تأمين الغذاء والمسكن للســـكان، وخلـــق فرص العمل، ومعالجة المعضـــلات الاجتماعيـــة المتزايـــدة، وتهيئـــة مستلزمات التعليم والخدمات الصحية والتوظيف، إضافة إلـــى مـــواطن الحرمان الأخرى.

إن توفير الحدود المأمونة لهذه المآخذ فى المجتمـــع الحضـــرى العربى يرسخ الإطار الذاتى لشخصية الفرد العربى بمـــا يمكنـــه مـــن مواجهة أى تحد خارجى [1].

٧- الثوابت الإسلامية تجرى فى عروقنا:

مهما غفل عن ذلك الغافلون فإن العالم الإسلامى يمتلك ثـــروات طائلة وكنوزاً ثقافية هائلة وذلك بفضل الثوابت الإسلامية التى تنتقل من

---

(١) محمد صالح العجيلى (مرجع سابق).

جيل إلى جيل، وقد أفشلت الفكر القومى رغم سيطرته وهيمنتــه فــى السنين الأخيرة والذى كان يرنو إلى إبعاد الإسلام عــن أهلــه فأبعــده الإسلام، فالثوابت الإسلامية تهب الديمومة لهذه الأمة، وقد أفلحت أيضاً فى إجهاض الاجتهادات المغرضة والتى تزعم بنسبية الحقيقة فى تأويل النصوص ومعطيات الدين لصالح السلوكيات الوافدة، فدستها فى التراب وأجهزت على زمرة السماسرة والأتباع الذين كانوا يحملــون معــاول الهدم مرتكزين على بعض سلبيات العصور الإسلامية فهدمتهم وهزمتهم الثوابت واسكنتهم حظائر سوس البشر، ومما يحسب لحكــام المســلمين أنهم حافظوا على الثوابت الإسلامية من الهدم رغم ما قد يبدو منهم غير ذلك.

إن التحدى الحضارى والسلوكى يقوم على الاعتصــام بثوابــت الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، وتقديمها للإنسانية علــى أنهــا حــل لمشكلات البشرية بعد أن أفلست الحلول الوضعية.

ثالثاً : وصالح المؤمنين فى ديار الغرب :

ماذا قدموا وأخروا وهم منبثون فى أرجاء واسعة من المعمورة، إيجابيتهم بغير حساب، رحابة فى الصدر، وسعة الأفق، وحب الــتعلم، والإقبال على الجديد النافع، وفى حوزتهم وســائل التقنيــة العصــرية لعرض بضاعتنا بعيداً عن التعتيم الذى فرض على ديننا.

فالمسلم المغترب هو سفير فوق العادة لنا، عتاده جملة المحاسن التى حفظت للإسلام سيرته ومسيرته، والمنصفون من أهل الغرب يودون التعرف على أعرافنا وقيمنا بعدما يئسوا من دينهم.

. لقد رسم لنا التجار العرب نصف خريطة العالم الإسلامى من قبل بسلوكهم الوضاء وخلقهم النبيل دون تكلف، وهو ما يغرئ الآخرين بالدخول فى دين الله أفواجاً.

لماذا لا يكون النظام العالمى الجديد هو دين القيمة، ليواجه الإفلاس المضاعف الذى منى به النموذج الغربى فى قيمه وشيمه.

وباختصار هم سفرة كرام بررة نربأ بهم أن يتحولوا إلى مشد وهين، أو منهزمين، فليعلموا علم اليقين أن دنينا قد أفرز عسلاً مصفى. وعليهم أن يميزوا بفطنتهم بين المحاسن والمساوى على نحو ما أسلفنا، والأوربيات المسلمات وهن مفخرة لديننا وديننا مفخرة لهم، على الرغم من تشأتهن فى كنف أصحاب الملة الأخرى إلا أنهن يأخذن الكتاب بقوة أكثر ممن يقترن بهن من أزواج مسلمين، فكم ننتظر الكثير على أيديهن من تعظيم أعرافنا سيما وأنهن ممن أكرمهن الله برجاحة فى العقل، وزادهم من زاد العقول فأضحوا منارة لديننا، وصدق الله العظيم القائل: **﴿وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾** [محمد:٣٨].

رابعاً : سلوكياتنا لن تتولى إلى الظل بفضل خير البرية:

إن الشعوب عندما تشعر بالخطر تبحث عن كيانها وذاتها، فالمجتمع لا يستقيم عوده أبداً إذا استورد نموذجاً من خارج تربته، وبالنعبة لأبناء خير أمة، مهما اتسع نطاق المؤامرة أو تراخى الرماة فى الدفاع، فإن لنا من ديننا دروعاً تعيننا على صد كل غزو سلوكى، فالمسلمون أمة لا تقبل الانصهار أو الاحتواء، ولكن زحزحة العدو لا تتم بين عشية وضحاها، بل يحتاج الأمر إلى تخطيط نابه سدنته هم

الصالحون من عبادنا، وقد بث الله منهم رجالاً كثيراً ونساءً، وهاكم آية بينه، فلقد هزم أبناء الإسلام دولة الماركسية وأشـياعها مـن الاتحـاد السوفيتى فى أفغانستان، بإذن الله فزلزلت دولتهم التى أسست على بنيان من أنجاس الفكر سبعين عاماً.

فكم من خطوب جسام أعترت مسيرتنا بسوء فكشف الله الغمـة على أيدى نوابغ الأمة، فالأرض الطيبة يخرج نباتها طيباً بإذن الله، وإن ضلت الأمم طريقها فالمسلمون لن يضلوا أبداً.

خامساً : ونساء المؤمنين :

عن طريقها تم اختراق المجتمع الإسلامى، وعن طريقها أيضـاً تصد التقاليد، نعم فهى أقوى الفرسان فى هذا الميدان، بل تسـتطيع أن تتسابق بجوادين، والنصر معقود لها، وعلى قدر زادها من ثقافة دينهـا يتعاظم دورها أو يتضاءل.

هى بيدها الحل والعقد، ودور البطولة هنا معقـود لهـا، فهـى تستطيع أن تقوم بكل الأدوار فى معركة التقاليد، سما إن كـان عنـدها الزاد الثقافى البناء الذى يمحو الشعور بالدونية، ففى الأندلس بعد ثمانية قرون من الزمان غاب دور المرأة المسلمة عن الميدان، فهزم العـرب فى سان تولوز، بعد أن كانت راية الإسلام حفاقة هناك، ويعللون ذلـك أن الفاتحين والأبطال ذابوا تدريجياً بالزواج من نساء الشمال الأفريقـى ثم نساء الأسبان فذابت الشخصية المسلمة رويداً رويدا وفترت عـزائم الرجال، وهكذا يظل للمرأة المسلمة دورها الرائد المنشود فى التغييـر المأمول إلى الأمام لبنى جنسها ابتداء، ثم للرجال انتهاء فهى دائماً اقرب

الناس إلى الرجل، وتستطيع بمنهاج أمثل تطوير السلوك الطـــالح إلـــى الصالح، فهى غيورة على دينها كما تغار على زوجها، ودورها لا يزال شاغراً فى مواقع التأثير السلوكى سيما فى المنتديات التى يغشاها أبنـــاء المترفين المولعون بالقشور من التقاليد.

والمرأة عندنا نصف المجتمع لا بل هى كل المجتمع، فهى الأم الحانية والأبنة الكريمة والأخت الودوة والزوجة الصـــالحة، والحفيـــدة المأمول على يديها الخير، ومع التفقه فى الدين تكون التقاليد مـــدحورة وذلك بتحصين أبنائها وإعداد فتاتها حتى لا يتاجر بها مـــع صـــديقاتها، ورصد الأشرار فهم مرتع الخبيـــث، وغربلـــة الأصـــدقاء، فالـــدعوة للسلوكيات فن وأسلوب واحتواء وحب، والكلام اللين يخرج الحية مـــن جحورها، والإسلام كرمها فاليوم هى تكرمه، وهنا تقدم لنا أجزل عطية أو هدية بالقدوة السلوكية والهيمنة الفكريـــة علـــى الأخريـــات ســـيما المأزومات، وحينئذ تفوز بمرتبة الشرف فى الدنيا ومنازل الشهداء فـــى الدار الآخرة، وحقاً ما يقولون: أعطنى أما مسلمة فى كل بيت لا أعدكم فقط أن تكسر الأقلام التى ترنو إلى الغير بإعجاب، بل أعدكم ألا توجد تلك الأقلام أصلاً، وتلك نصيحة داعى الدعاة الشيخ محمد الغزالى.

لتعلم علم اليقين أن الأجانب الوافدين لديار الإسلام ينظرون إليها باعجاب ولكن من طرف خفى فاعملوا على مكانتكم.

١- ومصمموا الأزياء أين رداؤكم العصرى :

أين العباءة الأنيقة العصرية فى المدائن العربية؟ أين الجلبـــاب الذى لا يصف ولا يشف كما ورد فى ديننا، محلات الأزياء الإســـلامية

نادرة فى البلاد الغربية، وتعثر المسلمة عليهـا بصـعوبة، إن أزيـاء الشرفاء لا تخضع للموضة، هذا مـا يقولـه المفكـر الأديـب أنـيس منصور(1)، نعم أنه رأى موحد فى كل العصور، لأنه تعبير عن القـيم والفضائل وهى بدورها لا تخضع للموضة، فهل يتغير الكرم أو يتبـدل الوفاء بدعوى التجديد، كذلك لباس المرأة الفاضلة. وأبلغ دليل على ذلك زى الراهبة ما أصابه التطوير أو التبديل، لأنه يعكس بعض ما أوتـى النبيون من ربهم، وأولى لنا ثم أولى نحن المسلمين، فنحن نعظم حرمات الله الذى استضافنا فى كونه الفسيح، فمن السفاهة ألا نعترف بالجميـل، الرداء الإسلامى دوره خطير فى إنحسار التعـرى وجـذب الحيـارى السالكين مسالك التيه.

وهذه "حايقة خان" الأوروبية التى اعتنقت الإسلام وارتدت زيه وتزوجت لاعب الكراتية الشهير "عمران خان" تقول فى عبارة وجيزة: "إن الإسلام لا يحط من قدر المرأة، بل يحبذ وحـدة العائلـة ويشـجع الترابط، وإرتداء الزى الإسلامى أكثر أناقة من غيره، وسعادة المـرأة الغربية رهينة بدخولها فى النوادى الليلية وتناول ما طـاب لهـا مـن المشروبات الكحولية وإرتداء الثياب الشفافة التى تظهر أكثر مما تخفى. وتحرير المرأة لا يعنى التحرر من زيها، فليس فى العالم كله نظام واحد يحبذ المرأة عارية أو شبه عارية فى الطريق العام، حتى فـى الـنظم العلمانية الغربية فهى تخشى أن تتحول إلى فريسة ضعيفة أمام ذئـاب البشر.

---

(1) الأهرام فى ٢٢ / ١٢ / ٢٠٠٠ .

ومن ناحية أخرى فإن النساء يرفضن هذا التعرى، فالمرأة التى تكشف عن مفاتنها لأزواج الأخريات لا ترضاه الأخريات.

والغرب المتحضر لم يتقدم يوم تبرجت النساء، وإنما لأنه أخذ الكتاب بقوة وطبق كل إيجابياتنا سيما أول كلمة نزلت فى قرآننا " اقرأ " وما تلاها، ولم يقل فلاسفة الغرب من ناحية أخرى أن احتشام الراهبات معادى للتقدم.

٢- التبرج والشخصية : (١)

هل التبرج علامة على رقى أو تقدم أو قوة فى الشخصية ؟

إن كشف عورات النساء لا يحرز نصراً ولا يجلب سبقاً ولا ينفع مجتمعاً، هل كان التبرج سبباً للنهضة الصناعية فى أوروبا شرقها وغربها؟.

هاكم أوربا نفسها فى عزها ومجدها إلى عهد ليس ببعيد كانت تنكر المنكر وتعرف المعروف، فلقد باركت محكمة النقض الفرنسية حكماً صادراً من المحاكم الفرنسية قضى بتأييد قرار إدارى أصدره مدير البلدية فى إحدى المدن، حظر ارتداء النساء ملابس الرجال والظهور بها فى المجتمع أمام أعين الناس(٢).

ولكن المجتمع الغربى تردى بعد ذلك فيما تردى فيه. إن سر تقدم المجتمع الأوروبى هو العلم وليس التقليد فى السلوكيات، هو العلم الذى دعا إليه القرآن الكريم واستهل الله قرآنه به.

---

(١) راجع مؤلفنا : حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامى ص ١٠٨

(٢) راجع مؤلفنا: القانون الإدارى بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد رفعت عبد الوهاب ص ١٤١ .

لقد تناست المسلمة أن التبرج غريب على المجتمعات الإسلامية، فلكل مجتمع خصائص تميزه وأولاها الزى سيما زى النساء. إن القرآن الكريم يأمر نساء المسلمين جميعاً أن " **يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**" فالزى الإسلامى للمرأة وجاهـــة ووضـــاءة وحماية فى آن واحد، وكم جر التبــرج علـــى الفتيـــات مـــن جـــرائم الاغتصاب ؟!.

ومن عجيب الأمور أننا نرى الراهبة فى أوروبا ترتـــدى زيـــاً متأنقاً يستر البدن ولا يكشف إلا عن الوجه والكفين ولا تكشـــف عـــن ساقيها، رداؤها يحجب كل نظرة خبيثة؛ وهى لـــذلك موضـــع احتـــرام وتبجيل، ولم يستنكر أحد زيها أو يطالب منها التحرر خشـــية الاتهـــام بالرجعية.

لماذا أضحى الفكر عندنا كليلاً بعدما أثخنـــه الغـــزو الفكـــرى بجراحه؟ فكثير من ضعاف الحاسة الإسلامية لا ينظرون إلـــى الـــزى الإسلامى إلا نظرة جحود وكأن أجدادهم من أصل أوروبى.

إن المعاصرة لا تعنى الحرية فى الانفلات، الحرية التى تدفع بها إلى المكروه، فحضارتنا الشامخة على خلاف المدنية الغربية لا تقـــف عند الجوانب المادية وحدها وإنما هى تعنى بالجوهر والمظهر معاً دون إهدار لإحداهما. (١)

ليكن معلوماً أن تطور الغرب صادف منهج الإسلام فى حملته، وإن كانوا الأن قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فصارت حضارتهم تتعرض لزلات وهزات وأزمات، بعد تراجع القيم رويداً رويداً.

---

(١) عبله الكحلاوى- الأهرام ٢٠٠٢/٦/٢٥

٣- ناصحة غربية أمينة لامرأتنا العربية المسلمة :

أين خصوصياتكم " امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة " قالت الصحيفة هيلسيان وهى صحفية تراسل أكثـر مـن (٢٥٠) صـحيفة أمريكية، ولها مقال يومى يقرؤه الملايين، ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، وعملت فى الإذاعة والتليفزيون والصـحافة أكثـر مـن عشرين عاما، وزارت جميع بلاد العالم وهى فى الخامسة والخمسـين من عمرها، تقول الصحيفة الأمريكية بعد أن أمضت شهرا فى مصـر، الجمهورية العربية: إن المجتمع العربى مجتمع كامـل وسـليم، ومـن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول، وهذا المجتمع مختلف عن المجتمع الأوروبـى والأمريكـى. فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم أكثر مـن ذلـك عـدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع الغربى، على الفتاة الصغيرة – وأقصد ما تحت العشرين – هذه القيود صالحة ونافعة – لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتـاة، بـل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فلقد عانينـا فـى أمريكا الكثير حتى أصبح مجتمعنا معقدا مليئا بكـل صـور الإباحيـة والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشـرين يمـلأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، فهل مـن مـدكر، لقـد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات " جيمس دين " [١].

---

(١) مكانك تحمدى ، لأحمد جمال ص١٢٩ مشار إليه فى عبد الله الشبانه (مرجع سابق) ص١٦٥

نعم لقد كان دين القيمة أحرص على شرف الفتاة ذات الطبــاع السليمة، وجعل لها كرامة لا تنال من حريتها وعزتها بل تعززها؛ فلها الحق كل الحق فى أن تخرج إلى أى مكان تشاء للسياحة والسفر لترتاد المجهول ولكن مع عاصم لها، يدرأ عنها ذئاب البشر، فــيحفظ عليهــا كبرياءها سر قوتها وسعادتها، لا يمسها سوء من جراء ما يحدث عــادة عند البعد عن الأهل من تآلف وتقارب وتجاذب من عمــل الشــيطان، ويكفينا هنا أن نقول للقائلين بالتطور والتحرر ألا يجرؤها هذا الاختلاط على زوج المستقبل وشريك الحياة، ذلك الذى يحلــم بعفيفــة شــريفة مصونة لم تمس كأنها بيض مكنون.

ألم تقل " مارلين مونرو " الممثلة الأمريكية التى طبقت شهرتها الآفاق والتى انتحرت فجأة فى لحظة إحساس مرير بالتعاســة كــأنثى طبيعية وكأم – ألم تقل فى الرسالة التى وجهتها إلى فتاة تطلب نصيحتها "احذرى المجد احذرى كل من يخدعك بالأضواء، أنى اتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطيع أن أكون أما، لقد كنت أفضل البيــت والحيــاة العائلية الشريفة على كل شئ، إن سعادة المرأة الحقيقــة فــي الحيــاة الزوجية الطاهرة التى هى رمز سعادة الأنثى بل الإنسانية، لقد ظلمنــى كل الناس وجعل العمل فى السينما منى سلعه رخيصة مهما نلــت مــن السمعة والشهرة الزائفة".

٤- غربيات ممتعضات من تقليد المرأة الشرقية :

فى جريدة الأهرام فى ٢٧ مارس ١٩٦٢ جاء فى بــاب: **مــع المرأة** هذا العنوان " **المرأة الغربية غير راضية عــن تقليــد المــرأة**

الشرقية لها" وجاء تحت هذا العنوان : اهتمام المرأة العربيــة بــالمرأة الغربية وحرصها على تقليدها فى تصرفاتها وفى طباعها لا تستســيغه السائحات الغربيات اللاتى يحضرن لزيارة القاهرة ولا يرفع من سمعتها فى الخارج كما تظن، أفصحت عن ذلك صحفية إنكليزية زارت القاهرة أخيراً وكتبت مقالاً فى مجلتها تقول فيه(١) :

لقد صدمت جداً بنزولى أرض المطار فقد كنت أتصــور أننــى سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة.. ولكننى لم أجد شــيئاً مــن هـذا فالمرأة هنا هى نفسها المرأة التى تجدها عندما تنزل أى مطار أوروبى، فالأزياء هى نفسها بالحرف الواحد وتســريحات الشــعر هــى نفســها والمكياج هو نفسه حتى طريقة الكلام والمشى وبعض الأحيان اللغة إما الفرنسية أو الإنجليزية، وقد صدمنى من المرأة الشرقية أنها تصــورت أن التمدن والتحضر هو تقليد المرأة الغربية.

وتقول **فابيان عارضة الأزياء المشهورة** : لولا فضل الله على ورحمته بى لضاعت حياتى فى عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ.

وصحفية فرنسية تقول : وجدت المرأة العربية المسلمة محترمة ومعززة داخل بيتها أكثر من الأوروبيــة، واعتقــد أن الزوجــة والأم تعيشان بسعادة تفوق عادتنا، وتقول للمرأة المسلمة ناصحة لها لا تأخذى من العائلة الأوروبية مثلها لأن عائلتها هى نموذج ردئ لا يصلح مثالاً يحتذى به. (٢)

---

(١) الأهرام فى ٢٧ مارس ١٩٦٢م، راجع فقه السنة لسيد سابق، ١٣٩/٢ .
(٢) من وحى الواقع، محمد ناصر العرينى ص ٤٤

٥- خذوا حذركم من الاختلاط فى الدواوين وغرام الموظفين:

هذه رسالة بعث بها زوج غيور إلى أطباء النفس حملتها جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٧/٥ يقول فيها: تثور زوجتى بحدة وتنقلب حياتها جحيماً إذا اعترضت على اتصال زملائها فى العمل بها فى البيت فى أى وقت لأمور تتعلق بالعمل فما هو قولكم دام فضلكم ؟ وكانت الإجابة للدكتور عادل صادق "إن البيت له حرمة، ولكن لا داعى لاستخدام العنف فى حل المشاكل الزوجية".

الاختلاط بين الجنسين أمر واقع وليس له دافع، فهو من ضغوط العصر، والمرأة المسلمة كانت حاضرة فى كل مجالات العمل العام فى العهد النبوى، من المساجد ومجالس العلم إلى الغزو والجهاد مروراً بالأسواق والأعمال المهنية، كانت تتحرك فى تلك الدوائر كلها بمحاذاة الرجل، ولكن دون اختلاط يحيف بهما أو يجنى عليها، فمجتمع المسلمين ليس مجتمعاً تقوم فيه الحواجز بين النساء والرجال، ولكنه مختلط ملتزم بأحكام الفضيلة سلفا، فاللقاء بين الرجال والنساء جائز إذا كان لهدف نبيل كعلم نافع أو عمل صالح أو جهاد لازم، وعمل المرأة ليس محرماً كمبدأ عام.

ولكن الاختلاط فى الدواوين على النهج الغربى إثمه أكبر من نفعه، لأنه ينشأ علاقات ثانوية ثنائية بين الموظف وزميلته خارج الحدود المرسومة، ويستمتع بعضهم ببعض فى الحديث الأخاذ والود الكذاب، وتكون الفتنة فى أحيان كثيرة غير مأمونة العواقب، سيما حين تتحول الزمالة إلى صداقات وزيارات، ثم خلافات زوجية لا تجدى فيها المصالحات، وكل أولئك يقود إلى ما يسمى الضياع، نتيجة تسرب العلاقات العاطفية خارج دائرة الحياة الزوجية.

إن الاختلاط بغير سياج من الشرع الشريف أولى موبقاته أنــه يجلب الإعجاب بغير الزوج، كأثر للأحاديث المتبادلة والفراغ الوظيفى أو البطالة المقنعة والساعات الطوال التى يقضونها فى المكاتب والتــى ربما لا تتوافر للزوجين فى البيت سوياً، وكم ينجم عن ذلك فى نهايــة المطاف من زلات ومشاجرات فى عش الزوجية ليس لها مبرر ســوى الإعجاب الدفين الذى ولده التقليد فى القشور، أما الصالحات فلهن ألــف عاصم وعاصم من دينهم، وهنا يقول رسول الله ﷺ " **ليس منا من خبب امرأة على زوجها**" بمعنى أفسدها عليه.

٦- اعتبروا يا أولى الألباب :

ماذا آل إليه تحرير المرأة فى الغرب ؟

الاختلاط المبكر فى الغرب هناك بلا حدود، أجاء بها من حيث لا تشعر إلى المتاجرة بها قبل الزواج، فحرمت من السعادة الحقة أمــل الفتاة الخصيب، سيما إذا أنجبت طفلاً ينسب إليها لا إلى أبيه، ثم فتح لها باب الإجهاض مصيراً غامضاً محفوفاً بالمخاطر، وبالجملة فما ربحــت تجارتها.

ماذا كانت القطوف الدانية لها، وهى تعيش فى رغــد العــيش؟ أكذوبة أن يقال أنها تعيش فى سعادة، نعم هى تبتسم ولكنهــا ابتســامة مصطنعة أضاعت بيتها وخسرت أولادها وظلمت نفسها وعددت مــن أزواجها فى ظل الزواج التجريبى أو الانفصال الجسمانى.

لقد ضاعت منها فرصة الهنــاء العــائلى بعــد تقــدم العمــر، فالأوروبية اليوم لا تمت إلى مهمة الأمومة إلا فى عملية الإنجاب، ولقد

تفشى بينهم الطلاق والانفصال الجسمانى كما ألمحنا من قبل، وانحسرت حالات الزواج المدنى أو الدينى نتيجة الإباحية واتخاذ الأخدان وهى المعاشرة الزوجية بلا زواج، واقتلاع الحواجز بين الحلال والحرام فقل إنجاب الأولاد، حتى أن هناك دولاً أوروبية تترقب الشيخوخة المبكرة لقلة الإنجاب.

هرعت إلى ميدان العمل تسارع الرجل فيسابقها وهو أشد منها قوة، وما كسبت فى إيمانها خيراً، فالأمريكيون يتحرشون بزميلاتهم فى العمل استغلالا لعجزهن عن إثبات التهمة، والاعتداء على الموظفات زاد فى أوروبا نتيجة مشاركتها الرجل فى مكتبه فأصبحت هى الصاحب بالجنب، واعتداءات بالجملة سواء بالنظر أو باللفظ أو بالفعل من رؤسائهن، وحدث التفكك الأخلاقى مخيبا ظن الذين راهنوا على أنه لن يحدث فى ظل الإباحية. فهى تثور مع الثائرين على أصحاب المصانع والمتاجر ورؤوس الأموال مطالبة بتحسين ظروف الأداء، وبالجملة آل الحال إلى اعتبارها مساوية للرجل، وليس الذكر كالأنثى فعوملت بلا إحسان، وصارت تعمل فى المطاعم والحانات وفى الفنادق والأعمال الشاقة فى الشوارع حتى إنها قد تقضى فيها سحابة يومها أو جزء من ليلها.

لقد مضت قدماً فى طريق التحرر رويداً رويدا من زيها والاهتمام بقدها وقوامها المائل إلى النحافة وصارت تنفق على ذلك أكثر دخلها.

جاءت الريح بما لا تشتهى السفن، فعلى سبيل المثال وفى عام ١٩٩١م أصدرت بريطانيا قانوناً جديداً يعطى للطفل نفسه الحق فى أن

يختار بين أمه وأبيه، فالأم قد صارت تجد نفسها فى ذاتها، وذاتها فـى عملها الذى يوفر لها الاستقلال المالى، وأصبح الزواج أشـبه بحماقـة يرتكبها أصحابها، والعقوبة تنفذ فى الأولاد كمجنى عليهم، وفى نظـر المرأة الغربية أن تلك العقوبة يجب أن تصب على الزوج وحده، لـذلك فهى تتفنن فى الهروب من رسالتها لترمى بها إلى الزوج، ولتكلفه مالا يطيق لو أختار الأولاد أباهم، تلكم بعض إفرازات المدنية الغربية فـى شقها السلبى، نطرحها أمام المعجبين والمنبهرين، فبم إذن تبشرون؟ [1]

٧- آية الستر تدرأ غوائل الاختلاط :

آية كريمة لعطاء يتجدد، تواكب كل عصر ومصر ترفع من قدر المرأة المسلمة إن شاءت أن يرتفع قدرها أمام كل بر فـاجر **﴿يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾** [الأحزاب: ٥٩].

وقد ابتدأت الآية الكريمة بأمر النبى الكريم أن يوجه دعاءً ونداء إلى الأمة جمعاء للاعتصام بالدين وتعاليمه الرشيدة وبالأخص فى أمـر اجتماعى خطير وهو الزى الإسلامى الذى يصـون للمـرأة كرامتهـا ويحميها من النظرات الجارحة والكلمات اللازعة والنوايا الخبيثة، لـئلا تتعرض لأذى الفساق فهى مثل الزجاجة كسرها لا يجبر. [2]

فستر المحاسن والعورات لا يكـون إلا عـن طريـق العبـاءة الفضفاضة أو الجلباب الواسع، وهكذا تتميز عن غيرها من النساء، وإلا فما الذى يميز المسلمة من غير المسلمة هل هو مجرد الإيمان الذى تكنه فى صدرها ؟

(١) أنيس منصور الأهرام ٢٢ / ٧ / ١٩٩٢م
(٢) تفسير الصابونى ج ٢، ص ٥٣٧

٨- الإسلام ليس أول من شرع الحجاب : [١]

يحرص الإسلام على التنبيه إلى دور الملابس والزى فى الحياة، سواء للذكر أم للأنثى، فالإسلام يرى أن المنطق هو فى اجتناب الإثارة إذا كانت لا مرحباً بها لدخولها فى دائرة الحرام.

ولقد خلق الغزو الثقافى كتاباً وفلاسفة زادهم ومعينهم إقصاء الدين وهم يدعون إلى الإسلام، يقولون زى المرأة لم يأمر به الإسلام ويفسرون آيات الله على هواهم. مع أن الإسلام ليس أول من شرع الحجاب، وإنما فرضته اليهودية والمسيحية، ومازال لليوم فى الكتاب المقدس. ومن المعروف أن اليهودى المتدين من حقه أن يطلق زوجته إذا ما غادرت بيتها عارية الرأس, وفى المسيحية يقول "بولس" أن المرأة التى تخرج عارية الرأس يجب أن يجز شعرها. ولبس الراهبات اليوم على ذلكم من الشاهدين، فهل يكون الاحتشام بعد ذلك ليس من الإسلام؟.

وأية الحجاب قد نزلت فى سورة النور وهى السورة الوحيدة فى القرآن التى تبدأ بقولها ﴿ **سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ﴾ [النور:١] وهى سورة مليئة بالفروض الدينية والتربوية والأخلاقية، أى كل ما هو وارد بها فرض لا اجتهاد فيه، وصدق الله العظيم ﴿ **ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ** ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

---

(١) د. زينب عبد العزيز- مجلة نصف الدنيا المصرية فى ٢٠٠٣/٤/٢٧م.

الفرع الثالث
المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى

أولاً : المسلمون رواد المحاسن :

نعم هناك ما يسمى بالثقافة التصديرية، فما هو موقعنا وحظنا منها؟.

معلوم أن الحضارات تدين بوجودها إلى اختلاط الشعوب والثقافات الأخرى، والأوروبيون اليوم الناصحون منهم تشرئب قلوبهم إلى حكيم يتبعونه، وتتطلع جماهير غفيرة إلى العودة إلى رحاب العقيدة، مما جعل الكنيسة تعيد استثمار جاذبيتها الدينية لهم، ولكنها إن عاجلاً أو آجلاً كما يقول مراراً **هوفمان** :فى بحثها عن البديل الحق ستلتقى بالإسلام الصاعد نجمه [1]

نعم إن القيم الخلقية هى التى جعلت للإسلام دولة كبيرة فى مدة قصيرة، والعالم الإسلامى المترامى الأطراف لا يزال على علاته موئل العالم فى السلوك السوى، ولا يزال عالمنا محسوداً بما فيه من الشمائل الطيبة، وستظل لنا هذه المكانة مهما أشعرونا بالدونية أو فرض التعتيم على دورنا.

ولقد كان المسلمون الأوائل هم رسل المنهج التجريبى فى العصر العباسى، والذى استمدت منه دعائم النهضة الغربية فغبوا من حضارتنا، حتى أحدثوا تلك القدرة العلمية الخلاقة، بينما ظللنا نحن بلا حراك كمن هو كل على مولاه!!.

---

(١) مؤلفه، الإسلام كبديل ص ٢١

فالعلم العربى كان لـــه أثره فى تطور العلم العالمى وكانوا يسرقون منا ولا يقولون. وللأسف فإن الأوروبيين هم الذين كتبوا التاريخ فزورا. إن الاعتداد بالذات يصنع المعجزات والشعور بالهوان يقتل الكفايات والكفاءات فهل أذن مؤذن بأن ينفض الغبار عنا، ويقف الغرب وأهله على محاسننا ويشيدوا بها؟.

إن الشرق دائماً هو الذى يقدم الارتقاء الصادق للإنسانية. وحضارة بابل دورها مرصود فى الارتقاء الحضارى، ولقد تتلمذت أوروبا على أيدى نوابغ علماء المسلمين فى مجالات الدين والدنيا، وكان حظهم من الأخيرة أوفى وأوفر، وكانوا وقتها فى بحور التيه والظلمات، واسألوا الحروب الصليبية عما نقله الصليبيون غداتها من العلوم والفنون والآداب، أو سرقوه من المخطوطات الإسلامية النادرة، وما كان لذلك من أثر فاعل فى تلقيح الحضارة الأوروبية، فإن النقلات الكبرى فى الارتقاء الحضارى كان عن طريق العلماء الموسوعيين الذين أنجبتهم ثقافتنا، كابن رشد وابن سينا والرازى وغيرهم.

ويوم تمرد إنسان الغرب على الدين قاده ذلك إلى الجحيم حتـــى أوصله للانتحار، ومهما علا فى الأرض أو تجبر أو تكبر فهو فى حاجة ملحة إلى قبس من نور دين القيمة، وهنا ينطلـــق " جـــارودى المفكـــر الإسلامى الغربى ليقرع أسماع أوروبا بأن الإسلام هو تاريخ المرحلـــة المقبلة والأفق الجديد أو الجيد للفكر الإنسانى والسلوك المهدي، ولـــولا التعتيم الإعلامى الذي يفرض علينا لأتى الإسلام أكله هناك؛ فالمسلمون هم أصحاب رساله خالدة فى كشف الظلمات عـــن الإنســـانية وتقـــديم الجرعات الشافية لها، وقيادة الإنسانية نحو دائرة الضوء الربـــاني؛ لأن

الناس كلماغرقوا فى الشهوات والأهواء كانت دعوة الباطل هى دعوة الحق، ودعوة الخير هى دعوة السوء وحينئذ تظهر الحاجة الماسة إلى دعوة الرسل، ولن يجدوا من دونها موئلاً.

إن العيب كل العيب ليس فى ديننا ولكن فى إهمال تطبيقنا، ولتعلم براعمنا أن الطفرات الكبرى التى ارتقت بالإنسانية تمت على يد نوابغ علمائنا الموسوعيين.

يا أجيال الغد المأمول: إن الرحال تشد إلينا فى مجال فعل الخيرات وترك المنكرات والتكامل الأسرى والطهور الأخلاقى والهناء العائلى، فاعملوا على مكانتكم ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون.

فهذا هو **برنارد شو** المؤرخ العاملى والروائى الشهير يشهد بأن دين محمد ﷺ هو دعامة النظام العالمى لو شاءوا، تؤسس عليه مبادئ السلام وكل دعائم السعادة لبنى الإنسان، ويتابع القول فيقول: بأن محمداً (ﷺ) لو حكم العالم فى عصرنا لقدم لنا الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى.

إن أخلاقنا يغذيها منهج سماوى لا أرضى، وعطاؤها موصول ما وصله الصالحون منا، حكاماً وشعوباً ولو كانوا أولو بقية، ولا ينال ذلك الشرف إلا كل شريف ذو معدن نفيس.

عقلاء الغرب متعطشين إلى سلوكياتنا:

نعم انتصر الغرب على الشيوعية بالفعل ولكنه يعانى اليوم من أوجاع تزداد حدتها يوماً بعد يوم، من سلوك معوج وتفشى الجريمة وتفكك الأسر نتاج ثقافة مشوهة وخيبة فى إعمال العقل بالبعد عن منهج السماء، ومن ثم يضحى الإسلام هو البديل المنتظر لهم.

هم اليوم فى شغل شاغل للبحث عن دين جيد أو سلوك أحمد بعدما خمدت مدنيتهم فى ساحة التوازن النفسى، وتقطعت أنفاسها فى إسعاد أهلها، بسبب الفلسفات التى بهرت أعين الناس كالوجودية والإلحادية والعدمية والرأسمالية والماركسية والشيوعية، ثم أوقعتهم فى التية حين ظهرت نتائجها فى سلوكيات هدامة، فهناك مثلاً فى مدينة **بطرسبرج** جمعية إحياء ثقافة الانتحار، ومن شروط العضوية أن يكون المليونير من الساعين بجدية إلى الانتحار، وأن يكون من الأذكياء فلا ينفذ قراره إلا استناداً إلى أعلى مستويات الرشد العقلى، وهذا محام أمريكى شاب يدافع عن فتى قتل جارة عجوز طمعاً فى مالها، وقد تمت الجريمة أثر عودة الشاب من مشاهدة فيلم سينمائى بهذا المعنى، وأثناء المحاكمة طلب المترافع عن المتهم أن يعتبر القاتل الحقيقى هو البطل الذى أدى الدور على الشاشة، فأدى المتهم دوره ببراعة كذابة بدافع تقليد الأبطال.

وغداة انهيار الشيوعية وغروب شمسها، صاروا ينقبون عن مذهب يؤمنهم من خوف المجهول، ليذهب عنهم العطش الروحى.

وأمريكا بدورها دولة قد توحشت كما يقول **جورج كينان** من أكابر مفكريها، وعدت أشعر فيها بالغربة، والمستقبل على كل حال ليس لصالح دولة واحدة عملاقة[1].

فالمدنية الغربية رغم تفوقها فى العلوم والتكنولوجيا تعانى من كبوة حضارية يرصدها النابهون منهم، بسبب ما حملت من أنجاس الفكر، وقد أرادت الطيران بجناح المادة فسقطت، وفشلت النظم

---

(١) الأهرام فى ١٩٩٣/٤/١٩م

الوضعية فى تحقيق الرخاء الاقتصادى للشعوب، فعدالــة الشــيوعيين سراب خادع، والرأسمالية أناخت عليهم بالتضخم والركــود والبطالــة وانقسم المجتمع هناك إلى أحزاب يلعن بعضها بعضا [1].

ألا يكون قد أذن مؤذن بتصدير رشــدنا الأخلاقــى إزاء هــذا التردى السلوكى، فمشروعنا الإسلامى يقدم لهم عسلاً مصــفى ســائغاً شرابه، وهناك إقبال متزايد للأمريكيين على اعتنــاق الإســلام، ولــن يمضى نصف قرن حتى يكون الانتماء الأكبر للإسلام[2] ولسان حــال المسلمات الجدد اليوم: أسلمت فعرفت معنى السعادة، وارتديت الحجاب فشعرت بالاحترام.

فالعالم اليوم تربة خصبة ينتظر بشغف بالغ طيب الأعراف سيما بعد إفلاس عقائد الغرب فى الوفاء بحاجة الإنسان لبعدها عــن مــنهج السماء وما أوتى النبيون من ربهم.

إن الاعتداء على أعراض النساء بالاغتصاب يتم بمعدل جريمة فى كل دقيقة حسب الإحصائيات الرسمية[3]، تــرزح فيهــا الضــحايا وخاصة تحت عبء تهديد الأزواج والأقارب بالضرب والإيذاء حتــى القتل، وينفق (١٣) ملياراً سنوياً لإعالة أطفال السفاح والاغتصاب الذين يصلون أحياناً إلى ٧٠% من الولادات العامة، وهنا تقول إحدى الكاتبات الغربيات "ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين التى فيها الحشــمة والعفــاف والطهارة، وأنها لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائــل بكثرة مخالطتهن للرجال، فــذلك أضــمن لعفافهــا وشــرفها وأدعــى لسعادتها".

(١) د. عبد الحميد البعلى ، الإيمان ملحق الأنباء الكويتية (٨٧٤٨).
(٢) رشدى فكار ، المسلمون ، العدد ٤٩٠
(٣) الأنباء الكويتية فى ١٩٩٩/١٠/١٨م.

وهذا هو "**هوفمان**" فى كتابة فساد الحياة الغربيـــة[١] يقــول: إن أوروبا أصبحت أمله فى الإسلام، خلاصاً لها من أمراضها الخلقية التى تهدد حضارتها المادية، وأن أوروبا تحمل الإسلام فى أعماقها، وكم هى فى حاجة ماسة إلى جمهرة سلوكياته، ويضيف منبهراً بموقف المســلم من الحضارة المعاصرة، بأن الالتزام الخلقى ديدنه، يسود حياة المســلم أو المسلمة الوسط الإسلامي الحقيقى، فأنت لا ترى المداعبات الجنسية وتبادل القبلات ونحوها بين الرجال والنساء وعلناً، كذلك يرفض الإسلام الأدب الداعر المكشوف وأفلام الجنس والصور العاريــة ولا تمــارس المسلمة أساساً أى علاقة جنسية قبل الزواج, كما أن اللقطاء والأطفــال غير الشرعيين من الأشياء النادرة فى المجتمعات الإسلامية، والأغلــب والأعم أن الأبكار لا تفضى بكارتهن قبل الزواج، ولن تجد فى أى دولة إسلامية الإعلانات التى يطالب أصحابها بتبادل العلاقات الجنسية بــين الأزواج والزوجات فى مجموعات الجنس، وشواطئ العرى والــزواج اللواطى والجنسية المثلية، والسحاق بين المرأة والمرأة علناً، ولن تجــد المساكن المختلطة التى تعيش فيها الطلاب والطالبات معاً تحت ســقف واحد.

ثانياً : بوادر العصر الإسلامى الأوروبى :

المتفائلون من الدعاة يبشرون المؤمنين بــأن بــوادر النصــر والعصر الإسلامى الأوروبى قد لاحت فى الأفق[٢].

---

(١) كان سفيراً فى الجزائر واعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م (مجلة النور فى ١٩٩٢/٩/٨م) شهادة غربى على انهيار حضارة الغرب من خلال كتابة الإسلام هو الحل البديل، "أنور الجندي".

(٢) التبشير الحقيقى بدين الإسلام ، أما غيره من الأديان فبم إذن يبشرون.

وهاكم أية بينه على اختراق سنن الإسلام لأعتى التقاليد الغربية، فالطلاق أصبح الآن مقننا فى بلاد الغرب بعد أن كان محظـوراً، فقـد أعلنت روما تمردها عى الكنيسة الغربية فى عقر دارهـا فـى صـدد أبغض الحلال، لتؤكد حتمية الحل الربانى للمشاكل المتراكمة والمتفاقمة فكاكاً من زوج بغيض أو زواج فاشل، لأن الزوج انحرف وتـدهورت أخلاق النساء سيما مع الانفصال الجسمانى بين الزوجين سنين عـدداً، والذى تفرضه الكنيسة تحله لمشاكلهم بديلاً عن الطلاق، وهـو بـديل مترنح.

وتتعالى اليوم صيحات مدوية من النسـاء فـى أمريكـا سـيما المثقفات بوجه خاص بضرورة اقتباس نظام تعدد الزوجـات، ليكـون عاصماً للزوج من تعدد الخليلات، بل أتت لنا مجلة اللـواء الإسـلامى بإحصاء رسمى فى المناطق الغربية فى الولايات المتحدة الأمريكية بأنه هناك أكثر من خمسين ألف رجل متزوج بأكثر من سيدة، وأن النسـوة يطالبن أولى الأمر بإصدار تشريع يواكب الواقع الهادر المتطور.

وفى اليابان تعديلات طرأت على قانون الزواج يسمح للمطلقـة أن تقترن بزوج آخر بعد مرور مائة يوم على طلاقها بدلاً مـن سـتة أشهر، وهو اقتباس شبه كامل من أحكام الإسلام فى شأن عدة المطلقة.

وهناك اليوم فى أوروبا أصوات تدوى للمطالبـة بعقـود زواج موثقة ينص فيها على تفرغ المرأة لبيتها، انبثاقاً من سياسة مصـارحة الذات، والاعتراف بالحق فضيلة، بعد ما أجهضتها المساواة اللاهثة بين الذكر والأنثى، فهذه الكاتبة الإنجليزية الشهيرة "**آنا رورد**" تقـول: لأن تعمل بناتنا فى بيوتهن خوادم أو كالخوادم خير وأحب من اشتغالهن فى

الأعمال، وحيث تصبح البنت ملوثة بسلوكيات قد تذهب برونق حياتهـا إلى الأبد من كثرة مخالطتهن للرجال، نعم دخل الأسرة زاد لكن انخفض مستوى الأخلاق وكثر أولاد السفاح[1].

وأما عقوبة الإعدام فهى حكم الله، تعود إلى ساحتهم ليكون لهـم فى القصاص حياة، وكانت بعض دول الغرب قد اتبعوا أهواءهم وظنوا أنها المدنية الحقة، ومرت السنون فقسى العتاة وغلظ البغـاة وكثـرت الضحايا وإذا بأولى الألباب يطالبون بحتمية الحل الإسلامى بعد ما نزل بساحتهم، وإعادة عقوبة الإعدام إلى مكانها ومكانتها وصدق الله العظيم **﴿ولكم فى القصاص حياة يأولى الألباب﴾** [البقرة:١٧٩].

واليوم يكاد ينعقد الإجماع بين خبراء الاقتصاد فى العالم على أن أمثل الحلول لعلاج الاقتصاد الفقير أو المترهل، تصفية شـاملة للربـا والعودة بسعر الفائدة إلى الصفر.

وهناك دول غير إسلامية شرعت فى تجريم ألعاب القمار لمـا تجلبه من العداوة والبغضاء والسوء والفحشاء، كالسرقة وقتل الأبـوين أملاً فى مال يندفع به المقامر المغامر إلى الهاوية.

واليوم تتعلق الآمال فى ساحة المجتمع الأوروبى بـأن تكـون الولادة على يد قابلة، فلا ينكشف الطبيب على عورة المـرأة، فنسـاء كثيرات تستحى من الطبيب حين تتكشف لـه عوراتها، فطرة الله التى فطر الناس عليها، فلا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، وهو سلوك فطـرى محمود لأن الرجل نفسه يستحى أن يرى سوأة أخيه، وقريباً من ذلك ما اعترف به المربون بفشل التعليم المختلط الذى يكون فيه البنـين مـع

(١) المسلمون العدد ٦٧ فى ١٩٩٧/١٢/٦م

البنات، بعد أن انكشف عوراته، أقلها تدنى مستوى الطلاب واستدراجهم للفسق المبكر.

وفى مجال الطب الإسلامى أقامت الحكومة في هولندا معهداً للعلاج بشراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وذلك بعد أن نجحت التجارب التى أجريت عليه كشفاء من أمر الأدواء وإن كنا عن دراسته لغافلين بسبب شعورنا بالدونية والتعتيم على الثقافة الإسلامية.

وفى أمريكا اليوم أنشأوا مدرسة متخصصة لنشر الوعى بين النساء بضرورة الرضاعة الطبيعية التى أسس بيناها قرآننا الكريم الذى يهدى إلى الرشد **﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾** [البقرة: ٢٣٣]، محذرين من خطورة الأغذية البديلة التى أثبت الأبحاث العلمية أنها سبب مباشر فى خفض معدل الذكاء عند الأطفال، ويخشى لو استمر ذلك مستقبلاً أن يصبح فى أمريكا شعب من الأغبياء [١]

وفى أمريكا أسسوا بنياناً للعلاج بالصيام الإسلامى، كما كتب العالم المدعو "**ماك فادن**" كتاباً عن الصوم فصله على علم، وقال فيه بالحرف الواحد: إن الصوم يصفى الجسم من رواسب السموم المختلفة عن الأطعمة والأشربة، وهو دواء باهر السحر لأمراض المعدة ومن أصدق من الله قيلاً **﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾** [البقرة: ٨٤] [٢].

أما فى مجال السياسة وأنظمة الحكم فهى تنتهج عادة بلوغ أربعين سنة كشرط لتولى مقاليد الحكم والسياسة فى المناصب المهمة

---

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٨/٨ جيهان الغرباوى
(٢) اللواء الإسلامى ١٣ شوال ١٤٤١ هـ

والعامة، كرئاسة الدول وعضوية البرلمان أو مناصب القضاء الكبرى، كمؤشر على النضج العقلى وهو من إعجاز القرآن حيث يقول العزيز الحكيم: ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.. ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والنظام السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية مأخوذ فى جوهره من نظام الخلافة الإسلامية، حيث يسوس هناك رئيس واحد مع تعدد الحكومات فى الأمصار. وقد وجدت نسخ من القرآن الكريم وتفسيره لدى **جيفرسون** مؤسس الولايات فى مكتبه، ولا غرابة حينئذ أن يولد الدستور الأمريكى عملاقاً ينص مثلاً على حرية العقيدة الدينية، ولذلك تنفرد الولايات المتحدة باحترام العقائد الدينية وممارسة شعائرها، وتتميز عن كل دول الغرب فى هذا الشأن والتى لا تزال مترددة، إذ تضنن على طالبة مسلمة أجنبية فى المدارس الثانوية تغطى شعرها بغطاء كما تفعل الراهبة ولو كان الشتاء قارصاً، على الرغم من أن دساتيرهم منمقة فى نصوصها!!.

ثالثاً : أليس الغرب قلدنا من قبل :

الحضارة أخذ وعطاء، وها هو الغرب فى عصرنا عاكف على استيراد عقولنا المهاجرة، ليؤسس هناك تلك الحضارة الزاهرة.

ولا غرابة فى ذلك، فقد نحن صناع مجد ورواد حضارة، وفى وقت كانت تسود أوروبا ظلمات بعضها فوق بعض فى عصورهم الوسطى.

فلولا التراث العربى الإسلامى فى صقلية والأندلس لما كانت ثقافة ولا حضارة أوروبية، وفضل العرب والمسلمين شاهد ومشهود فى

كل المجالات، فمثلاً فى الرياضيات، كانت عبقرية الصفر الذى اخترعه المسلمون، ولولاه لما كانت هناك نهضة علمية ولـم يكـن للكمبيـوتر وجود، تراث وميراث ضخم للبشرية أقيم على حرية الفكـر والكلمـة والمناظرة التى يحض عليها ديننا حضاً حثيثاً.

ولقد نهلت الحضارة الغربية من علم علمائنا كابن رشد، فكـان مؤثراً فى صرح النهضة الأوروبية، ولا يجحد ذلـك حتـى الخصـيم المبين، فلم تبدأ النهضة الأوروبية فى القرن الحـادى عشـر إلا بعـد ترجمة كل ما وصل إليه المسلمون.

ولقد ورث الغرب عن المسلمين أسس البحث العلمى ونظرياته، وكما ورثوا عنهم علوم الرياضة والمنطق والفيزياء، بل تأثر كثير من علماء الغرب فى مجال اللغة والمنطـق والقـانون والتـاريخ والقـيم والأخلاق، والتى راجت فى الأندلس ثم تسربت منها إلى أوروبا [1].

وهاهو "**جوزيف فـان**" أحـد المستشـرقين الثقـات والأسـتاذ بالجامعات الألمانية يكتب شهادتهم متحدثاً بإنصاف عن تأثير الإسـلام فى التعليم فى أوروبا فيقول: "إن المسجد كان يشتمل على عدة أنشطة، منها تعليم الطلبة بالمشافهة، وجعل الطلاب يستمعون لمعلمهم ويحفظون عنه، وأخذ الغرب من المسجد لفظ "مستمع" والمدرس "قارئ" وقد أخذوا لفظ "الإجازة" من العرب، وهو الليسانس، وكان يخلعها الشـيخ علـى الطالب الذى تعلم منه وأتقن العلم، الأمر الذى يجيز له أن يتبوأ تعلـيم الآخرين.

---

(١) د. جعفر عبد السلام، أثر الحضارة العربية والإسلامية على الغرب، الأهرام فى ٢٠٠٣/١١/١٠م.

ومما نفاخر به ويكتب لنا ما أورده قاموس "المورد" على مـدى (٣٢) صفحة من كلمات عربية انخرطـت فـى الإنجليزيـة، ويعـاد تصديرها اليوم إلينا على أنها صنعت فى الغرب، فلغتنا هى تاج العلاء وفى أحشائها الدر كامن، وهى سيدة لغات العالمين.

والكنائس هناك فى إيطاليا شيدت على نهج الطراز المعمـارى الإسلامى [1].

وإذ كان تاريخ تعليم الدين الإسلامى خالياً وخاوياً من الكهنوت ذلك الذى خيم على أوروبا فى ذلك الوقت وما فيه من تعتيم، فالإنسـان حر داخل المسجد فى أن يعلم أو يتعلم ما يشاء، وعلى يد مـن يشـاء، وهذا هو جوهر نظام التعليم العصرى السائد فى الجامعات الأمريكية - نظام الساعات المعتمدة الذى يفاخرون به على العالمين.

كما اقتبسوا منا نظام الأستاذ الزائر المعروف فـى الجامعـات، فعندما بدأ المسلمون جمع وحفظ أحاديث الرسول ﷺ وجدوا أن بعضها مشكوك فيه، فأرادوا أن يتحروا رشداً، فهموا بتنقية الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، فكان نظام الرواية عن طريق السند القـوى المتصـل والفحص الدقيق، مما دعاهم إلى الترحال فى الأمصار لجمع الأحاديث بدقة متناهية، وكانوا حين يطأون موطئاً، يرتادون بيوت الله حيث يتعلم الطلاب، ويتناقشون ويتحاورون ويعلمون، ومن هنـا جـاءت تسـمية الأستاذ الزائر الذى عرفته جامعات الغرب بأسرها فيما بعد.

ونظام المعيد من عندنا، فكان الدرس يعاد عن طريق المعيد إذا كان عدد المستمعين للأستاذ كثار، وقد لا يصل حينئذ صوته إليهم.

---

(١) محمود الشيخ، الأنباء الكويتية، ملحق الإيمان فى ٢٤ محرم ١٤٢٠هـ ، ٢٠٠٠/٤/٨م

وفكرة المراجع مستعارة بدورها من العرب والمسلمين، انتقلت إليهم في العصر الوسيط، فعلى الرغم من شيوع ظاهرة الرواية الشفهية، وقراءة الأستاذ لكتبه المؤلفة على أسماع مريديه، إلا أنه كان يرجع إلى مراجعه، ولا ينكر أحد ذلك الكم المتراكم من الكتب القيمة التى صنفها الراسخون فى العلم، وفى اللغة وفى فروع المعرفة الأخرى، والتى انتفع بها من جاءوا بعدهم من علماء الغرب، فغمرت عقولهم وقلوبهم، ومكتبات أوروبا على ذلكم من الشاهدين لنا لا علينا.

حتى فيما يتعلق بزى أساتذة الجامعلت، فإن الروب الجامعى الذى يتحلى ويتجلى به الأساتذة فى الجامعات الغربية مستعار من علماء المسلمين، فلقد كانت العباءة الفضفاضة هى زى العلماء فى الأندلس، وكانت القبعة التى تغطى الرأس مربعة فى شكلها وكان يتحلى بها الخريج يومئذ يوم تخرجه من جامعة قرطبة، كما كان الخريج عبداً شكوراً يضع فى مفرق رأس كتاب الله من فوقها تشريفاً وتعظيماً وآية بينة على تمام النعمة.

وناطحات السحاب اختراع عربى :

فاليمن كانت أول دولة تعرف ناطحات السحاب، وهى إلى اليوم خير شاهد على شموخ الحضارة العربية والإسلامية، وحين كنت معاراً إلى اليمن للتدريس بجامعاتها كنا نمسك بالسحاب هناك فى أعالى الجبال، وما عليك إلا تنزل فى إحدى الفنادق السياحية لترى مر السحاب، وهو ينزل بدوره فى تلك الفنادق.

فهل ناطحات السحاب فى أمريكا حقاً تناطح السحاب ؟

وأخيراً الديموقراطية الغربية المزدهرة عندهم تدين لنا بفكرة "التعددية" التى استلهموها من نظام "الملل" الذى قننته الدولة العثمانية،

ويعطى لكل أصحاب الملل حريات مبهرة، مع أن الغرب قـد اسـتغلها لتوجيه طعنات موجعة إلى الدولـة العثمانيـة، والأبحـاث الأوروبيـة والأمريكية المعاصرة منها ما يحق الحق، فتحيـل إلـى نظـام الملـل الإسلامى آنف البيان على أنه النموذج الذى سرت مـن خلالـه فكـرة التعددية إليهم [1].

(١) فهمى هويدى الأقليات وكتاب التفكيك.

الخاتمة

إذا كانت أمتنا قد صارت مهددة بخطــر الــذوبان أو الاقــتلاع والابتلاع، فإن استئصال الداء ليس علينا بعزيز، فهو أحياناً مما عملت أيدينا ونحن نملك ثقافة بناءة ينبوعها القرآن الكريم الذى يهــدى إلــى الرشد، ورصيداً هائلاً من المصلحين وصالح المؤمنين، ورجالاً كثيــراً ونساءً معقود عليهم الأمل فى نثر ونشر أحمد السلوك وكيفية الاعتــداد بالذات الإسلامية.

بل إن المسلمين أمامهم فرصة كبرى لاســتئناف دورهــم فــى التاريخ ليتبوءوا مقعدهم الذى كان لهم ولا يزال شاغراً فى إمداد الأمــم والشعوب بطيب الأعراف، فالإسلام هو سفينة النجاة عنــد طوفــان أو طغيان الشذوذات المسلكية.

على أن الخيرية التى نعت الله بها هذه الأمــة ليســت خيريــة عنصرية كما هو الشأن عند أصحاب الملل الأخرى، وإنما هي خيريــة ترتبط بدورها فى الاضطلاع بأرشد السلوك، وحين تأتى لحظة الاختيار فلن تختار البشرية إلا الإسلام، فهو القادر وحده على أن يضئ العــالم بنوره وأحمد سلوكه، وإن الله قد ربى نبيه محمداً ﷺ، ومحمد رسول الله ﷺ قد ربى العرب، والعرب بعد ذلك قد استضاء العالم بنورهم، فكــل مؤمن أو مؤمنة رسل لرسول الله ﷺ رحمة مهداه لغيرهم من شــعوب الأرض إذا تعارفوا.

وختاماً فإن هذه الدراسة كما ألمحنا من قبل لا توجه انتقاداً للغرب المتحضر، بل تجل شأنهم وترفع قدرهم، ولكن لا لسلبياتهم التى أضحت تغير على ملامحنا.

فالراصدون لمسيرة العمل الإسلامى يبشرون المسلمين فى أرجاء المعمورة بأن القرن المقبل سيشهد منعطفاً مهماً فى تاريخ الإسلام، ومسرحه الغرب هذه المرة، حتى أن هناك من يقول بأن معدل انتشار الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية يجعلها دولة إسلامية فى نصف قرن، وهاكم رئيس جامعة فلورنسا بإيطاليا **باولو بلازى** يؤكد لنا أن أوروبا تنظر إلى الإسلام اليوم بعين المتطلع إلى استرداد روحانيتها المفقودة.

وبعد.. هل يتهم كاتب هذه السطور بالرجعية ؟ أم هو قبس من الغيرة الدينية؟ والتى أضحت فى عصرنا وكأنها مقصورة على من يهتفون: نحن بنو التوراة بنو إسرائيل، إنه مزيج من حب دافق للوطنية وتعصب للقومية العربية وحماس للديانة الإسلامية والتى أهلت لإسعاد البشرية.

وصدق الله العظيم **﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾** [الحج: ٣٠].

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

الفهرس